الإسلام والآخر

سماحة الاسلام

وعلاقة المسلم بغير المسلم

الشيخ عماد الدين زيدان صقر

الطبعة الأولى

2022 م

دار الجندي للنشر والتوزيع – القدس
*
darjundi46@gmail.com

الإسلام والآخر سماحة الاسلام وعلاقة المسلم بغير المسلم

(الشيخ عماد الدين زيدان صقر)

*

الطبعة الأولى (2022).
*

جميع الحقوق محفوظة لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، بدون إذن خطي من الناشر.

All rights reserved. No part of this book may be reproduced in any form or by any means without prior permission of the publisher.

بسم الله الرحمن الرحيم

من الدستور الإلهي

قال الله تعالى :

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩)﴾ الممتحنة .

وقال سبحانه : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ(١٢٥)﴾النحل .

صدق الله العظيم

من مشكاة النبوة

قَالَ رَسُولِ اللهِ ﷺ :« أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهَدًا، أَوِ انْتَقَصَهُ مِنْ حَقِّهِ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

رواه الإمام أبى داود في سننه رقم ٣٠٥٢ عن صفوان بن سُلَيم ﷺ

وقال ﷺ : «مَنْ عَامَلَ النَّاسَ فَلَمْ يَظْلِمْهُمْ وَحَدَّثَهُمْ فَلَمْ يَكْذِبْهُمْ، وَوَعَدَهُمْ فَلَمْ يُخْلِفْهُمْ، فَهُوَ مِمَّنْ كَمُلَتْ مُرُوءَتُهُ، وَظَهَرَتْ عَدَالَتُهُ، وَوَجَبَتْ أُخُوَّتُهُ، وَحَرُمَتْ غَيْبَتُهُ» . رواه الإمام القضاعى في مسند الشهاب رقم ٥٤٣ عن علي بن أبي طالب ﷺ

وقال ﷺ : «أَلَا مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهِدًا لَهُ ذِمَّةُ اللهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَقَدْ أَخْفَرَ بِذِمَّةِ اللهِ، فَلَا يُرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ سَبْعِينَ خَرِيفًا» .

رواه الإمام الترمذي في سننه رقم ١٤٠٣ عن أبى هريرة ﷺ

إهـــداء

إلى صاحب الدعوة الحق ، والصراط المستقيم ، إلي رسول الله ، سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ ، حباً وشوقاً لرؤياه .

وإلى أسرتي : والدي رحمه الله تعالى ، ووالدتي أطال الله بقائها ، ومتعها بالصحة والعافية ، وإخوتي جميعا حفظهم الله .

وإلى زوجتي الحبيبة الغالية ، رفيقة رحلتي ، ومنبع سعادتي ، وإلي أبنائي الأعزاء .. **بلال و ماجدة وعبد الرحمن** .. الذين أسأل الله أن يكونوا منبع سروري ، وقرة عيني ، وأن يبلغوا أشدهم ، ليحملوا لواء الإسلام ، ويكملوا المسيرة في حفظ السنة النبوية والدفاع عنها إن شاء الله تعالي .

وإلى كل من أخذ بيدي في طريق العلم ، فأرشدني وعلمني الآية والحديث ، حتى تخلقت بأخلاقه وتأدبت بآدابه .

وإلى إخواني العلماء الأجلاء، مصابيح الهدى ، وحملة لواء المصطفى ﷺ ، وإلى كل من يهمه أمر هذا الدين ، إلي كل مسلم ومسلمة يبحثون عن الحق بمحايدة وصدق وإخلاص ، أهدى هذه الصفحات لعلها تكون لبنة قوية نساهم بها في إعادة الصورة الصحيحة النقية لهذا الدين في سماحته ومعاملاته مع غير المسلمين

راجيا أن تكون مصباحا ينير الطريق ، فتنجلى به الحقائق وتدفع به الشبهات وتنكشف به المكائد الموجهة إلى دين الله تعالى ، ويرشد الناس إلى الحق والعدل ، ويهديهم إلى صراط الله المستقيم .

والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل

المؤلف

مقدمة

الحمد لله الذى شرع الإسلام فسهل شرائعه لمن ورده، وأعز أركانه على من غالبه، فجعله أمناً لمن تعلق به وسلماً لمن دخل فيه، نحمده ونشكره ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلاها دى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله المبعوث بالحنيفية السمحاء ، اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد

فمنذ زمن بعيد ونحن نجد هجوماً عنيفاً على الإسلام يشنه شرذمة من أعدائه يتهمونه بأنه دين التعصب الماحق للحرية والاختيار، ومازال لهذه الشرذمة أبواق يرددون ماسُبقوا إليه ويزيدون عليه أباطيل من عندهم طابعها الافتراء والادعاء والتجنى والجهل بأمور هذا الدين، وبعضها يستجلب الضحك مما يحمل من جهل وسفسطة وهذيان، لقد خلط الأعداء خلطاً قبيحاً بين الإسلام من حيث هو عقيدة وتشريع وعبادة وسياسة ومعاملة وأخلاق ، وبين ما وصل إليه حال المسلمين الآن من ضعف وذل وتقهقر، فزعموا أن الذى أوصل المسلمين إلى هذه الحالة المتدنية إنما هودينهم، وتغافل هؤلاء الأعداء عما كان للمسلمين من قوة ومجد وحضارة وسلطان أيام استمساكهم بدينهم واعتزازهم بتعاليمه، ومتجاهلين أن ما نزل بالمسلمين من كوارث الضعف والاستسلام والتخلف والانقسام، إنما كان جزاء وفاقاً لا نحرافهم عن الصراط السوى الذى شرعه الله لهم، حتى تقاسم أعداؤهم ديارهم وخدورهم تحذيراً، فخربوا أوطانهم باسم الاستعمار والاحتلال والوصاية والانتداب

إن ما نسمعه الآن من طعون فى الإسلام ومحاولةوصفه بالهمجية وبأنه يدعو إلى الإرهاب والتطرف والإفساد إنما هو من كيد الأعداء الذين يحملون معاولهم فى حنق وقوة يهجمون بها على حصون الإسلام ليقوضوها

فيزلزلوا ثقة المسلمين بأنفسهم وبدينهم ، لكن طال عليهم الأمد وأرهقهم الكد والجهد ولم يبلغوا شيئاً مما أرادوا، ودائماً يبقى الإسلام كما كان أشم

الحصون، أرسخ من الطود متعالياً فى عزة متأبيا على كل القوى المجتمعة أن تنال منه مصداقاً لقول الحق سبحانه: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال :30] وقوله جل شأنه: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال:8]

إن الإسلام دين يدعو إلى التسامح والعفو والصفح عند المقدرة، ووصف من يتسامح فى حقه ويعفو أو يصفح عمن أساء إليه بنبل الخلق وعظم النفس والتسامى عن الدنايا كما قال جل وعلا: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت : 34]

إن فى روح الإسلام من السماحة الإنسانية مالايملك منصف أن ينكره أويراوغ فيه ،وهى سماحة مبذولة للجماعة البشرية كلها لاالجنس معين ولا لأتباع عقيدة معينه وإنما هى للإنسان بوصفه إنساناً فى حد ذاته خلقه الله وكرمه، وعندما يؤدى المسلم واجبه فى هداية البشرية وينهض بتكاليفه فى دفع الظلم والفساد عنها، لا تبقى له سلطة تعسفية على فرد أو قوم، ولا تبقى فى صدره إحنة على طبقة أو جنس وهى روح تمكن له من إقراز السلام فى الأرض ومن تأليف الأجناس والألوان ،ومن إشاعة الود والسماحة والتراحم بين بنى البشر، ومن تنقية جو الحياة من سموم التحاسد الفردى والتطاحن الطبقى والتناحر العنصرى كما تمكنه من كف الحروب والمجازر التى تقوم على تلك الأسباب، وعلى الرغبة فى فتح البلاد لمجرد الإستغلال المادى أو العظمةالكاذبة[1] ، والدليل على ذلك أننا نجد فى مبادئ الإسلام العامة ما يؤكد هذه الروح الإنسانية السمحاء الخالصة كقوله جل وعلا: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات: 13] سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت:46] وقوله سبحانه: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾

1- السلام العالمى والإسلام سيد قطب صـ 177

[الجاثية: 14] . وقوله سبحانه : ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ [النحل : 126] . إلى غير ذلك من الآيات التى تدعوا إلى حسن المعاملة بين الناس وضبط النفس عند المقدرة، وتشجع على العفو والمغفرة والتسامح فى المعاملة .

كما ينظر الإسلام إلى الأديان الأخرى نظرة تسامح فقد سمى اليهود والنصارى أهل كتاب ، وسماهم أهل ذمة على الرغم من محاربتهما للإسلام وأهله وهما تسميتان رقيقتان[1] .

ودعوة الإسلام إلى التسامح غير الذليل تساعد على بناء العلاقات الإنسانية بين الأفراد والجماعات المختلفة، فحينما أمر الإسلام بضرورة دفع الضرر عند العداوة جعل دفعه بالتى هى أحسن، لأن هذا الدفع الكريم هو الذى يجلب المحبة ويجعل العدو صديقاً، ولقد طبق الرسول ﷺ مبدأ التسامح فى علاقاته بالمشركين وغيرهم فى معاهداته وفى حروبه كما سنوضح فيما بعد .

إن التسامح والصفح الجميل هو السياسة الإسلامية التى رسمتها النبوة فى العلاقة بين الناس بعضهم مع بعض وخصوصاً بين المسلمين وغيرهم، وهى السياسة المطلقة فى حال الحرب والسلم والسياسةالشافية للقلوب المجروحة فى أعقاب الحرب ، وهذا كله يدفع عن الإسلام الهجوم الغاشم ضده ويرد كيد الأعداء فى نحورهم فالإسلام دين يؤمن بالإنسانية العامة الشاملة ولايميل إلى استخدام القوة والعنف، وإنما طريق دعوته الحكمة والموعظة الحسنة وإن جادل فإنما يجادل بالتى هى أحسن، وفى معظم فترات التاريخ لجأت الأمة الإسلامية إلى سياسة التعايش الدينى والحوار المستمر لتحقيق التعايش السلمى، ونشر المحبة والتعاون والإخاء، والسلام، مما يؤدى إلى تحقيق الإنسانية فى أسمى صورها .

وفى الصفحات التالية نرد عن الإسلام هذا العدوان فنبين سماحته ونكشف عن بعض مزاياه ليتبين للمنكرين من أعدائه كذب إدعائهم، وليعلم الجاهلين من أتباعه ما فى دينهم من سمو وحكمة وسماحة ويسر، وأنه صالح للتطبيق فى كل زمان

1-العدل والتسامح فى ضوء الإسلام صـ 24

ومكان بمرونته فى مسايرة الزمن فيشتد حرصهم على دينهم، ويعظم اعتزازهم بتشريعاته ويتسلحوا بسلاح بتار يقضون به على ما يواجه به دينهم من أكاذيب وأباطيل، وأن يرون بعين الحقيقة سماحة الإسلام الذى كفل للبشر جميعا أسباب الخير كله ويعلموا أنه دين يجمع ولا يفرق، ويوحد ولايشتت ويقوى ولا يضعف ويتسامح ولايتعصب ويتسامى ولا يهبط، ويجارى الأعصار والأحداث ولايتخلف ولايجمد، وإنما يسمو ويرقى بكل من ينتسب اليه ويعمل بأحكامه،

والله أسال أن يعيننى لإتمام هذا العمل على الصورة التى ترضيه عنا وأن يتقبله خالصاً لوجهه الكريم إنه سميع مجيب.

﴿ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير﴾

وكتبه أبو بلال

الشيخ / عماد الدين زيدان صقر

فى 22 ذى القعدة 1425هـ

الموافق 3 يناير 2005م.

صفط تراب - مركز المحلة الكبرى -مصر

الفصل الأول

سماحة الإسلام

- ★ مفهوم السماحة فى الإسلام.
- ★ تعريف السماحة لغة وإصطلاحًا.
- ★ مفهوم التسامح فى الإسلام.
- ★ من معانى التسامح فى الإسلام.
- ★ معنى اليسر.
- ★ اتصاف الشريعة الإسلامية بالسماحة واليسر.
- ★ تحقيق السماحة واليسر فى تصرفات المكلفين.
- ★ وجوه السماحة واليسر فى الشريعة الإسلامية.
- ★ درجات التسامح وحظ المسلمين منها.
- ★ الأساس الفكرى لتسامح المسلمين.

مفهوم السماحة فى الإسلام

قبل أن نشرع فى الحديث عن سماحة الإسلام ويسره لا بد لنا أن نتعرف أولاً على المعنى المقصود بالسماحة واليسر.

أولا تعريف السماحة ـ

-السماحة لغة : قال ابن فارس فى معجمه «السين والميم والحاء» : أصل يدل على سلامة وسهولة[1].

ويقول الجوهرى فى الصحاح: المسامحةالمساهلة ، وتسامحوا تساهلوا، ويقال رجل سمح إذا جاء بما له بال ، ومن قبيل هذا المعنى قول المقنع الكندى .

ليس العطاء من الفضول سماحة ∴ حتى تجود وما لديك قليل[2]

ويرى الإمام ابن عاشور أن لفظ السماحة أخص من الجود ويستدل على ذلك يقول زياد الأعجمى عندما قابلها بالندى :

إن السماحة والمروءة والندى ∴ فى قبة ضربت على ابن الحشرج[3]

وعلى هذا المعنى يحمل قول النبى ﷺ **«رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى »** [4].

ويقول الرازى فى مختار الصحاح : السماح والسماحة الجود ، سَمَحَ به يَسْمَحُ بالفتح فيها سماحاً وسماحة أى جاء وسمح له : أى أعطاه، وسَمَحَ من باب ظرف سار سَمْحاً بسكون الميم والمسامحة المساهلة وتسامح : تساهل[5] .

وجاء فى المعجم الوجيز مادة (س م ح) سَمَحَ سماحاً وسَمَاحَة : بذل فى العسر واليسر عن كرم وسخاء . سَمُحَ سَمَاحَة وسُمُوحَةٌ : لان وسهل فهو سَمْحٌ وَسَمِيحٌ ، سَامَحَهُ : عفا عنه، تسامح فى كذا : تساهل ، السَّماح : بيع السماح البيع بأقل من الثمن المناسب ، السَّماحَةُ : الجود والكرم يقال فلان سَمْحٌ جواد سخى السَّمْحة : يقال شريعة سمحة فيها يسر وسهولة[6] .

---

1 - معجم مقاييس اللغة 99/3 . 2- الصحاح للجوهرى 376/1.

3- أصول النظام الإجتماعى لابن عاشور 25.

4- صحيح البخارى كتاب البيوع باب السهولة والسماحة فى الشراء والبيع رقم2076صـ361عن جابر.

5- مختار الصحاح أبو بكر الرازى صـ 312 .

6- المعجم الوجيز مادة س. م. ح صـ320.

2- السماحة إصطلاحاً:

أ - عرفها الشيخ ابن عاشور بقوله : السماحة : سهولة المعاملة فيما إعتاد الناس فيه المشادة فهى وسط بين الشدة والتساهل . والسهولة المقصودة فى التعريف هى السهولة المحمودة التى لا تؤدى إلى ضرر أو فساد [1] .

والسماحة فى نظر الشيخ ابن عاشور هى راجعة فى الجملة إلى معنى العدل والاعتدال والتوسط ، وإن لفظ السماحةفى نظره هو أدق الألفاظ دلالة على المعنى سالف الذكر حيث قال: « ولفظ السماحة هو أرشق ما يدل على هذا المعنى » [2] .

ويؤيد ما ذهب إليه ابن عاشور ما جاء فى أمر العبادة من النهى عن التشديد فيها وكذا النهى عن التراخى أيضاً، والحث على الأخذ بالطرفين والتوسط بينهما فهو أحسن الأمور ، كما جاء فى الأثر عن ابن عباس مرفوعاً « خير الأمور- الأعمال- أوسطها »[3] ولأبى يعلى بسند رجاله ثقات عن وهب بن منبه قال : « إن لكل شىء طرفين ووسطا فإذا أمسك بأحد الطرفين مال الآخر وإذا أمسك بالوسط اعتدل الطرفان فعليكم بالأوسط من الأشياء» [4] .

ويشهد لهذا قوله تعالى ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء : 29]

وقوله سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان : 67]

ب - وعرفها ولى الله الدهلوى بقوله : - السماحة حقيقتها : كون النفس بحيث لا تنقاد لدواعى القوة البهيمية ولا تتشبع فيها نقوشها ولا يلحق بها وضر لوثها » . وعرفها أيضاً بقوله : السماحة : هيئة تمنع الإنسان من أن يتحكم منه ضد الكمال المطلوب علماً وعملاً [5] .

1- المقاصد العامة للشريعة الإسلامية 336.
2- أصول النظام الإجتماعى لابن عاشور 25.
3، 4 - المقاصد الحسنة فى بيان الأحاديث المشتهرة للسخاوى رقم455صـ332
5 - حجة الله البالغة 1/163-164.

والذى نفهمه من هذا التعريف أن السماحة فى نظر الدهلوى :هى وضعية الاعتدال والتوسط التى ما إذا تمكن الإنسان منها تصبغ عليه صورة تحول بينه وبين ما يضار هذه المرتبة ، وهما طرفا الإفراط والتفريط اللذان ينتهى كل واحد منها بمفسدة ويؤديان إلى فساد الكمال المطلوب فى العلم والقول والعمل .

جـ - ويقول ابن حجر عند شرحه لحديث « رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع... »

إن السماحة هى : استعمال معالى الأخلاق وترك المشاحة فى المعاملة بين الناس وترك التضييق فى المطالبة وأخذ العفو منهم[1] .

مما سبق يمكن أن نستخلص تعريف السماحة بما يلى :-

السماحة هى : وصف إذا ما أنيط بتصرف يحمله على التوسط و الاعتدال ويقيه من الانحراف إلى جهتى الشدة أو التساهل .

ولقد نبه ولى الله الدهلوى إلى أن السماحة قد تتخذ لها ألقاباً متعددة بحسب الوضع الذى توجد فيه ، فتلقب السماحة بالعفة إذا اعتبرت بداعية شهوتَىْ البطن والفرج ، وتلقب بالصبر إذا كانت بداعية الضجر والجزع ، وتلقب بالسخاوة والقناعة إذا كانت بداعية حب المال ، وتلقب بالتقوى إذا كانت بداعية مخالفة الشرع .

ويمكن أن نجمل هذا كله فى شىء واحد وهو أن أصل السماحة عدم انقياد النفس للهواجس البهيمية [2] .

مفهوم التسامح فى الإسلام :- « التسامح الدينى ».

إن التسامح والصفح الجميل فى العلاقة بين الناس بعضهم مع بعض وخصوصاً بين المسلم وغير المسلم فى السلم أو الحرب لهى من الثوابت التى دعت إليها النبوة وعليه يمكن أن نعرف التسامح فى الإسلام فنقول : « هو أن يكون لكل فرد فى الأمة الحق فى أن يعتقد ما يراه حقاً ، وأن تكون له الحرية فى تأدية شعائر دينه كما يشاء وأن يكون أهل الأديان المختلفة أمام قوانين الدولة سواء »[3] .

1 -فتح البارى شرح صحيح البخارى 4 / 376.
2- حجة الله البالغة 2 / 181.
3- الإسلام وأهل الذمة د/ على حسن الخربوطى صـ 95.

من معانى التسامح فى الإسلام:-

هناك بعض الأخلاقيات التى دعى إليها الإسلام وتتضمن جانباً كبيراً من السماحة والتسامح نذكر منها :-

1- السماحة بمعنى الإحسان : لقد جاءت مادة السماحة فى القرآن الكريم بمعنى الإحسان وذلك فى مواطن متعددة نذكر منها :-

- جاءت السماحة بمعنى الإحسان فى القول يقول تعالى : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ [البقرة: 83]

- وجاءت بمعنى الإحسان فى الفعل والسلوك يقول تعالى : ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 195]

- وجاءت بمعنى اللين والرفق فى الدعوة والإرشاد فى التعامل مع أهل الكتاب يقول سبحانه ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل : 125]

وقوله تعالى : ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: 46]

وقوله سبحانه : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت: 34]

2- السماحة بمعنى الصفح والعفو : ووردت كلمة السماحة بمعنى الصفح والعفو وهو التجاوز عن المسىء وعدم الإساءة إليه ومقابلة السيئة بالحسنة وذلك فى آيات عديدة منها قوله جل وعلا : ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُ ﴾ [الزخرف 89]

وقوله سبحانه : ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور : 22]

3- السماحة بمعنى الرحمة والشفقة :

وتعد الرحمة والرأفة واللين والرفق من مظاهر السماحة التى دعا إليها الكتاب العزيز وتخلق بها الرسول ﷺ يقول سبحانه : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ [التوبة: 128، 129]

وقوله سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: 159]

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107]

4- **السماحة بمعنى البر:** وتكون بمعنى الصلة وبمعنى اللطف وحسن الصحبة والعشرة والطاعة، وهذه الأمور هى مجامع حسن الخلق.

ثانياً معنى اليسر:

جاء فى المعجم الوجيز: اليسر: ضد العسر ومنه الدين يسر أى سمح سهل قليل التشديد[1].

- قال الإمام الحرانى: اليسر: عمل لا يجهد النفس ولا يثقل الجسم[2].

وقال القرطبى: اليسر من السهولة: إن مع العسر يسراً: أى مع الضيق والشدة يسراً، أى سعة وغنى[3] وروى عن النبى ﷺ «إن الدين يسر[4]» وقال أيضاً «يسروا ولاتعسروا»[5] واليسر من السهولة ومنه اليسار للغنى[6].

-وقال ابن عاشور: اليسر: سهولة تحصيل المرغوب وعدم التعب فيه

ونستشف من هذه التعاريف مايلى:

1- اتفاقهم على أن اليسر هو: السهولة فى الأمر المراد.

2- اتفاقهم أيضاً على أنه: انتفاء المشقة والتعب فى طريق المراد تحصيلة.

1- المعجم الوجيز صـ685

2- البقاعى فى نظم الدرر 3/63 نقلاً عن المقاصد العامة للشريعة صـ338

3- الجامع لأحكام القرآن للقرطبى 10 / 483

4- صحيح البخارى كتاب الإيمان باب الدين يسر رقم 39 صـ15.

5- أحمد بن حنبل فى مسنده رقم 1273 - 10 / 424 عن أنس.

6- القرطبى 1/681.

اتصاف الشريعة الإسلامية بالسماحة واليسر

إن لوصف الشريعة الإسلامية بالسماحة واليسر لأثر بالغٌ فى سرعة انتشارها وتمكن سلطانها من النفوس ودوامة حالها فى الخلق .

ولما تجاوزت الأديان السابقة أصل السماحة واليسر ، ووقعت فى الشدة والعنت ، فلم يلبث أهلها أن انصرفوا عنها و فرطوا فى معظها ، وقد سلمت شريعة الإسلام من هذا الأمر وهذا واضح كما فى قول الحق جل وعلا : ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: 157] وفى دعاء المؤمنين الوارد فى قوله سبحانه ﴿رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ [البقرة : 286] وفى الحديث الإجابة عن هذا الدعاء كما روى مسلم« قال الله قد فعلت» . وفى قوله سبحانه : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً﴾ [النساء: 28] وقوله سبحانه : ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ [المائدة: 6] [1] .

والذى يلوح لكل باحث فى أصول الشريعة وفروعها أنها مبنية على السماحة واليسر ، وأنها من أكبر مقاصدها ، ولقد دلت الدلائل الكثيرة من الكتاب والسنة والآثار المختلفة على أن هذا الوصف قد بلغ درجة القطع فى الاعتبار .

وفيما يلى جملة من الأدلة لبيان ذلك : -

أ - فى القرآن الكريم قال تعالى : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: 185] والوجة الذى تحمل عليه الآية هو عموم اللفظ فى جميع أمور الدين الدنيوية والأخروية وهذا ماذهب إليه ابن عطيه وجماعة من المفسرين [2]

واستخلص ابن عطيه من هذه الآية أن أى عبادة يكلف العبادبها سواء كانت من من أعمال القلوب أوالجوارح إلا وهى فى متناول المكلف ووسعه وفى مقتضى بنيته وإدراكه[3]

ويقول أبو حيان الأندلسى : إن موقع هذه الآية بعد آية الصيام جاء ليبين أن هذا

1- الموافقات فى أصول الشريعة للشاطبى 2 /428.
2- المحرر الوجيز 2 /84.
3- المحرر الوجيز 2 /388.

التكليف قد وضع على سبيل السهولة واليسر، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على رعاية الشريعة لمعنى السهولة واليسر لأنهما من أو صافها العظمى[1] ولقد أكد الحق سبحانه وتعالى المعنى الوارد في الآية السابقة بقوله جل وعلاً: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾ [الإنشراح: 62] وقد قال ﷺ في تفسيرها «لن يغلب عسر يسرين»[2] وقد علق ابن مسعود على ذلك قائلاً: «والذي نفسي بيده لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه ولن يغلب عسر يسرين»[3] والذي نلاحظه من خلال هذه الآية هو تأكيدها على هذا المعنى وذلك بتكرير عبار: «إن مع العسر يسراً» نظراً لأهمية هذا الوصف ودوره في قيام الشريعة ونفوذها في الخلق.

ومما يدل على عموم وصف السماحة واليسر لجميع أحكام الشريعة وتصرفاتها قوله جل شأنه: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: 28] وقوله سبحانه: ﴿الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ [الأنفال: 66]

فهاتان الآيتان تتناولان كل ما خفف الله على عباده، فهما عامتان في جميع أحكام الشريعة وجميع ما يسره الله لنا وسهله علينا، وهو ما ذهب إليه ابن عطية ومن وافقه[4].

وبناء على ذلك فالآيتان تدلان دلالة واضحة على إرادته سبحانه وتعالى اليسر بهذه الأمة لا العسر لها، وأن الشريعة بأوصافها هذه تتضمن حفظ مصالح الخلق ودرء مفاسدهم على أيسر كيفية.

ومعلوم أن الفطرة - فطرة الإنسان- مضادة للشدة والعنت وتنفر منها، وحتى تلائم الشريعة هذا الوصف في النفوس لابد وأن تكون سهلة سمحة، كما قال ابن عاشور: « وقد أراد الله أن تكون شريعة الإسلام عامة ودائمة، فاقتضى ذلك أن يكون تنفيذها بين الأمة سهلا، ولا يكون ذلك إلا إذا انتفى عنها الشدة والإعنات، فكانت

1- البحر المحيط 2 / 42 نقلا عن المصادر العامة للشريعة الإسلامية - صـ 340.
2- مالك في الموطأ كتاب الجهاد باب الترغيب في الجهاد صـ374 من تنوير الحوالك.
3- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 10 / 348.
4- المحرر الوجيز 4 / 90.

سماحتها أشد ملاءمة للنفوس لأن فيها إراحة البال فى خويصتها ومجتمعها »[1].

ب- ولقد ورد فى السنة نصوص عديدة تصف هذا الدين بالسماحة والسهولة واليسر، منها قوله ﷺ « أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة» [2] وعند الإمام أحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما قيل لرسول الله ﷺ: « أى الأديان أحب إلى الله تعالى؟ «قال: الحنيفية السمحة» .

والمراد بالأديان الشرائع الماضية قبل أن تبُدل وتُنسخ، والحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام وسمى بذلك لميله عن الباطل إلى الحق، والسمحة: السهلة، أى أنها مبنيه على السهولة واليسر ورفع الحرج لقول الله عز وجل: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الحج: 78]

وعلق الإمام الشاطبى على المعنى المستخلص من هذا الحديث فقال: إن الله تعالى وضع هذه الشريعة المباركة حنيفية سمحة سهلة، حفظ فيها للخلق قلوبهم وحببها لهم بذلك، فلو عملوا على خلاف السماح والسهولة لدخل عليهم فيما كلفوا مالا تخص به أعمالهم» [3].

وفى الحديث أيضاً « ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما مالم يكن إثماً [4] «وإنما قال (مالم يكن إثماً) لأن ترك الإثم لامشقة فيه، ولوكان قاصداً للمشقة لما كان مريداً لليسر والتخفيف ولكان مريداً للحرج والعسر وذلك باطل .

ولو كان الشارع قاصداً للمشقة فى التكليف لما كان فى الشريعة ثم ترخيص ولا تخفيف، لكن ثبت مشروعية الرخص وهذا أمر مقطوع به ومما علم من دين الأمة بالضرورة، كما لرخص فى الفطر والقصر فى السفر، وتناول المحرمات وقت الإضطرار، وكذلك ما جاء فى النهى عن التعمق والتكلف والتسبب فى الإنقطاع عن دوام الأعمال وكل هذا يدل على مطلق رفع الحرج والمشقة، ولو ثبت قصد المشقة لحدث تعارض فى الشريعة وهذا منفى عنها .

ولا يفهم المكلف من خلال هذه الأوصاف التى حرصت الشريعة على الاتصاف

1-مقاصد الشريعة لابن عاشور صـ 61

2- صحيح البخارى كتاب الإيمان باب (الدين يسر) و قوله: (أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة) رقم 39 صـ 14

3- الموافقات 2 /136: نقلا عن المقاصد العامة للشريعة343

4- البخارى كتاب الأدب باب قول النبى ﷺ: (يسروا ولاتعسروا) رقم 6126 صـ 1142.

بها أنه يتتبع الرخص أينما كانت وحيثما وجدت، ويلجأ إلى الاختيار بين أقوال العلماء كما يحلو له وبما يشتهى هواه، بل الأمر فيما سبق جار على الأصول التى بنيت عليها الشريعة وليس على إطلاقة[1]، كما قال الإمام الشاطبى « إنما أتى بالسماح فيها مقيداً بما هو جار على أصولها وليس تتبع الرخص ولا إختيار الأقوال بالتشهى[2] .

ومما يؤكد وضع هذه الشريعة على جهة السهولة واليسر بعيداً عن كل إعنات وتشديد قول النبى ﷺ « إن الله لم يبعثى معنتاً ولكن بعثى معلماً ميسراً »[3] .

وحتى تضمن الشريعة سلامة وصفها من الإنخرام بسبب تصرفات المكلفين عمدت إلى تحذيرهم من التماس الأشد فى أحكامها لأن ذلك يقعد صاحبه عن العمل والالتزام بها ، وبالتالى الحد من نفوذها بسبب هذا التصرف لذا فقد قال النبى ﷺ « إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلاغلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا »[4] .

قال ابن المنير : فى هذا الحديث علم من أعلام النبوة فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل متنطع فى الدين ينقطع .

وقال الإمام ابن حجر فى الفتح : «ليس المراد طلب الأكمل فى العبادة فإنه من الأمور المحمودة، بل منع الإفراط المؤدى إلى الملل، أو المبالغة فى التطوع المفضى إلى ترك الأفضل أو إخراج الفرد عن وقته[5] .

ومثال هذا كمن بات يصلى الليل كله ويغالب النوم إلى أن غلبته عيناه فى آخر الليل فنام عن صلاة الفجر جماعة إلى أن خرج عن الوقت المختار .

والذى يفهم مما سبق أن شريعة الإسلام جارية على حد التوسط والاعتدال وإذا حصل أن مالت إلى جهة طرف ما فذلك لخلل واقع أو متوقع فى الطرف المقابل وهو المكلف، فإذا لم يحدث هذا ولا ذاك رأيت التوسط لائحاً، ومسلك الإعتدال واضحاً وهو الأصل الذى يرجع إليه والعقل الذى يلجأ إليه[6] .

1,2- المقاصد العامة للشريعة صـ 343 -344 .

3- مسلم كتاب الطلاق باب (تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية) رقم 1478 صـ 626 عن جابر .

4- البخارى كتاب الإيمان باب (الدين يسر) رقم 39 صـ 15 عن أبى هريرة .

5- فتح البارى شرح صحيح البخارى لابن حجر 1 / 120 .

6- المقاصد العامة للشريعة 345 .

ونحب أن نلفت النظر إلى أنه قد يوجد فى الشريعة من الأعمال ما قد يتسبب عنه مشقة من غير أن يكون قصد الشارع إدخال المشقة عليه، وإنما يكون قصد الشارع من المشقة جلب مصلحة أودرء مفسد ةكما فى إقامة الحدود والقصاص ، والعقوبات الناشئة عن الأعمال التى يحرمها الشرع ومنع من الوقوع فيها، فإن فيها زجر للفاعل وكف له عن مواقعة مثل ذلك الفعل ، ويكون عظة لغيره أن يقع فيه أيضاً ، وكون هذا العلاج مؤلماً وشاقاً إنما هو للعلاج والاستئصال لأى داء أوجريمة تقع فى المجتمع ولنشر الأمن والسلام بين الجميع .

تحقيق السماحة واليسر فى تصرفات المكلفين

لقد حرصت الشريعة الإسلامية الغراء منذ البداية على تحلية المكلفين بها بأوصاف السماحة واليسر وإلزامهم بها ، وباعتبارها أكمل الأوصاف لاطمئنان النفوس وأعون على قبولها الهدى والارشاد .

ولقد كان النبي ﷺ أول من خوطب بهذا الأمر قال جل شأنه : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [آل عمران : 159]

وانطلاقاً من هذا التوجيه الربانى عمل الرسول ﷺ على تربية أصحابه وجميع أمته على هذه الأوصاف وغرسها فى نفوسهم فى كل موقف من مواقف حياتهم ، فهذا الأقرع بن جابس التميمى عندما سأل النبى ﷺ عن الحج أفى كل عام يا رسول الله؟ نرى الرسول ﷺ ينهى عن الأسئلة التى يترتب عليها أحكام تؤدى إلى التشديد والمشقة على الأمة فيقول ﷺ : « **لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ذرونى ما تركتكم عليه ، فإنما هلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم**[1] .

ويؤكد هذا النص ويعضده فى موقعه الخاص ماورد عن النبى ﷺ أنه قال « **إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد حدوداً فلا تعتدوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها** » [2] .

وقد جاء فى القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾

[المائدة : 101]

وفى حديث الطبرانى عن ابن عباس قال : خطب رسول الله ﷺ فقال : « **إن الله قد أعطى كل ذى حق حقه ، ألا إن الله قد فرض فرائض ،وسن سنناً ، وحد حدوداً وأحل حلالاً ، وحرم حراماً ، وشرع الدين فجعله سهلاً سمحاً ، واسعاً لم يجعله ضيقاً ، ألا إنه لا إيمان لمن لا أمانه له ، ولا دين لمن لا عهد له**»[3] .

1- البخارى كتاب الاعتصام باب الاقتداء بسنة رسول الله رقم 7288 صـ 1032 . - مسلم كتاب الحج باب فرض الحج مرة رقم 1337 صـ 557 . عن أبى هريرة.

2- ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد كتاب العلم باب اتباع السنة 446/1 وعزاه للطبرانى فى الكبير 221/22 - الدار قطنى فى سننه 184/4 .

3-ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد كتاب العلم باب اتباع السنة 1 / 417 وعزاه للطبرانى فى الكبير 11532 - وأبو يعلى رقم 2458.

ومن تمام حرص النبى ﷺ ورعايته لإقامة وصف السماحة واليسر فى الأمة فقد اعتبر كل إنسان يكون سبباً فى تحريم أمر على الأمة ، لم يُحرَّم عليها إلا بسبب مسألته اعتبره مجرماً فعن سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أعظم المسلمين فى المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرم على المسلمين فحرم عليهم من أجل مسألته»[1] .

وعلق الإمام النووى على هذا الحديث فقال : ربما كان لتحريم شيء على المسلمين فتلحقهم المشقة[2] .

والذى يجب فهمه من هذا الحديث عدم القصد إلى منع السؤال مطلقاً لأن ذلك يؤدى إلى المشقة والحرج اللذين جاء الحديث لرفعهما ، وإنما ورد المنع عن السؤال تكلفاً وفيما لاتدعوا الحاجة إليه .

وقال الإمام الخطابى : وهذا الحديث فيمن سأل تكلفاً أو تعنتاً فيما لاحاجة به إليه ، فأما من سأل لضرورة بأن وقعت له مسألة فسأل عنها فلا إثم عليه[3] .

وفى مقابل هذا نجد أن النبى ﷺ قد أثنى على الرجل يتحلى بالسماحة واليسر فى جميع معاملاته وتصرفاته ، سواء كان ذلك مع نفسه أو مع غيره فقال ﷺ « رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى[4] .

ويرى الإمام ابن حجر أن المقصود بالمسامحة فى هذا الحديث هى ترك المضاجرة ونحوها لا المكايسة فى ذلك ، وفى الجملة هى المساهلة فى التعامل[5] .

وعلق ولى الله الدهلوى على هذا الحديث قائلاً : السماحة أصل من أصول الأخلاق التى تتهذب بها النفس وتتخلص بها عن إحاطة الخطيئة وأيضاً فيها نظام المدينة وعليها بناء التعاون وكانت المعاملة بالبيع والشراء والاقتضاد مظنة لضد السماحة فسجل النبى ﷺ على إستحبابها[6] .

وفى الجملة كان النبى ﷺ يرهب من التشديد والعنت فى الدين ، ويرغب فى

1- البخارى كتاب الإعتصام بالسنة باب مايكره من كثرة السؤال رقم 7289 صـ 1344 و مسلم رقم 2358 3,2- صحيح مسلم بشرح النووى 15/120-121 .

4- البخارى كتاب البيوع باب السهولة والسماحة فى الشراء والبيع رقم 2076 صـ 361 عن جابر بن عبد الله .

5- فتح البارى 4 / 376 .

6- حجه الله البالغة 2 / 297 .

اليسر والسماحة فعن محجن بن الأدرع أنه ﷺ قال: «إنكم لن تنالوا هذا الأمر بالمغالبة وخير دينكم أيسره»[1] وكذلك فى قصة الثلاثة الذين تقالوا عبادة النبى ﷺ نراهم يشددون على أنفسهم فينهاهم النبى ﷺ عما عقدوا عليه العزم، والقصة كما جاءت فى الصحيح عن أنس بن مالك قال: «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادته، فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبى ﷺ وقدغفرله ماتقدم من ذنبه وما تأخر؟فقال أحدهم: أما أنا فإنى أصلى الليل أبدا وقال آخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أما أنا فأعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله ﷺ فقال «أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنى أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى»[2].

لقد كانت هذه الأوصاف التى سعى النبى ﷺ إلى غرسها فى أصحابه وأمته كانت سلوكاً طبيعياً فى شخصه ﷺ يسرى فى جميع تصرفاته الخاصة والعامة، نلمس ذلك من قول أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها «ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين الا اختار أيسرهما مالم يكن إثما[3] ومن هذا السلوك النبوى السامى كانت تنبع وصايا النبى ﷺ لأصحابه ولرسله إلى الأمم الأخرى.

فقد جاء فى قوله لمعاذبن جبل وأبو موسى الأشعرى عندما بعثهما إلى اليمن «يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولاتنفرا، تطاوعا ولا تختلفا» [4]. وعندما بال الأعرابى فى المسجد نراه ﷺ لم يزجره ونهى أصحابه عن زجره فقال« إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين» [5] وهكذا كان ﷺ يعمل دائما على تحقيق السماحة واليسر بين الناس قولاً وفعلاً.

1- أحمد فى مسنده رقم 18873. 14 / 338.

2- البخارى كتاب النكاح باب الترغيب فى النكاح رقم 5063 صـ 968.

3- البخارى رقم 6126صـ 1142. مسلم كتاب الفضائل باب مباعدته ﷺ للآثام واختيار من المباح أسهله رقم 2327 صـ 1023.

4-البخارى كتاب الآداب باب قول النبى ﷺ يسروا ولا تعسروا رقم 6124 صـ 1142.

5-البخارى كتاب الوضوء باب صب الماء على البول فى المسجد رقم 220 صـ 47 عن أبى هريرة.

وجوه السماحة واليسر فى الشريعة الإسلامية

إذا نظرنا إلى مسالك السماحة واليسر ووجوهها فى الشريعة الإسلامية لوجدناها كثيرة جداً نذكر منها ما يلى :-

1- أن الله سبحانه وتعالى لم يجعل ما فيه مشقة على العباد ، مما تتوقف عليه الطاعات والأعمال الداخلة فى العبادة ، كالشروط والأركان .

ومثاله : أن الرسول ﷺ عدل عن جعل السواك من فرائض الصلاة وشروطها، لوجود مشقة قد تلحق بالمكلفين ، وبذلك يكون منافياً لما أسست عليه الشريعة الغراء من التيسير لحديث « **لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة** »[1] .

وكذلك عدم استمراره ﷺ على تأخير صلاة العشاء حتى مضى عامة الليل خوفاً من وقوع المشقة للبعض ، لحديث عائشة رضى الله عنها « أعتم النبى ﷺ بالعشاء حتى ذهب عامة الليل ، ثم خرج فصلى ، ثم قال : إنه لوقتها لولا أن أشق على أمتى »[2] .

2- ومن وجوه التيسير فى الشريعة : أن الله تعالى قد خاطب المكلفين على قدر ميزان العقل الذى أودعه فيهم ، وهيأه لاستقبال هذه الرسالة . قبل أن يدركوا الحكمة وتفاصيل الكلام ، فهذا رسول الله يعلم الناس أوقات الصلاة والقبلة بأبسط ما يعرفون فيقول « **القبلة ما بين المشرق والمغرب** »[3] .

ويقول ﷺ « **وقت الظهر إذا زالت الشمس** »[4] .

3- ومن وجوه السماحة واليسر : جَعْلُ ما يرغب الناس فيه من قبيل الطاعات حتى تتحد الرغبة الذاتية للمكلفين مع واجب الاستجابة للشرع على هذا العمل فيكون أداؤه سهلاً .

قال ولى الله الدهلوى : لقد سن لهم من الطاعات ماهم راغبين فيه بطبيعتهم ، لتكون الطبيعة داعية إلى ما يدعوا إليه العقل فتتعاضد الرغبات[5] .

1-البخارى كتاب الجمعة باب السواك رقم 887 . صـ 156 عن أبى هريرة / مسلم الطهارة رقم 128 صـ 252

2-البخارى مواقيت الصلاة باب النوم قبل العشاء لمن غلب رقم 569 . صـ 104 .

3- الترمذى كتاب الصلاة باب ما جاء أن ما بين المشرق والمغرب قبلة رقم 342 صـ 129 .

4-البخارى كتاب مواقيت الصلاة باب وقت الظهر عند الزوال رقم 541 صـ 100 عن أبى برزة .

5- حجة الله البالغة 1 / 323 .

من ذلك سن الاغتسال يوم الجمعة والعيدين والتطيب عند المساجد، وكجَعل التزين فى المظهر واجباً على النساء لأزواجهن وحرام على غيرهن ، مع أن الزينة أمر محبب إلى كل نفس .

4- ومن وجوه اليسر فى الشريعة : أنها عمدت إلى ضبط أعمال البر والطاعات والعبادات بأركان وشروط وآداب ، ولم تتركها مفوضة إلى عقول المكلفين حتى يسهل عليهم أدائها ، ومع ذلك فإن الشريعة لم تضبط تلك الشروط والأركان ضبطاً دقيقاً ، وإنما تركت بعضاً منه مفوضاً إلى عقول المجتهدين وما يفهمونه من الألفاظ الدالة على ذلك لتساير الشريعة أحوال الزمان والمكان دون أن يلحقها خلل ، أو يلحق الملتزمين بها .

فمثلاً حين أوجبت الشريعة المهر فى النكاح ، نراها لم تحدده بقيمة معينة ، وإنما تركت ذلك محمولاً على أحوال الناس ومعاشهم، وقد اكتفى ﷺ بالتنبيه على أن المهر لا بد وأن يكون فيه شىء من الرفق حتى يكون مدعاة للبركة ، حيث قال ﷺ : « خير النكاح أيسره »[1] .

وبناءً عليه فلو ضبطت هذه الأركان والشروط والآداب ونحوها ، على هذا التفصيل المدقق لصار فى حفظها على تفصيلها حرج شديد ، ولاتجه الناس إلى شكليات الضبط وتخلوا عن معانى هذه الأعمال [2] .

5- ومن وجوه السماحة واليسر فى الإسلام رفع الحرج وهو الضيق والشدة سألت السيدة عائشة رضى الله عنها رسول الله ﷺ عن الحرج فقالت : الضيق والحرج الذى عملت الشريعة على رفعه هو : كل ضيق ومشقة حسية كانت أو معنوية تلحق المكلف فتخرج به عن السماحة المعتادة ولا تبلغ حد الضرورة المتلفة للأبدان والأموال [3] .

ومعنى رفع الحرج هو الأخذ بالسماحة والسعة من جانب الشارع الحكيم فى تشريع الأحكام ، والتزام المكلفين جانب الاعتدال والتيسير فى تطبيقها، وهذا يعد من أعظم صور السماحة واليسر فى الشريعة الإسلامية ، بخلاف غيرها من الشرائع فإن المتتبع للأديان السابقة ، يجد أن العبادة فيها لا تحصل إلا على جسر من المشقة التى

1- أبو داود كتاب النكاح باب فيمن تزوج ولم يسم صداقاً رقم 2117 صـ325 عن عمر .

2- المقاصد العامة للشريعة الإسلامية صـ351 . 3- المقاصد العامة للشريعة صـ354 .

تلحق الأنفس ، والأبدان وتعذيبها، وكان الاعتقاد السائد بين أهلها يومئذ بأن طهارة الروح ونزاهة النفس متوقفة على مدى قوة الألم الذى يلحق بالجسم والنفس معاً.

مثال ذلك من التكاليف الشاقة التي فرضت عليهم، كقتل النفس فى قوله تعالى: ﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾[البقرة:54]. وكقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب ومعاقبتهم على المعاصى فى أبدانهم ، وفضح العاصى منهم على باب داره إلى غير ذلك مما أصابهم من الشدائد والمحن[1].

إن هذا الإصر الكبير والحرج العظيم الذى شاع فى الأديان السابقة قد وضعه الله عن أمة الإسلام رحمة بها قال سبحانه ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ [البقرة:286]

فهاتان الآيتان تدلان على أن الله تعالى لن يحمل على أمة محمد ﷺ عهد أو ميثاق لا تستطيعه أويشق عليها الإتيان به فضلاً عن عدم تحميلها مالا طاقة لها به.

ومن الأدلة على نفى مظاهر التشديد عن هذه الأمة حلول مظاهر السماحة والتيسير محلها ، كما خاطب المولى سبحانه النبى ﷺ بقوله ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:107]. والوصف بالرحمة ينتفى معه أى شدة أو محنة ومن ذلك أيضاً قوله سبحانه ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:286]

والأدلة على هذا قد تكاثرت وتضافرت حتى بلغت مبلغ القطع واليقين على أن الحرج موفوع عن هذه الأمة فى دينها كما قال الإمام الشاطبى « إن ا لأدلة على رفع الحرج عن هذه الأمة قد بلغت مبلغ القطع»[2].

ومن هذه الأدلة قوله تعالى ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:78] ذهب جمهور المفسرين إلى أن الآية دالة على أن كل ما يعرض للمكلف من قصور فى الإتيان بالعزائم، أو الإخلال ببعضها فى الأداء أو الخروج منها إلى غيرها دون موجب شرعى، أو الدخول فى المحرم من غير سبب شرعى مبيح لذلك قد شُرِّع له ما يعوضه، أو يزيل آثاره، وعلى هذا فقد شرعت التوبة، والكفارات والرخص فى حقوق الله تعالى، وشرعت العقوبات والديات فى حقوق العباد[3].

1- المقاصد العامة للشريعة صـ355.

2-الموافقات للإمام الشاطبى 2/ 302.

3- المقاصد العامة للشريعة 359.

هذا ولم يقتصر رفع الحرج على المشقة الحسية فقط، بل اشتمل أيضاً على رفع الحرج المعنوى- النفسى- الذى تنفر منه طبائع المكلفين.

ولقد كان الرسول ﷺ حريصاً على تجنب كل ما يؤدى إلى إيقاع الحرج فى النفوس، واختلاف فى القلوب، وتلك من الرحمة والتيسير فى شريعة الإسلام يشهد لذلك حديث السيدة عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال: «**لو لا حدثان قومك بالكفر لنقضت الكعبة وبنيتها على أساس إبراهيم عليه السلام**[1] وكذلك ما حدث منه ﷺ فى حجة الوداع حينما سأله الناس عن التقديم والتأخير« **فما سئل عن شيء إلا قال لا حرج**»[2]. وهكذا فقد كان ﷺ يميل إلى التيسير فى كل أمر من حياته ﷺ.

6 - ومن وجوه السماحة واليسر فى الشريعة: تشريع الرخص[3] فى محل الأعذار الموجبة لذلك حملا للمكلفين على جهه التيسير ونفياً للحرج المترتب عن المشقه غير المعتادة، التى قد تلحقهم إذا ما التزموا بالعزائم فى تلك المواقع.

يقول الإمام الشاطبى «إن الرخصة أصلها التخفيف عن المكلف ورفع الحرج عنه حتى يكون من ثقل التكليف فى سعة واختيار»[4].

ولقد تواترت الآيات الدالة عموماً وخصوصاً على مشروعية الرخص من ذلك: قوله سبحانه: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: 172]

وقوله جل وعلا: ﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: 119]

وقوله سبحانه: ﴿لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: 4]

وقوله سبحانه: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ [النساء: 100]

وقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: 184]

وقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [المائدة: 6] إلى غير ذلك من الآيات.

1- صحيح البخارى كتاب الحج باب فضل مكه وتبيانها رقم 1585 صـ 279.

2-أبو داود كتاب المناسك باب فيمن قدم شيئاً قبل شيء رقم 2014 صـ 310 عن عبد الله بن عمرو.

3- الرخصة: هى تخفيف الحكم من الصعوبة إلى السهولة لعذر مع قيام السبب لحكم الأصل.

4- الموافقات للشاطبى 1 / 274.

وتؤكد السنة المطهرة هذا الأمر من خلال قول النبى ﷺ «إن الله يجب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته»[1] .

قال ابن عمر تعليقا على هذا الحديث : ومن لم يقبل رخصة الله كان عليه الإثم إذا تمسك بالعزيمة فشق عليه العمل .

ولقد عمت الرخصة فى الإسلام العبادات وغيرها فقد رخص الإسلام فى ترك الصيام للمسافر[2] والمريض، وكذا قصر الصلاة فى السفر أو الصلاة على أى وجه لمن لم يقدر على القيام لها ، كذا رخص الإسلام فى أكل الميتة لمن خاف على نفسه الهلاك .

وعلق الإمام الشاطبى على هذه الأدله قائلاً : « ما ثبت من مشروعية الرخص أمر مقطوع به، وهو مما علم من دين الأمة ضرورة كرخص القصر والجمع فى الصلاة، والفطر فى السفر أو المرض وتناول المحرمات وقت الاضطرار، وهذا مما يدل قطعا على مطلق السماحة ورفع الحرج والمشقة[3] .

وإذا تأملت فى سر تشريع الرخص فى محل العزائم لوجدته يعود إلى عظم المصلحة التى تستند إليها تلك الرخص، أو لحصول المقصود منها مع ما يحصل من العزيمة، لكن مع سهولة وتخفيف[4] .

قال الإمام ابن حجر : « إن الأخذ بالعزيمه فى موضع الرخصة تنطع، كمن يترك التيمم عند العجز عن إستعمال الماء فيفضى به إستعماله إلى حصول ضرر» [5] .

7- ومن وجوه التيسير والسماحة فى الشريعة : ما أبيح أو شرع توسعة على العباد مع وجود ما قد يعارضه من النصوص .

مثال ذلك قوله سبحانه : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة:172]

وقوله سبحانه : ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: 198]

1- أحمد بن حنبل فى مسنده رقم 5866 - 5/ 272عن ابن عمر .

2- لحديث « ليس من البر الصيام فى السفر» البخارى كتاب الصوم باب ليس من البر الصيام فى السفر رقم1946صـ339 .

3 الموافقات للشاطبى 1/ 278

4-المقاصد العامة للشريعة 372 .

5- فتح البارى لابن حجر 1/ 566 .

ويلحق بهذه النصوص مادل على إباحة التمتع بجميع أنواع الملاذ مالم تكن حراماً لأن الأصل فى الأشياء الإباحة ما لم تثبت حرمتها.

فهذه النصوص والقواعد وما يدخل تحتها قد يُعَارَضُ بقوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56] وقوله تعالى ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: 132]

فالمتأمل لهذه النصوص يجد أن إباحة الطيبات والسعى فى طلب الرزق والتمتع بالملاذ هو من باب التوسعة على الناس حتى ينالوا حظوظهم من الدنيا ومآربهم فيها إلى جانب العبادة لله رب العالمين.

درجات التسمح وحظ المسلمين منها

إننا إذا نظرنا إلى التسامح فى الإسلام نجد أنه لايقف عند حد معين ، بل إن التسامح الدينى والفكرى له درجات ومراتب ومنها ما يتفوق ويرقى إلى ما يسمى بروح التسامح فى الإسلام .

أ- فالدرجة الدنيا من التسامح: أن تدع لمن يخالفك حرية دينه واعتقاده ، ولا تجبره بالقوة على اعتناق دينك أومذهبك ، بحيث إذا أبى حكمت عليه بالموت أو العذاب أو المصادرة أو النفى ، أو غير ذلك من ألوان العقوبات والاضطهادات عملا بقول الله عز وجل ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: 256] وقوله جل شأنه ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: 6] فالمخالف له حرية الاعتقاد ، بيد أنه لا يمكن من ممارسه واجباته الدعوية التى تفرضها عليه عقيدته ، أو أن يعمل على نشرها والتمكين لها فى الأرض .

ب - والدرجة الوسطى من التسامح : أن تدع له حق الاعتقاد بما يراه من ديانة أو مذهب ثم لا تضيق عليه بترك أمر يعتقد وجوبه أو تجبره على فعل أمر يعتقد حرمته ، فإذا كان اليهودى مثلا يعتقد حرمة العمل يوم السبت ، فلا يجوز أن يكلف بعمل فى هذا اليوم لأنه حين يعمل يشعر بأنه يخالف أوامر دينه ، وكذا النصرانى الذى يعتقد بوجوب الذهاب إلى الكنيسة يوم الأحد فلا يجوز أن يمنع من الذهاب إليها [1] .

جـ- وأعلى درجات التسامح: ألا تضيق على المخالفين فيما يعتقدون حله فى دينهم أو مذهبهم وإن كنت تعتقد أنه حرام فى دينك أو مذهبك ، وهذا ما كان عليه المسلمون الأوائل مع من خالفهم من أهل الذمة ، فقد التزموا كل ما يعتقده غير المسلم أنه حلال فى دينه ووسعوا له فى ذلك ، ولم يضيقوا عليه بالمنع أو التحريم ، مع أنهم كان يمكنهم ذلك ، مراعاة لشريعة الدولة ودينها ولا يهتموا بكثير من التعصب أو قليل ، ذلك لأن الشىء الذى يحله دين من الأديان ليس فرضاً على أتباعه أن يفعلوه ، فإذا كان دين المجوسى يبيح له الزواج من أمه أو أخته فيمكنه أن يتزوج من غيرها ولا حرج . وإذا كان الإنجيل قد جاء بإباحة الخمر فليس من الفرائض أن يشرب المسيحى الخمر ، فلو أن الإسلام قال للذميين دعوا زواج المحارم وشرب الخمر وأكل الخنزير مراعاة لشعور إخوانكم من المسلمين لم يكن عليهم فى

1- غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى د / يوسف القرضاوى 45 .

ذلك أى حرج دينى لأنهم إذا تركوا هذه الأشياء يكونوا لم يرتكبوا منكراً ولا يكونوا قد أخلوا بواجب مقدس ، و مع هذا لم يقل الإسلام بشىء من ذلك ولم يشأ أن يضيق على غير المسلمين فى أمر يعتقدون حله بل قال للمسلمين اتركو هم ودينهم[1]

والتسامح فى الإسلام لا يقف عند هذا، بل هناك أشياء أخرى لا تدخل فى نطاق الحقوق التى تنظمها القوانين، ويُلزم بها القضاء أو تشرف على تنفيذها الحكومات وهذا ما يسمى بـ« روح السماحة » التى تبدو فى حسن المعاشرة ولطف المعاملة ورعاية الجوار وسعة المشاعر الإنسانية من البر والرحمة والإحسان وهى الأمور التى تحتاج إليها الحياة اليومية ولا يُغنى فيها قانون ولا قضاء ، وهذه الروح لا تكاد توجد فى غير المجتمع الإسلامى ، كما شهد بذلك غير المسلمين .

فيقول « آلان بيرنز » فى كتابه - التفرقة بين الأجناس والألوان - مقرراً حقيقة التسامح فى الإسلام : إنه من المقرر أن الإسلام كان أكثر تسامحاً من الدين المسيحى فى الفخر والمباهاة بالأصل والعنصر ، والتعصب للفكرة القومية وهو لا يبالى بألوان البشر والطوائف ، ويحطم الحواجز التى تقام بين الناس والإسلام أو أى دين آخر غير الإسلام، وبين الرجال والنساء من أصول مختلفة ، وشوهد أن الغزاة العرب تزوجوا بمحض إرادة الطرفين نساء من بلاد وأصول غير عربية ، كما زوجوا بناتهن من المسلمين السود وهذه حقيقة بعيدة المدى[2] .

وبانتشار الإسلام سادت المساواة بين الأمة الإسلامية ، وزالت التفرقة العنصرية، فالإسلام لم يميز طائفة على أخرى ، لم يميز البيض على السود ولم يفكر فى اللون أو الجنس أو العصبية وكانت السماحة هى سمة التعامل بين الجميع، بين المسلم والمسلم ، وبين المسلم وغيره ، وتتجلى فى مثل قول القران الكريم فى شأن الوالدين المشركين اللذين يحاولان إخراج ولدهما من التوحيد إلى الشرك فيأمر الولد بعصيا نهما ولكنه لم ينهه عن برهما والإحسان إليها، فيقول القرآن للولد ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: 15]

والقرآن يرغب المسلمين فى السماحة والبر والإقساط إلى من خالفوهم فى

1- غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى د / القرضاوى47.

2- عظمة الإسلام محمد عطية الإبراشى 332/1 .

الدين ولم يقاتلوهم يقول الله تعالى ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: 8]

وعلى الرغم مما قاساه النبى ﷺ من أهل مكة من العنت والأذى هو وأصحابه نراه يبعث إليهم مالاً عام القحط ليوزع عليهم.

وتتجلى روح السماحة كذلك فى معاملة الرسول ﷺ لأهل الكتاب يهوداً كانوا أونصارى فقد كان يزورهم ويكرمهم ويحسن إليهم ويعود مرضاهم ويأخذ منهم ويعطيهم [1].

ذكر ابن اسحاق فى السيرة أن وفد نجران وهم من النصارى لما قدموا على رسول الله ﷺ دخلوا عليه مسجده بعد العصر فقاموا يصلون فى مسجده فأراد الناس منعهم فقال رسول الله ﷺ : دعوهم فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم [2].

ومن هذه القصة أباح الإمام ابن القيم جواز دخول أهل الكتاب مساجد المسلمين وتمكينهم من الصلاة فيها [3].

ومن أفعال الرسول ﷺ يتضح لنا كيف كان حظ المسلمين من التسامح كبيراً فقد عامل الرسول ﷺ اليهود وقبل منهم الهدايا واستعان بهم واستقرض منهم فقد مات النبى ﷺ ودرعه مرهونةعند يهودى [4]. فى طعام عياله وكان فى وسعه ﷺ أن يقترض من أصحابه وما كانوا ليضنوا عليه بشىء ولكنه أراد أن يعلم أمته مدى السماحة واليسر وجواز التعامل بين المسلمين وغيرهم [5].

ولقد سار أصحاب النبى ﷺ على نهج نبيهم فكانت السماحة هى عنوان التعامل فى حياتهم العامة والخاصة كما سنبين ذلك فى فصل معاملة المسلم لغير المسلم إن شاء الله تعالى.

1- غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى د / القرضاوى 48.
2- سيرة ابن هشام 1 / 206.
3- زاد المعاد 3 / 638
4- الحديث رواه البخارى في كتاب المغازى باب وفاة النبى رقم 4467 عن عائشة صـ 809.
5- عظمة الرسول محمد عطية الإبراشى 212.

الأساس الفكرى لتسامح المسلمين

مما سبق يمكن أن نقول أن أساس النظرة المتسامحة التى تسود المسلمين فى معاملة مخالفيهم فى الدين يرجع إلى الأفكار والحقائق الناضعة التى غرسها الإسلام فى عقول المسلمين وقلوبهم وأهمها ما يلى :-

1 - إعتقاد كل مسلم بكرامة الإنسان أياً كان دينه أو جنسه أو لونه . قال تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء:70] وهذه الكرامة أوجبت لكل إنسان حق الاحترام والرعاية[1] .

2- إعتقاد المسلم أن اختلاف الناس فى الدين إنما هو واقع بمشيئة الله تعالى الذى منح هذا النوع من خلقه الحرية والاختيار فيما يفعل أو يترك قال تعالى ﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف:29]. وقوله سبحانه ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ [مود:118]. والمسلم موقن بمشيئة الله فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، ولهذا لم يؤمر المسلم بأن يجبر الناس حتى يكونوا كلهم مسلمين . قال تعالى للرسول الكريم ﷺ ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس :99]

كما أن المسلم ليس مكلفاً بأن يحاسب الكافر على كفره ، أو يعاقب الضال على ضلاله ، وإنما حسابهم يرجع إلى الله تعالى فى يوم الحساب يقول سبحانه وتعالى مخاطباً رسوله ﷺ فى شأن أهل الكتاب : ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [الشورى:15] وبهذا يستريح ضمير المسلم ولا يجد فى نفسه أى أثر للصراع بين اعتقاده بكفر الكافر وبين مطالبة الإسلام له بأن يبره ويقسط إليه وأن يقره على ما يراه من دين واعتقاد .[2] .

3- إيمان المسلم بأن الله تعالى يأمر بالعدل ويحب القسط ويدعوا إلى مكارم

1،2-غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى د / القرضاوى 52.

الأخلاق ولو مع المشركين . كما أنه يكره الظلم ويعاقب الظالمين ، ولو كان الظلم من مسلم لكافر قال سبحانه ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: 8]. . ولحديث رسول الله ﷺ محذراً من الظلم ومن دعوة المظلوم قائلاً « دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجراً ففجوره على نفسه . »[1].

1- رواه أحمد في مسنده رقم 4781 عن أبي هريرة 421/8.

الفصل الثاني

علاقة المسلم بغير المسلم فى ظلال التسامح الإسلامى

- ★ من هم غير المسلمين ودستور التعامل معهم ؟.
- ★ موقف الإسلام من الديانات السابقة.
- ★ مقارنة بين سماحة الإسلام وغيره من الأديان.
- ★ حقوق غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى.
- ★ الحقوق التى فرضها الإسلام على غير المسلمين.
- ★ تحقيق العدالة الإسلامية.
- ★ نماذج من عدالة الحكام والقضاة مع غيرهم.
- ★ احترام العهود والمواثيق.
- ★ صور من التسامح الفعلى عبر العصور.
- ★ شهادة الغرب بالعدل والتسامح الإسلامى.
- ★ فتاوى علماء المسلمين فيما يخص التعامل مع غير المسلمين.

علاقة المسلم بغير المسلم فى ظلال التسامح الإسلامى

قبل أن نشرع فى الحديث عن علاقة المسلم بغير المسلم فى ظل سماحة الإسلام، لابد لنا أن نتعرف أولاً على أمرين: من هم غير المسلمين، وماهو الدستور الذى من خلاله يتعامل المسلم مع غيره.

• من هم غير المسلمين:

جرى العرف على تسمية المواطنين الذين يعيشون فى أرض الإسلام وهم غير مسلمين بإسم « أهل الذمة - أو الذميين »

والذمة فى اللغة معناها: العهد والأمان والضمان.

وأهل الذمة: هم المستوطنون فى بلاد الإسلام من غير المسلمين[1].

وإنما سموا بذلك لأن لهم عهد الله وعهد رسوله وعهد جماعة المسلمين، أن يعيشوا فى حماية الإسلام، وفى كنف المجتمع الإسلامى آمنين مطمئنين، فهم فى أمان المسلمين وضمانهم بناءً على عقد الذمة، فهذا العقد يعطيهم ما يشبه فى عصرنا الحاضر الجنسية السياسية التى تعطيها الدولة لرعاياها فيكتسبوا بذلك حقوق مواطنيها ويلتزمون بواجباتهم تجاهها، فهم يدفعون الجزية فى مقابل أن يُقرهم المسلمون على دينهم، وأن يتمتعوا بحماية الجماعة الإسلامية ورعايتها، بشرط التزامهم أحكام القانون الإسلامى فى غير الشئون الدينية وبهذا يصيرون من أهل دار الإسلام لهم حقوق وعليهم واجبات[2].

دستور التعامل مع غير المسلمين:

لم يكن تعامل المسلمين مع غيرهم أمراً متروكاً للحرية الشخصية أو المنفعة أو الهوى، بل حدد الإسلام أساس التعامل مع غير المسلمين وجعل دستوره فى ذلك قول الحق جل شأنه ﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الممتحنه: 9,8]

1,2- غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى د/ يوسف القرضاوى 7- العدل والتسامح فى ضوء الإسلام أ- السيد المخزنجى 42- الإسلام وأهل الذمة د/ على الخربوطى 65.

هذه الآية تحدد من هم الذين يجوز التعامل معهم من غير المسلمين، مع إمكان البر والقسط وهؤلاء هم الذين يعيشون فى سلم وأمان مع المسلمين وأن تكون العلاقة بينهم قائمة على أساس من التعاون والمودة والسلام ، و هى علاقة يتضاءل أمام روعتها أحدث ما عرفه العقل البشرى فى العلاقات الدولية العامة فالإسلام دين سلام وعقيدة وحب ونظام يستهدف أن يظلل العالم كله بظله، وأن يقيم فيه منهجه، وأن يجمع الناس تحت لواء الله إخوة متعارفين متحابين ، حتى فى حالة الخصومة يستبقى أسباب الود فى النفوس ، بنظافة السلوك ،وعدالة المعاملة .

والإسلام يجعل الحياة بين المسلم وغيره فى حالة سلم دائمة ثابتة لا تتغير إلا بوقوع اعتداء حربى أو خيانة بعد معاهدة ، أو الوقوف فى وجه حرية الدعوة وحرية الاعتقاد وهو كذلك اعتداء وفيما عدا هذا فهى السلم والمودة والبر والعدل للناس أجمعين [1].

إن المسلم يعيش فى هذه الأرض لعقيدته ، وتلك هى الراية الوحيدة التى يقف تحتها فمن وقف معهم تحتها فهومنهم، ومن قاتلهم فيها فهو عدوهم ، ومن سالمهم فتركهم لعقيدتهم ودعوتهم ولم يصد الناس عنها ، ولم يحل بينهم وبين سماعها، ولم يفتن المؤمنين بها ، فهو مسالم لا يمنع الإسلام من البر به والقسط معه ، وهذا ما فعله النبى ﷺ وأصحابه من بعده . .

ولم يأمر الإسلام أتباعه بسلوك طريق الإجبار والقهر فى الدعوة إليه ، بل سن مبدأ حرية المناقشات الدينية ، فنصح الله تعالى المسلمين أن يلتزموا مواجدة العقل والمنطق فى مناقشاتهم مع غير المسلمين من أهل الأديان الأخرى ، وأن يكون عمادهم الإقناع ، وقرع الحجة بالحجة والدليل بالدليل يقول تعالى مخاطبا رسوله ﷺ بقوله سبحانه : ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: 46]

وهكذا كان الجدل بالحوار والأدلة والحجج والبراهين العقلية المنطقية ، ولم يكن بالسلاح والقهر كما زعم البعض فدخل الناس فى دين الله أفواجاً عن حب واقتناع ورضى [2].

1- فى ظلال القران . سيدقطب 3544/6-3545.

2- العدل والتسامح فى ضوء الإسلام 64-65.

موقف الإسلام من الديانات السابقة

إن الذى يظن أن الإسلام دين لا يقبل جوار دين آخر، أوأن المسلمين قوم معتدون لا يستريحون إلا إذا انفردوا فى العالم بالبقاء والتسلط هو إنسان مخطىء بل متحامل جرىء، لأن الإسلام ينظر إلى الأديان الأخرى نظرة تسامح، فى إطار حسن العلاقة والجوار، ومن ثم فهو يدعوا دائماً وأبداً إلى العدل والتسامح فى التعامل مع أصحاب هذه الأديان - غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى - وسمته أنه التسامح غير الذليل الذى لا يدعوا إلى السلم المفروض يقوله تعالى: ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: 256] ويعترف كذلك بما قبله من كتب سماوية صحيحة، وينصح الناس بالتعايش الاجتماعى السلمى، ولا ينال هذا الدين الحنيف من عقيدة الآخرين على الإطلاق، بل ينظر دائماً إلى أهل الذمة بعين الرعاية والعدل والتسامح فى التعامل معهم، فهو إذن حضارة عامة وشاملة تنتظم كل من يعيش تحت سمائها من أجناس مختلفة فى حرية وود وصفاء [1].

وكما يقول **الأستاذ سيد قطب** : إن المجتمع الإسلامى كما أسلفنا مجتمع حر مفتوح تملك جميع العقائد والمذاهب والآراء أن تعيش فى ظله وليس الإكراه عنصراً من عناصر تكوينه ولا بقائه، وهو لا يحمى نفسه بقوة البوليس أوالجستابون، ولا يُخوف من لا يدينون بدينه، ولا يضيق عليهم، ولا يطردهم من الأرض، ولا يغتالهم بحركات التطهير، ذلك أنه يعتمد على الإيمان بالعقيدة، وعلى تطوع كل فرد فيه بصيانة النظام القائم على هذه العقيدة ومن ثم فحدوده مفتوحة بلا حواجز ولا قيود لجميع المسلمين من كل جنس ولون وصقع ولغير المسلمين كذلك من المسالمين، بل إن المشرك يملك فى الوطن الإسلامى أن يستجير فيجار ويتحتم حينئذ على الدولة المسلمة أن تحميه وأن تكفله حتى يبلغ مأمنه قال تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ [التوبة : 6]

لقد أحَلَّ الإسلام الديانات السماوية السابقة، فعندما أرسل الله محمداً ﷺ خاتماً للنبيين ومصدِّقاً للرسل من قبله وأنزل عليه القرآن، جاء القرآن مؤيداً للكتب السماوية المنزلة، ومن لوازم الإيمان أنه لا يصح الإسلام بغير إيمان

1- العدل والتسامح فى ضوء الإسلام 108.

بالأنبياء السابقين وبما أنزل عليهم من كتب[1]. يتجلى ذلك في قول الله جل وعلا مخاطباً عباده المؤمنين ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: 135] .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: 248]

ومما يدل على أن الإسلام مكمل لما قبله من رسالات ماجاء في القرآن مشيراً إلى تصديق كل الرسالات بعضها ببعض يقول سبحانه﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ [المائدة: 43]

وقوله سبحانه عن عيسى عليه السلام : ﴿وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: 47]

وفي قوله عن أهل الكتاب من يهود ونصارى ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [المائدة: 68]

وفي قوله للنبي ﷺ ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴾ [آل عمران: 2,4]

من هذه الآيات وغيرها نستطيع القول بأن الدين عند الله تعالى واحد ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: 19]

ولقد جاء الإسلام معترفاً بما سبقه من الأديان بل جاء مصدقاً لما فيها من قبل أن تحرف أو تبدل ومن هنا فقد أقر المسلمون بنبوة موسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام، بل ويدافعون عما أتى به كل الأنبياء ما دام لم ينسخ في شرعهم[2].

1- سماحة الإسلام د/ أحمد الحوفي 167-168.

2- سماحة الإسلام 168.

إن الإسلام لا يحارب اليهودية ولا النصرانية ولا يحقد على اليهود ولا على النصارى، فليس فيه تعصب على أى منهم، وليس فيه أيضاً اتهام لنبى ولا تهجم على رسول ممن سبقه.

ولكى يتضح لنا موقف الإسلام جلياً من الديانات السابقة نعقد مقارنه بسيطه بينهم.

• مقارنه بين سماحة الإسلام وغيره من الأديان:

فإذا عقدنا المقارنة بين سماحة الإسلام وغيره من الأديان لوجدنا أن الإسلام قد فاق كل الأديان قبله سماحة وعدلاً، يتضح ذلك من احترامه للأديان السابقة وأهلها، كما بينا قبل قليل، مع ذلك نجد أن كل الأديان السابقة قد أعلنت العداء بعضها على بعض وكلها مجتمعة تعادى الإسلام.

فهناك العداء بين اليهود والنصارى، فاليهود يدنيون بأن موسى نبى الله وأن بنى إسرائيل هم شعب الله المختار، وأن الله اصطفاهم من بين الشعوب ليكونوا حملة الدين الحقيقى، وأن الله قد اصطفى الشعب العبرى ليكون-شعبه- وأنه يقوم برعايته وإرشاده والسهر على مصالحة، بينما لم تحظ الشعوب الأخرى بشىء من هذا قط[1] ويزعمون أن عيسى ومحمد كاذبان وأتباعهم ضالون فلاً قيمه فى نظر اليهود للمسيحية ولا للإسلام ولا حرمة لهم.

والنصارى مع إقرارهم بنبوة موسى وبالتوارة، لكنهم ينقمون على اليهود لأنهم يجرحون نسب عيسى ويجحدون برسالته. أما الإسلام فى نظرهم فهو دين افتراه عربى ادعى النبوة، وادعى أن دينه ينسخ ما قبله، وفي زعمهم أن الدين الناسخ لما قبله إنما هو المسيحية فيجب أن تنفرد بالبقاء والسيادة[2]

أرأيت كيف ينظر اليهود إلى النصارى وإلى الإسلام؟ وكيف ينظر النصارى إلى اليهود وإلى الإسلام؟ ثم أرأيت كيف ينظر الإسلام إلى كل من اليهودية والنصرانية وكيف يعامل المسالم من أهلهما؟ [3].

1- الإسلام وأهل الذمة د/ الخربوطلى 207

2-سماحة الإسلام 169.

3-سماحة الإسلام 169.

إن الإسلام ينظر إلى الأديان الأخرى- الثابت الصحيح منها- نظرة احترام وتسامح وإجلال، وقد جاء في القرآن الكريم ما يوحد الجزاء لليهودي والنصراني والمسلم إذا استقام كل منهم يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة البقرة: 62]

وأيضاً فإن الإسلام يدعوا إلى تكوين الأخوة الإنسانية العامة الشاملة التي لا تفريق فيها بين الأمم والعناصر والعقائد والمذاهب يقول سبحانة وتعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: 13]

وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: 1]

فأين هذه الدعوات الإنسانية النقية من الدعوات اليهودية التي تدعوا إلى الغرور والاستعلاء بالجنس؟ ومن الدعوات النصرانية التي تتجاهل الإسلام وأهله[1].

إن من أراد أن يعرف فضل التسامح الإسلامي ويعرف سماحة المسلمين على بصيرة فليقرأ ما فعلته الأديان والعقائد الأخرى مع مخالفيهم على مدى التاريخ فالضد يظهر حسنه الضد[2]، وكذلك ليقرأ كل منصف موقف أصحاب العقائد اللادينية الحديثة ودعاة الأيدلوجيات الانقلابية في القرن العشرين، ويرى ماذا فعلوا بخصومهم؟ وكيف عاملوا ويعاملون مخالفيهم في المذهب والاتجاه وإن كانوا من أهليهم؟.

ليقرأ كل باحث عن الحق ثم يدرس كيف يعيش المسلمون في عصرنا هذا القرن الحادي والعشرين وهو ما يسمى بعصر العلم والنور والتقدم والحضارة، عصر حقوق الإنسان والأمم المتحدة، لينظر إلى المسلمين الذين يعيشون في

1- الإسلام وأهل الذمة د/ الخربوطلي 207.

2- يأتي بيان ذلك في الفصل الثالث تحت عنوان « معاملة غير المسلمين للمسلمين على مر العصور»

البلاد غير الإسلامية - الصين- الهند - روسيا- أمريكا- وغيرها من البلدان فكم يعانون من عنت واضطهاد وإهدار للحقوق الإنسانية مع أنهم قديكونوا أغلبية السكان، أولهم أقاليم خاصة بهم، ومع ذلك فهم يمنعون من ممارسة شعائرهم الدينية أوربما الجهر بها، فلا يسمح لهم بإقامة المساجد أو المدارس[1]، وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [سورة البروج: 8] ثم يحول بصره لينظر كيف يعيش غير المسلمين من يهود أو نصارى فى بلاد الإسلام وهم يتمتعون بكافة الحقوق آمنين على أنفسهم وأموالهم يعملون فى بلاد الإسلام ويعيشون تحت قاعدة ذهبية ندر أن تجد مثلها عند غير المسلمين « **بأن لهم ما لمسلمين من حقوق وعليهم ما على المسلمين من الواجبات إلا ما استثنى من الأمور الدينية**» ولا يخفى ذلك عن كل ذى عينين، فالواقع يؤيده ولا يستطيع أن ينكر ذلك إلا جاحد أو مكابر فالإسلام هو دين تسامح ، دين سهولة ويسر ، لا تعصب فيه ولا تعقيد، فهو الدين الذى ارتضاه الخالق جل وعلا لخلقه قال تعالى : ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [سورة المائدة: 3]

1- غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى د/ القرضاوى 71 بتصرف.

حقوق غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى

لقد حدد الإسلام لغير المسلمين الذين يعيشون فى داخل المجتمع الإسلامى جملة من الحقوق التى تكفل لهم حياة كريمة بين المسلمين ، وألزم المسلمين مراعاتها حيالهم كما حدد على غير المسلمين كذلك جملة من الالتزامات أوجب عليهم أداؤها للمسلمين فى المجتمع الذى يعيشون فيه .

وكانت القاعدة التى شرعها الإسلام فى معاملة غير المسلمين تقوم على : **«أن لهم من الحقوق مثل ما للمسلمين إلا فى أمور محددة مستثناة، كما أن عليهم ما على المسلمين من الواجبات الإما استثنى أيضاً »** [1] .

فأهل الذمة« لهم مالنا وعليهم ما علينا» وقد التزم المسلمون منذ ظهور الإسلام وعلى مدى أربعة عشر قرنا - باستثناء بعض عهود الضعف والتدهور- ووضعوها موضع التنفيذ الدقيق فى كافة معاملاتهم مع غير المسلمين عامة وأهل الكتاب خاصة، وما من شك فى أن الدين الذى يأخذ بهذه القاعدة هو بحق دين العدل والمساواة [2]

وكتب **الإمام الشيخ محمد عبده يقول** : فى ذلك أن المسلمين ظلوا يحفظون حرمة الأديان ويرعون الذمة ، ويعرفون لمن خضع لهم من الملل المختلفة حقه، ويدفعون عنه غائلة العدوان، حتى أصبح من العقائد الراسخة فى نفوسهم أن من رضى بذمتنا فله مالنا وعليه ما علينا [3] .

وفى التاريخ المعاصر أكد الزعيم **سعد زغلول** التزام المسلمين بهذه القاعدة فعندما سأله جورج خياط عن مركز الأقباط ومصيرهم بعد انضمام ممثليهم إلى الوفد فأجاب **سعد زغلول** بقوله : إن للأقباط مالنا من الحقوق وعليهم ما علينا من الواجبات على قدم المساواة [4] .

وفيما يلى جملة من الحقوق التى كفلها الإسلام لغير المسلمين :

1- غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى د/ القرضاوى 9 .

2- معاملة غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى د/ إدوارد غالى 92 .

3- المسلمون والإسلام محمد عبده 142 .

4- معاملة غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى د/ إدوارد غالى صـ 92 نقلا عن مذكرات فخرى عبد النور صـ 47 ط دار الشروق 1992م .

• - الحقوق التى كفلها الإسلام لغير المسلمين :

أولاً حق الحماية :- لقد كفل الإسلام حق الحماية لغير المسلمين الذين يعيشون بداخله وهذه الحماية تشمل حمايتهم من الاعتداء الخارجى ، فجعل على الإمام حفظ أهل الذمة ومنع من يؤذيهم وفك أسرهم ، ودفع كل من يقصدهم بأذى بماله من سلطة شرعية وما لديه من قوة عسكرية ، ولو كانوا منفردين ببلد خاص بهم داخل ديار الإسلام .

كما يشمل حق الحماية حمايتهم من الظلم الداخلى ، وهذا أمر أوجبه الإسلام وشدد فيه تشديداً ، فقد حذر الرسول ﷺ المسلمين من أن يمدوا أيديهم وألسنتهم إلى أهل الذمة- غير المسلمين الذين يعيشون بينهم- بأذى أوعدوان ، والله تعالى ينهى عن الظلم ويحذر من الوقوع فيه ويتوعد فاعله بالعذاب الأليم يوم القيامة .

ولقد جاءت الآيات والأحاديث النبوية فى تحريم الظلم وتقبيحه وبيان آثاره الوخيمة فى الآخرة والأولى .

فمن الآيات قوله سبحانه : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ [إبراهيم: 42]

وقوله سبحانه : ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴾ [إبراهيم: 13]

وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: 22]

وقوله سبحانه : ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: 18]

ومن السنة يقول النبى ﷺ : « من ظلم معاهداً أو انتقصه حقه ، أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة»[1] . وقوله ﷺ : « من آذى ذمياً فأنا خصمه ، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة »[2] . وقوله ﷺ : «من أذى ذمياً فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله »[3] . وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال : « ألا من قتل نفساً معاهداً له ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر - نقص - بذمة الله فلا يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما»[4] .

1-رواه أبو داود كتاب الخراج باب تعشير أهل الذمة رقم 3053 صـ 476 عن صفوان بن سليم عن جماعة من أصحاب النبى ﷺ .

2-رواه الخطيب بإسناد حسن .

3- رواه الطبرانى فى الأوسط بإسناد حسن .

4 - رواه أحمد فى مسنده رقم 20386 عن أبى بكرة 235/15 .

هكذا حرم الإسلام دم الذمى وماله وعرضه ، واشتدت عناية المسلمين بذلك منذ عهد الخلفاء الراشدين بدفع الظلم عن أهل الذمة ، وكف الأذى عنهم والتحقيق فى كل شكوى تأتى من قبلهم، فقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسأل من يفد عليه من الأقاليم عن معاملة ولاته لأهل الذمة، مخافة أن يكون أحد من المسلمين قد أساء إليهم ، فيشهد ون بالوفاء وحسن المعاملة بين الطرفين [1] .

وعن على بن أبى طالب رضي الله عنه أنه قال : إنما بذلوا الجزية لتكون دماؤهم كدمائنا وأموالهم كأموالنا، وذلك حينما أتى لعلى رضي الله عنه برجل من المسلمين قتل رجلا من أهل الذمة، فلما قامت عليه البينة أمر على بقتله ، فجاء أخوه فقال لقد عفوت ، فقال على رضي الله عنه : هددوك وفرقوك ؟ قال لا . ولكن قتله لا يردَّ علىَّ أخى فعوضوا لى ورضيت ، فقال على رضي الله عنه : أنت أعلم، من كانت له ذمتنا فدمه كدمنا وديّته كديتنا .

ويقول د / محمد سليم العوا : إن المساواة بين المسلم والذمى فى الإنسانية وعصمة الدم ، فالذمى معصوم الدم كالمسلم ، واختلاف الدين ليس سببا لإباحة دمه أو ماله بإتفاق، فالمسلم إذا سرق مملوكاً للذمى يقطع فيه، ويقرر الفقهاء هذا الحكم حماية لمال الذمى، وما من شك فى أن حياة الذمى أولى بالحماية من ماله ، ومن غير المنطقى أن نفرض حماية على المال يبلغ العقاب على سرقته بقطع اليد ثم نترك الدم بلا حماية على إطلاق بحجة عدم المساواة فى الدين [2] .

ويقول الشيخ / جمال قطب : أنه لاخلاف مطلقاً عند أى مذهب من المذاهب أن من قتل يقتل، هذه قضية ليس فيها تهريج، أو لف ودوران ، فمن قتل سائحاً مسيحيًا أو يهودياً أو ملحداً فلا بد أن يقتل ، فلا حماية لقاتل أبداً تحت أى ظرف، فالقصاص هنا حتمى عملاً بقول الله تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِى الْقَتْلَى﴾ [البقرة:178] ولفظ القتلى عام يشمل المسلم وغيره [3] .

وقد صح أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى بعض أمرائه فى مسلم قتل ذمياً فأمره أن يدفعة إلى وليه فإن شاء قتله وإن شاء عفا عنه فدفعه إليه فضرب عنقه[4] .

---

1 -غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى د/ القرضاوى 130 .

2- أصول النظام الجنائى فى الإسلام د/ محمد سليم العوا 248 .

3- معاملة غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى د/ إدوارد غالى ـ 96 .

4- مصنف عبد الرازق كتاب أهل الكتابين باب قود المسلم بالذمى 102/10 .

وكما حمى الإسلام أنفسهم من القتل ، حمى أبدانهم من الضرب والتعذيب فلا يجوز إلحاق الأذى بأجسادهم حتى لو تأخروا أو امتنعوا عن اداء الواجبات المالية المقررة عليهم كالجزية والخراج ، ولم يجز الفقهاء فى أمر الذميين المانعين أكثر من أن يحبسوا تأديباً لهم بدون أن يصحب الحبس أى تعذيب أو أشغال شاقة .

ذكر أبو يوسف فى كتاب الخراج [1] : أن حكيم بن هشام وهو من الصحابة رأى رجلاً وهو على حمص يشمس ناساً من النبط فى أداء الجزية فقال : ماهذا ؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول « **إن الله عز وجل يعذب الذين يعذبون الناس فى الدنيا** »[2] .

وفى مثل حماية الأنفس والأبدان عمل الإسلام على حماية مال الذمى وهذا مما اتفق عليه المسلمون فى جميع المذاهب والأقطار، وفى مختلف العصور .

وذكر أبو يوسف فى كتاب الخراج ما جاء فى عهد النبى ﷺ لأهل نجران ، فقال ﷺ : « **ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبى ﷺ على أموالهم وملتهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير** »[3] .

وفى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبى عبيدة بن الجراح « أن امنع المسلمين من ظلمهم والإضرار بهم وأكل أموالهم إلا بحلها » .

ولقد بلغ من رعاية الإسلام لحرمة مال الذمى وممتلكاته، أن الإسلام يحترم ما يعدونه حسب دينهم مالا وإن لم يكن مالا، فى نظر المسلمين ، فالخمر والخنزير لا يعتبران مالاً فى الإسلام، أما بالنسبة لغير المسلم فهما من أنفس الأموال عندهم، لذا حرم الإسلام على المسلم أن يتلف ما يمتلكه الذمى من مثل هذه الأشياء وإن أتلفها المسلم غرّم قيمتها .

وكذلك فقد عمل الإسلام على حماية عرض الذمى وكرامته كما يحمى عرض المسلم وكرامته فلا يجوز لأحد أن يسبه أو يتهمه فى نسبه أو خلقه أو غير ذلك [4] .

1- الخراج لأبى يوسف 125 . غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى د/ القرضاوى 14 .

2- مسلم كتاب البر والصلة باب الوعيد الشديد لمن عذب الناس بغير حق رقم 2613 صـ1132 . وأبو د اود فى كتاب الخراج والفيء والإمارة باب التشديد فى جباية الجزية 3045 صـ 574 .

3- زاد المعاد 636/3 . - الخراج لأبى يوسف 72 .

4- غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى د/ القرضاوى 15-16 .

ويقول الفقيه شهاب الدين القرافى فى كتابه الفروق : إن عقد الذمة يوجب لهم حقوقاً علينا ، لأنهم فى جوارنا وفى خفارتنا - حمايتنا- وذمتنا وذمة الله وذمة رسوله ﷺ ودين الإسلام ، فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة ، فقد ضيع ذمة الله وذمة رسوله ﷺ وذمة الإسلام [1] .

ثانيا: حق حرية التدين والاعتقاد :-

ومن الحقوق التى كلفها الإسلام لغير المسلمين وعمل على حمايتها حق الحرية فى التدين والاعتقاد ، فلكل ذى دين دينه ومذهبه ، لا يجبر على تركه إلى غيره ، ولا يضغط عليه بأى ضغط ليتحول عنه إلى الإسلام ، وأساس هذا الحق قوله سبحانه : ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: 256]

وقوله جل شأنه : ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس : 99]

وقوله سبحانه ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: 6]

وعملاً بهذه الآيات نجد أن الحرية الدينية فى الإسلام ، كاملة غير ناقصة .

يقول صاحب الظلال رحمه الله تعالى [2] : إن قضية العقيدة كما جاء بها هذا الدين ، قضية إقناع بعد البيان والإدراك ، وليست قضية إكراه وغصب وإجبار ولقد جاء هذا الدين يخاطب الإدراك البشرى بكل قواه وطاقاته ، يخاطب العقل المفكر ، يخاطب الوجدان المنفعل ، والفطرة المستكنة ، يخاطب الكيان البشرى بكل جوانبه فى غير قهر بالخارقة المادية التى قد تلجأ مشاهدها إلى الإذعان .

وإن كان هذا الدين لا يواجه الحس البشرى بالخارقة المادية القاهرة ، فهو من باب أولى لا يواجهه بالقوة والإكراه ليعتنق هذا الدين تحت تأثير التهديد أو مزاولة الضغط القاهر والإكراه بلا بيان ولا إقناع ولا إقتناع .

وقد كانت المسيحية وهى - آخر الديانات قبل الإسلام - قد فرضت بالحديد

1- غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى د/ القرضاوى 15- 16 .

2- يراجع ما كتبه الأستاذ سيد قطب فى تفسير الآية 256 من سورة البقرة وكذا فى تفسير الآية 99من سورة يونس ليتجلى لنا بوضوح تلك الحرية الدينية والعقيدية التى كلفها الحق سبحانه وتعالى لجميع خلقه على السواء عملاً بقوله سبحانه « ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف 29] .

والنار ووسائل التعذيب والقمع التى زاولتها الدولة الرومانية بمجرد دخول الإمبراطور -قسطنطين - فى المسيحية بنفس الوحشية والقوة التى زاولتها الدولة الرومانية من قبل ضد المسيحين القلائل من رعاياها الذين اعتنقوا المسيحية إقتناعاً وحباً ولم تقتصر وسائل القمع والقهر على الذين لم يدخلوا فى المسيحية بل إنها ظلت تتناول فى ضراوة المسيحيين أنفسهم الذين لم يدخلوا فى مذهب الدولة وخالفوها فى بعض الاعتقاد بطبيعة المسيح؛ فلما جاء الإسلام عقب ذلك، جاء ليعلن - أول ما يعلن - هذا المبدأ العظيم يقول سبحانه: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: 256]

وفى هذا المبدأ يتجلى تكريم الله تعالى للإنسان، واحترام إرادته وفكره ومشاعره، وترك أمره لنفسه فيما يختص بالهدى والضلال فى الاعتقاد، وتحميله تبعه عمله وحساب نفسه، وهذه من أخص خصائص التحرر الإنسانى، هذا التحرر الذى تنكره على الإنسان فى القرن العشرين مذاهب تعسفية، ونظم مُذِلّة، لا تسمح لهذا الكائن الذى كرمه الله تعالى - باختياره لعقيدته - أن ينطوى ضميره على تصور للحياة ونظمها غير ما تمليه عليه الدولة بشتى أجهزتها التوجيهية، وما تمليه عليه بعد ذلك بقوانينها وأوضاعها، فإما أن يعتنق مذهب الدولة هذا- وإن كان يحرمه من الإيمان بإله للكون يصرف هذا الكون - وإما أن يتعرض للموت بشتى الوسائل والأسباب [1].

إن حرية الاعتقاد هى أول حقوق الإنسان التى يثبت له بها وصف إنسان لأن الذى يسلب إنساناً حرية الاعتقاد إنما يسلبه إنسانيته ابتداء. . . .

ولابد أن تكون مع حرية الاعتقاد حرية الدعوة للعقيدة والأمن من الأذى والفتنة وإلا فهى حرية بالإسم فقط ولا مدلول لها فى واقع الحياة.

والإسلام وهو أرقى تصور للوجود والحياة، وأقوم منهج للمجتمع الإنسانى بلا مراء هو الذى ينادى بأن - لا إكراه فى الدين - وهو الذى يبين لأصحابه قبل سواهم أنهم ممنوعون من إكراه الناس على هذا الدين فكيف

1- فى ظلال القرآن سيد قطب 1 / 291.

بالمذاهب والنظم الأرضية القاصرة المتعسفة وهى تُفرض فرضاً بسلطان الدولة ولا يسمح لمن يخالفها بالحياة.

وإذا نظرنا إلى التعبير فى الآية نجده فى صورة النفى المطلق ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ نفى الجنس وكما يقول النحويون: نفى جنس الاكراه نفى كونه ابتداء فهو يستبعده من عالم الوجود والوقوع وليس مجرد نهى عن مزاولته، وإيراد النهى فى صورة النفى يكون أعمق إيقاعاً وأوكد دلالة [1].

ويقول الإمام ابن كثير رحمه الله فى قوله تعالى ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ أى لا تكرهوا أحداً على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيده الدخول فى الدين مكرها مقسوراً [2].

فالإيمان عند المسلمين ليس مجرد كلمه يتلفظ بها للسان، أو طقوس تؤدى بالأبدان، بل أساسه إقرار القلب وإذعانه وتسليمه بهذا الدين وأحكامه، ولهذا لم يعرف التاريخ أن شعباً مسلماً حاول إجبار أهل الذمة على الإسلام كما أقر بذلك المؤرخين الغربيين أنفسهم [3].

ومن حرية التدين ما شرعه الإسلام من تحريم التعرض لراهب فى صومعته، أو عابد فى محرابه، حتى فى حالة الحرب، وكذلك فقد صان الإسلام لغير المسلمين معابدهم ورعى حرمة شعائرهم، يتضح هذا من خلال ما حدث من النبى ﷺ وخلفاؤه من بعده، فقد رأينا كيف اشتمل عهد النبى ﷺ لأهل نجران أن لهم جوار الله وذمة رسوله مع حفظ أموالهم وملتهم وبيعهم، فلا يغير أسقف من أسقفته، ولا راهب من رهبانيته، ولا كاهن من كهانته، ولايغير حق من حقوقهم ولا سلطانهم، ولا مما كانوا عليه ولهم على ذلك جوار الله وذمة رسوله أبدا ما نصحوا وأصلحوا غير منقلبين بظالم ولاظالمين [4].

1- فى ظلال القران سيد قطب 1 / 291.

2- تفسير ابن كثير 1 / 678.

3-غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى د/ القرضاوى 19- العدل والتسامح فى ضوء الإسلام51.

4- زاد المعاد 3 / 637.

وفى عهد عمر بن الخطاب إلى أهل إيلياء - القدس - نص على حريتهم الدينية وحرمة معابدهم وشعائرهم قال: هذا ما أعطى عبد الله أمير المومنين عمر بن الخطاب

أهل إيلياء من الأمان ، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وسائر ملتهم ، لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبها ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإلياء معهم أحد من يهود[1].

وفى عهد خالد بن الوليد لأهل عانات «ولهم أن يضربوا نواقيسهم فى أى ساعة شاؤوا من ليل أو نهار إلا فى أوقات الصلاة ، ولهم أن يخرجوا الصلبان فى أيام الأعياد» [2].

وقد جرى العمل على هذا فى تاريخ المسلمين، وفى كل البلاد التى دخلها الإسلام ، حتى البلاد التى فتحها المسلمون عنوة، كان غاية ما طلبه الإسلام من غير المسلمين أن يراعوا مشاعر المسلمين وحرمة دينهم وعدم اللجوء إلى أفعال قد تؤدى إلى فتنة أو اضطراب بينهم وبين المسلمين.

لقد كان هذا التسامح مع المخالفين فى الدين أمر لم يُعْهدْ من قبل فى تاريخ الديانات حتى شهد بذلك الغربيون أنفسهم .

يقول روبرتس : إن المسلمين وحدهم هم الذين جمعوا بين الغيرة لدينهم وروح التسامح نحو أتباع الأديان الأخرى ومع إمتشاقهم الحسام لنشر دينهم إلا أنهم تركوا من لم يرغبوا فيه أحراراً فى التمسك بتعاليمهم الدينية وعقائدهم التى يرونها ملائمة لهم [3].

ثالثاً الحق فى العمل والتجارة :-

ومن الحقوق التى كفلها الإسلام لغير المسلمين أنه ضمن لهم الحق فى العمل والتجارة، وممارسة جميع ألوان النشاط الاقتصادى ، سواء بالتعاقد مع غيرهم أو بالعمل لحساب أنفسهم ، ولهم أيضاً مزاولة ما يختارون من المهن الحرة ومباشرة ما يريدون من ألوان الأعمال والحرف شأنهم فى ذلك شأن المسلمين [4].

1- تاريخ الأمم والملوك ابن جرير الطبرى 3 / 609.
2- غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى د/ القرضاوى 19 نقلاً عن الخراج لأبى يوسف 146.
3- غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى صـ21 نقلاً عن حضارة العرب غوستاف لوبون 128.
4- معاملة غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى د/ إدوارد غالى 100.

ولقد قرر الفقهاء أن أهل الذمة فى البيوع والتجارات وسائر العقود والمعاملات المالية كالمسلمين، ولم يستثنوا من ذلك إلا عقد الربا فإنه محرم عليهم كالمسلمين روى أن النبى ﷺ كتب إلى مجوس هجر: إما أن تذروا الربا أو تأذنوا بحرب من الله ورسوله .

لقد أتاح الإسلام لأهل الذمة أن يتمتعوا بحرية تامة فى مباشرة التجارات والصناعات والحرف المختلفة إلا فى أمور محددة، سداً لذريعة الفساد وإغلاقاً لباب الفتنة، فمنعهم من بيع الخمور وفتح الحانات لشرب الخمر أو بيع الخنازير وهذا ما جرى عليه الأمر ونطق به التاريخ فى شتى الزمان [1].

يقول آدم ميتز : ولم يكن فى التشريع الإسلامى ما يغلق دون أهل الذمة أى باب من أبواب الأعمال، وكانت قدمهم راسخة فى الصنائع التى تدر الأرباح الوافرة، فكانوا صيارفة وتجاراً وأصحاب ضياع وأطباء وهكذا حتى تولوا معظم المناصب الكبيرة فى الدولة [2].

ويقول : ومن الأمور التى نعجب لها أن أكبر عدد من العمال - الولاة وكبار الموظفين- والمتصرفين كانوا من غير المسلمين فى الدولة الإسلامية، فكأن النصارى هم الذين يحكمون المسلمين فى بلاد الإسلام [3].

رابعاً: حق الضمان الإجتماعى:-

لقد كفل الإسلام لغير المسلمين المعيشة الملائمة لهم ولمن يعولونه فلم يكلفهم مالا يطيقون، وتبلغ قمة العدل ومبلغ التسامح الإسلامى فى جباية وتحصيل الجزية [4] من غير المسلمين، إذ كانت الجزية لا تجبى إلا من الذكور القادرين على العمل والكسب، ولاتجبى من النساء والصبيان، ويستثنى من أداء الجزية الذى يُتصدق عليه والشيخ الفقير الفانى الذى لا يستطيع العمل، كما أعفى الأعمى والأعرج والمريض الذى لا يرجى شفاؤه، والمغلوب على عقله إلا إذا كان

1- غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى د/ القرضاوى 22.

2- الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى آدم ميتز 1 / 86 ترجمة محمد أبو ريده.

3- السابق 1 / 104.

4- الجزية هى : مبلغ زهيد من المال يدفعه غير المسلمين - أهل الذمة - للمسلمين فى مقابل حماية المسلمين لهم فى الداخل والخارج وتأمينهم على أنفسهم وأموالهم وذلك بمقتضى العهد والعقد الذى بينهم.

من أهل اليسار ، كما أعفى المسترهبون فى الأديرة ، وأهل الصوامع إذا كانوا يعيشون على صدقات الموسرين ، أما إذا كانوا قادرين على العمل والكسب أو كان لهم غنى أو يسار فتؤخذ منهم الجزية [1] .

ولقد كانت الدولة الإسلامية تعول الضعفاء ، وكبار السن من غير المسلمين ويروى المؤرخون أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- مر بباب قوم وعليه سائل يسأل وكان شيخاً ضريراً ، فضرب عمر رضي الله عنه عضده وقال من أى أهل الكتاب أنت ؟ فقال : يهودى ، فقال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه وما ألجأك إلى ما أرى ؟

قال : أسأل الجزية والحاجة والسن ، فاصطحبه عمر رضي الله عنه وذهب به إلى منزله وأعطاه مما وجد ، ثم أرسل به إلى خازن بيت المال وقال له : انظر هذا وضرباؤه فوالله ما أنصفناه إذا أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم [2] .

وعلى هذا مضت سنة الخلفاء الراشدين ومن بعدهم باعتبار غير المسلم من رعايا الدولة المسلمة التى قال فيها النبى ﷺ «كلكم راع وكلكم مسؤ ل عن رعيته» [3] ومن الشواهد على ذلك ما جاء فى عقد أهل الذمة الذى كتبه خالد بن الوليد لأهل الحيرة بالعراق وكانوا نصارى جعلت لهم «أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنياً فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله» وكان هذا فى عهد أبى بكر الصديق رضي الله عنه وبحضرة عدد كبير من الصحابة فلم ينكر عليه أحد فصار ذلك إجماعاً [4] .

وبهذا تقرر الضمان الاجتماعى فى الإسلام باعتباره مبدأ عام يشمل جميع أبناء المجتمع مسلمين وغير مسلمين ، ولا يجوز أن يبقى فى المجتمع المسلم إنسان محروم من الطعام أو الكساء أو المأوى أو العلاج ، فإن دفع الضرر عنه واجب دينى مسلماً كان أو ذمياً [5] .

1- الإسلام وأهل الذمة 72 - 73 العدل والتسامح فى ضوء الإسلام 55.
2- الفاروق عمر بن الخطاب 86.
3- البخارى فى كتاب الجمعة باب الجمعة فى القرى والمدن 892 صـ 157
4- معاملة غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى د/ إدوارد غالى 100 / 101.
5- غير المسليمن فى المجتمع الإسلامى د/ القرضاوى 17.

ويقول د/ محمد شوقى الفنجرى: إن الضمان الاجتماعى فى الإسلام هو جوهر وصميم الدين، ولقد توسع الإسلام فى مبدأ ضمان العامل وكفالته عندالحاجة فعممه بالنسبة لكل فرد يعيش فى مجتمع إسلامى أيا كانت ديانته أوجنسيته، فقد ارتفع به أيضاً فجعله جوهر وصميم الدين وإن فى إهداره تكذيباً لرسالة الإسلام [1].

خامساً: حق تولى الوظائف العامة بالدولة:-

لقد جعل المجتمع الإسلامى لغير المسلمين الحق فى تولى وظائف الدولة كالمسلمين إلا فيما غلب عليه الصبغة الدينية كالإمامة ورئاسة الدولة، والقيادة فى الجيش والقضاء بين المسلمين، والولاية على الصدقا ت ونحوها من الوظائف الدينية، وماعدا ذلك من وظائف الدولة فيجوز إسنادها إلى أهل الذمة، إذا تحققت فيهم الشروط التى لا بدمنها من الكفاية والأمانة والإخلاص للدولة [2].

أما الحاقدون منهم الذين تدل الدلائل على بغضهم للدين وللمسلمين فلا يجوز إسناد قيادة إليهم وهؤلاء هم الذين قال الله تعالى فيهم ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [آل عمران: 181]

وهؤلاء من الطبيعى أن تحذر الأمة من التعامل معهم، لأنهم فى عداد الخصوم والمعتدين، هذا ما سار عليه الحكام المسلمون على مدى أربعة عشر قرناً، باستثناء بعض عهود الضعف والتدهور التى لم ينج منها المسلمون أنفسهم، إذ أجازوا أن يتولى غير المسلمين الوظائف القيادية فى الدولة الإسلامية إلا ما غلب عليه الصبغة الدينية، كما يحق لهم الخدمة فى الجيش وتولى مناصب القضاء المدنى والجنائى [3].

1- نحو إقتصاد إسلامى د/ الفنجرى 92.

2- غير المسلمين فى المجتمع الإسلا مى د/ القرضاوى 23.

3- معاملة غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى د/ إدوارد غالى 104.

وفى هذا الصدد كتب د / وهبة الزحيلى يقول : إن الإسلام لا يعامل أهل الذمة إلا معاملة حسنة ، فلا خشية على حقوقهم وأوضاعهم كما يتوهم الجهال ويروج الأعداء ، وإنما هم مواطنون كالمسلمين لا رعايا من الدرجة الثانية ولهم الحق فى التمتع بممارسة معظم الحقوق السياسية والمدنية التى للمسلمين كالمشاركة فى وزارة التنفيذ ، والتوظيف بالوظائف العامة ، كما حدث فى عهد معاوية الذى استخدم النصارى واليهود فى أعمال الحكومة واستمر ذلك فى عهد الدولة العباسية ، إلى أن ظهرت خيانة بعضهم .

وللذمى حرية الاشتراك فى الجيش وتسقط عنه الجزية حينئذ .

وإذن فلا تفرقة فى منهج الإسلام بين مواطنى دار الإسلام بسبب الدين أوالعنصر أو اللغة ما دام المواطن مسالماً مأمون الجانب ثقة يمكن الاعتماد عليه ، فإن اختلت الثقة بسبب منهم كأى مواطن آخر من المسلمين لم يجز الاعتماد عليه ولا سيما فى أمور خطيرة تمس كيان الدولة ومصلحة الأمة [1] .

وخلاصة القول :

أن الواقع العملى الذى سجله التاريخ يشهد بأن الكتابيين كانوا على قدم المساواة مع المسلمين فيما يتعلق بشغل الوظائف العامة فى الدولة الإسلامية ، وأن هذه المساواة العملية قد فرضت نفسها على جميع النظريات التى قيلت للتميز بين المسلمين وغيرهم فى هذا الشأن [2] .

ولم تكتف الشريعة الإسلامية بمجرد فرض الحقوق والحريات لغير المسلمين بل جعلت من التشريعات ما يضمن الوفاء بتلك الحقوق ، فأكدت على حسن المعاشرة ومعاملتهم بالتى هى أحسن قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة: 8]

• الحقوق التى فرضها الإسلام على غير المسلمين - أهل الذمة -

وبعد أن تناولنا الحقوق التى كفلها الإسلام لغير المسلمين فى المجتمع الإسلامى نشير هنا فى عجالة إلى الحقوق التى فرضها الإسلام عليهم كى يلتزموا بها فى مقابل التمتع بما فرض لهم من حقوق .

1- نظام الإسلام د/ وهبة الزحيلى 403 - 404 .

2- معاملة غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى د/ إدوارد غالى 109

أولاً : شروط تلتزم بعقد الذمة ويكون اشتراطها تغليظاً للعهد عليهم وإذا ارتكبوها يكون نقضا منهم للعهد وهى كما يلى : -

1- ألاَ يذكروا كتاب الله تعالى بطعن فيه ولا تحريف له .

2- ألاَ يذكروا رسول الله ﷺ بتكذيب ولا ازدراء .

3- ألاَ يذكروا دين الإسلام بذم له ولا قدح فيه .

4- ألاَ يصيبوا مسلمة بزنا ولا بإسم نكاح .

5- ألاَ يفتنوا مسلماً بزنا ولا بإسم نكاح .

6- ألاَ يعينوا أهل الحرب ولا يوادوا أغنياءهم .

ثانياً : فى مجال المعاملات:

يمنع غير المسلمين من بيع الخمور والخنازير فى بلاد المسلمين وفتح الحانات لشرب الخمر وتسهيل تداولها أو إدخالها إلى بلادهم على وجه الشهرة والظهور، ولو كان ذلك لاستمتاعهم الخاص سداً لذريعة الفساد[1] .

ثالثا : شروط يستحب فعلها ولا تلتزم وبعقد الذمة ولا يكون ارتكابها نقضاً للعهد وهى:

1- تغيير هيئاتهم بلبس الغيار وشد الزنار .

2- ألاَ يعلوا على المسلمين فى الأبنية ويكونوا إن لم ينقصوا مساوين لهم .

3 - ألاَ يسمعوهم أصوات نوا قيسهم ولا تلاوة كتبهم ولا قولهم فى عزير والمسيح .

4- ألاَ يجاهروهم بشرب خمورهم ولا بإظهار صلبانهم وخنازيرهم .

5-أن يُخفوا دفن موتاهم ولا يجاهر وا بندب عليهم ولا نياحة .

6- أن يمنعوا من ركوب الخيل عناقاً وهجاناً ولا يمنعوا من ركوب البغال والحمير

وهذه الأمور المستحبة لا يؤاخذوا على فعلها إن لم تكن داخل العهد ولا يزجرون عليها وعلى الإمام أن يثبت ما استقر عليه عقد الصلح معهم فى دواوين الأمصار ليؤخذوا به إذا تركوه فإن لكل قوم صلحاً ربما خالف من سواهم [2] .

1- غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى د/ القرضاوى صـ22

2- الإسلام وأهل الذمة د/ الخربوطلى صـ67

تحقيق العدالة الإسلامية

لقد اشتهر الإسلام بالعدالة فحرر الإنسان من الظلم لنفسه أو لغيره، كما حرره من التبعية والعبودية لغير الله، وأمره الله أن يقيم العدل في الأرض في قوله جل شأنه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ [النحل: 90] فلا وساطة بين المسلم وبين ربه غير كتاب الله، القرآن الحكيم، وسنة رسوله ﷺ التي فسرت ووضحت مقاصد القرآن بالإضافة إلى جميع مذاهب المسلمين بأئمتهم ومجتهديهم.

وغاية الاجتهاد عند جميعهم إقامة عدل الله في الأرض بإقامة الدين الحنيف على ما أقامه ووضحه الرسول ﷺ [1].

والعدل في الإسلام مطلق يسري على المسلم وغير المسلم، وعلى العدو والصديق عدل واحد لا عوج ولا تغير في ميزانه أولونه.

ومن ثم فقد أمر الله جميع المسلمين بالعدل في جميع الأحوال ولو كان المقتضى عدواً يقول سبحانه: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ﴾ [الأنعام:152] وقوله سبحانه: ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ [الطلاق: 2] وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [2] [النساء:135]

لقد حقق الإسلام العدالة الاجتماعية بين الناس جميعاً مسلمين وغيرهم فمكن كل ذي قوة من أن يعمل بمقدار طاقته، وهيأ الفرص المناسبة لكي تظهر كل القوى وتوضع كل قوة في مرتبتها، وأن توجد الكفالة للعاجزين عن العمل لكي يعيشوا وينالوا حظهم من الحياة ليكونوا قوة في الجماعة إن كانوا صغاراً، وليأمنوا الجوع والعرى إن كانوا كباراً لا يرجى أن يزول سبب عجزهم، فهيا لكل من لا يجد أسباب العيش، المسكن المناسب والكساء المناسب والغذاء الذي يدفع عنه المخمصة والجوع[3].

1-صور حضارية من عطاء الإسلام أ. إبراهيم البطاوى 69.

2-السابق صـ171.

3- المجتمع الإنسان في ظل الإسلام الإمام محمد أبوزهرة 128.

ولأن الأصل بين الجماعة هى التواد والتراحم والتعاون على استغلال ينابيع الخير فى الأرض، فى شرقها وغربها، وقاصيها ودانيها، كان الأصل فى العلاقات العامة بين الناس دولاً وجماعات وآحاد هو السلم، أما النزاع فلا يكون إلا لأمر عارض، ولذلك دعا الإسلام المؤمنين إلى السلم، وأنه إذا نشبت الحروب يدخلون فى السلام عند أول دعوة إليه قال تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الأنفال: 61] واعتبر الذين يدخلون معه فى القتال والذين يعتدون عليه وعلى أتباعه هم المحاربين وحدهم، أما الذين لا يدخلون فى الحرب أو يقفون محايدين لا ينضمون إلى أحد فاعتبرهم مسالمين ولو لم يكونوا مع المسلمين، لذلك قال تعالى فى أمثال هؤلاء: ﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً﴾ [النساء: 90]

كما نهى الإسلام عن قتال كل من يلقى السلام وإن كانوا يدينون بغير الإسلام قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء: 94] والإسلام حين فرض القتال فرضه على أنه ضرورة ملزمة تقدر بقدرها، فلم يرد القتال لذاته أو للقهر و الاجبار على اعتناق الدين، وما جاء الإذن بالقتال إلا لرد الاعتداء على الحرية الدينية وحماية العقيدة الإسلامية، وتأمين الدعوة إليها من غير إكراه ولا إغراء ولافتنة، فكان الإذن بالقتال لهذه الغاية، وهى حماية الأديان ودفع الإعتداء عنها أيا كان صورته [1] قال سبحانه: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [2] [الحج: 39-40]

أما الذين يدعون أن القتال فى الإسلام كان لحمل الناس على اعتناقه بالسيف فقد أعظموا الفرية على الحقيقة وعلى الناس، فقد جاء الأمر صراحة برد هذه الفرية بقوله سبحانه: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: 256]

1- المجتمع الإنسان فى ظل الإسلام الإمام محمد أبوزهرة 128.

2- المجتمع الإنسانى فى ظل الإسلام الإمام أبوزهرة 140 - 143 بتصرف.

وبقوله سبحانه للرسول ﷺ: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:99]

وأعظم دليل على فساد تلك الفرية هو هذه البقايا النامية من غير المسلمين الذين نجدهم يعيشون فى دار الإسلام ومع المسلمين من أقدم العصور فى الإسلام ولا يعكر صفوهم ظلم أو اضطهاد، بل إنها أخوة إنسانية باقية ومودة وصلة لا يقطعها إلا إفساد المفسدين وإغراء العابثين، ولكنها لا تنقطع إلا لتتصل من جديد وذلك لأن العدالة تقيدها والعشرة الودودة تصلها، والطبيعة الشرعية المنيرة تكشف دخل المفسدين وترده، وإذا كانت العدالة شعار الإسلام فإن الحرب التى تفرض عليه تكون من جانبه حرباً عادلة فاضلة ويكون باعثها العدالة وأساسها الحرية.

ولعل التاريخ لم ير منتصراً يعدل من نفسه كالمسلمين، إذ نفذوا أحكام القرآن وأحكام السنة.

ومما يروى فى هذا الشأن أن أهل صفد- إقليم بسمرقند- شكوا إلى الحاكم العادل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، أن القائد الإسلامى قتيبة بن مسلم قد دخل ديارهم من غير أن يخيرهم بين الدخول فى الإسلام أو العهد أو القتال، بل قاتلهم من غير هذا التخيير، هذه هى الشكوى، فأرسل الحاكم العادل عمر بن عبد العزيز الذى ينفذ أحكام الله تعالى يرسل إلى القاضى ليجلس ويستمع إلى شكوى أهل سمرقند فإن تبين له صحة الشكوى، أمر قائده أن يعود بجنوده إلى ثكناتهم ويخرج من الأرض التى فتحوها، ثم يخير أهلها بين الأمور الثلاثة السابقة، وهذا ما حدث فبعد أن تبين للقاضى صدق الشكوى، فعل ما أمر به الخليفة وأمر الجنود بالرجوع وتخييرهم بين الدخول فى الإسلام أو العهد أو القتال [1].

والعدالة مع غير المسلمين مطلوبة فى السلم وفى الحرب، وإن معاملة غير المسلمين الذين يتمتعون بالرعوية فى الدولة الإسلامية كالمسلمين فى الحقوق والواجبات، فلا يفرض عليهم أمر لا يفرض على المسلمين، إلا بعض التكاليف المالية التى تفرض عليهم فى مقابل ما يفرض على المسلمين من واجبات مالية تدخل فى باب التكافل الاجتماعى، ولذلك كانت الجزية من قبيل العدالة الإسلامية

1- المجتمع الإنسانى فى ظل الإسلام الإمام أبوزهرة 140 - 143 بتصرف.

للاشتراك فى التكافل من غير تدخل فى الحرية، وكانت تشريعاً عادلاً رحيماً، لأنها فى مقابل الزكاة المفروضة على المسلم، ولما كان من الطبيعى أن تنفق زكاة المسلمين العدل أن يساهم المسلمون وحدهم بأموالهم فيما لم يقتصر نفعه عليهم، إنما العدل أن يساهم أهل الذمة وهم أعضاء فى الدولة بشىء من أموالهم مساهمة فى نفقات الدولة وذلك نظير المنافع الكثيرة التى تكفلها الدولة لهم [1].

ومن أجل ذلك فقد أوجبت العدالة الإسلامية صيانة مال المستأمن وصيانة نفسه، فأموالهم مصونة وأرواحهم لايُتَعدى عليها ماداموا مستمسكين بشروط عقد الأمان ولم ينحرفوا عنها، ولهم أن يبا شروا نشاطهم من غير قيد إلاما يقيدون به أنفسهم من شروط عقد الأمان، وما تقيد به الشريعة الإسلامية كل من يكون تحت سيادتها سواء كان مسلماً أم غير مسلم، وقد قال النبى ﷺ: « **المسلمون عند شروطهم إلا شرطاً أحل حراماً أو حرم حلالاً** » [2].

إن تحقيق عدالة الإسلام فى معاملة غير المسلمين ذهبت إلى أقصى حدودها حتى لقد قدموا حقه فى ماله على حق المسلم نفسه، فلا يسمح الفقهاء بمصادرة مال المستأمن ولو كان يحارب المسلمين إلا إذا استُرق فى ميدان القتال.

ومن سماحة الإسلام أنه جعل العدالة حق طبيعى للإنسان بمقتضى كونه إنساناً لا بمقتضى كونه مسلماً وأن الحق الإنسانى العام يؤدى لصاحبه من غير أن ينظر إلى لون أو جنس أو عقيدة أو مذهب، وهذا حق على المسلم أن يقوم به وليست منحة منه، يقول تعالى: ﴿ **وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ** ﴾ [المائدة:8] فلا أثر لمحبة أو لعداوة، ولا لولاء أ ولبغض، فى تحقيق العدالة فأقرب الأخلاق إلى الله تعالى العدالة، والعدالة مشتقة من إسمه سبحانه العدل[3].

1- سماحة الإسلام د/ أحمد الحوفى 239 - 240.

2- صحيح الجامع الصغير وزياداته للألبانى 2 / 1138 وعزاه السيوطى لأبى داود والحاكم عن أبى هريرة

3- المجتمع الإنسانى فى ظل الإسلام الإمام أبوزهرة 147.

نماذج من عدالة الحكام والقضاة المسلمين مع غيرهم

إن الإسلام يتطلب من كل من يتولى القضاء والحكم العدالة التامة فى حكمه ، ورسالة الإسلام نشر العدالة بين الناس كآفة، ونصرة المظلوم، وأخذ حقه من الظالم، والبعد عن الغرض والهوى فى الحكم[1].

ولقد ضرب النبى ﷺ وحكام المسلمين من بعده أعظم المثل فى إقامة العدل وعدم التفرقة بين المسلمين وغيرهم فى القضاء والحكم نذكر منها ما يلى:

1- موقف الرسول ﷺ من قاتل عمه حمزة بن عبد المطلب وحشى ذاك العبد الأسود الذى قتل أكبر مناصر للرسول ﷺ فكان وقع ذلك شديداً على النبى ﷺ فلم يحمله ذلك على الإساءة إلى القاتل فعندما جاءة وحشى يعلن إسلامه تفوق عدل النبى وسماحته على ما فى قبله من بغض لقاتل عمه، وكل ما استطاع فعله معه أن قال له: « ويحك غيب عنى وجهك لا أرينك »[2].

2- وصية الخليفة الأول أبوبكر الصديق رضي الله عنه لأحد قادته « لا تقتل أحداً من أهل ذمة الله فيطالبك الله بذمته فيكبك الله على وجهك فى النار »[3].

3- وما ورد فى عدل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الملقب بالفارق- فقد قال لأبى مريم السلولى الذى قتل أخيه زيد بن الخطاب: والله لا أحبك حتى تحب الأرض الدم، فقال له أبومريم: أفتظلمنى حقى يا أمير المؤمنين؟ فرد عمر الذى يعرف قدر الحق والقسط: لا[4].

4 - وقصة الصبى القبطى الذى شكا إلى أمير المؤمنين عمر الخطاب من اعتداء ابن عمرو بن العاص على ولده بالضرب، فأصر الحاكم العادل أن يقتص للصبى القبطى من ابن الوالى المسلم قائلاً له اضرب ابن الأكرمين ثم وجه تعنيفه إلى قائده المسلم عمرو بن العاص بعبارة خالدة لم تعرف مثلها المجتمعات الغربية إلاعند ما قامت الحمله الفرنسية 1789م قائلاً: « متى استعبدتم الناس وقد

1-عظمة الإسلام للإبراشى 2 / 109 .
2- عظمه الرسول للإبراشى 285 .
3- أول الخلفاء عبد الرحمن الشرقاوى 142 .
4- عمر بن الخطاب البطل والمثل والرجل د/ نظمى لوقا 145 .

ولدتهم أمهاتهم أحراراً» فقام على غرار كلمته ميثاق حقوق الإنسان على أن يولد الناس أحراراً متساوين فى الحقوق[1].

وصورة أخرى عندما دخل عمر بن الخطاب بيت المقدس وحان وقت الصلاة وهو جالس فى صحن الكنيسةخرج وصلى خارجها على الدرجة التى على بابها بمفرده ثم قال للبطريرك لوصليت داخلها لأخذها المسلمون من بعدى وقالوا صلى هنا عمر بن الخطاب.

هكذا نجد أن عمر بن الخطاب قد ملأ الدنيا عدلاً، حتى كان حديث الناس« لا ظلم وعمر بالمدينة »[2].

5- وعلى بن أبى طالب تغتصب درعه ويحكم بها القاضى لليهودى لأن الشهود غير كاملين، ويكتب على إلى مالك الأشترحين ولاه مصر يوصيه بالعدل والبر قائلاً له: «وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم واللطف بهم، فإنهم صنفان: إما أخ لك فى الدين، أو نظيرلك فى الخلق[3]».

6 - ومن المواقف التطبيقية لهذا المبدأ الإسلامى موقف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حينما تغلب التتار على أهل الشام، ذهب الإمام ابن تيمية ليكلم قطلو شاه فى إطلاق سراح الأسرى، فسمح القائد التترى بإطلاق أسرى المسلمين ورفض إطلاق أسرى أهل الذمة، فما كان من الشيخ إلا أن قال: لا نرضى إلا بافتكاك جميع الأسارى من اليهود والنصارى، فهم أهل ذمتنا ولاندع أسيراً لامن أهل الذمة ولا من أهل الملة، فلما رأى القائد إصرار الشيخ وتشدده أطلق كل الأسرى مسلمين وغير مسلمين[4].

وهكذا فلم تكن نماذج العدل الإسلامى محصورة فى حوادث فردية مما قد يقع نظيره بين الحين ولكنها كانت منها جاً عاماً وخطة ثابتة مع الأفراد والجماعات والشعوب على حد سواء مما يثبت للمجتمع الإسلامى سبقه فى العدالة بين الجميع

---

1 معاملة غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى د/ إدوارد غالى صـ111

2- السابق 113 بتصرف / الفاروق عمر عبد الرحمن الشرقاوى 264.

3- على إمام المتقين عبد الرحمن الشرقاوى227.

4-غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى د/ القرضاوى 10.

فى واقعه التاريخى[1] بعكس ميثاق الأمم المتحدة، فإذا نظرنا فى بنود هذا الميثاق والذى يسمى بـ - ميثاق المبادئ - لا نجد من بينها مبدأ العدالة لذا فعند اللجوء إليها من أجل التحاكم بين متخاصمين، أحدهما مسلم نرى اختلال الموازين فى العدل بين الدول، أما المنهج الإسلامى فقد عمل على إقرار العدالة فى الأرض، وجعلها أعظم هدف بعد عبادة الله بل هى جزء عظيم لايتجزأ من العبادة نفسها التى هى أعلى غايه على الإطلاق[2].

1-العدل والتسامح فى ضوء الإسلام 88.

2-حقوق الإنسان بين الشريعة والقانون د/ منير البياتى 67.

احترام العهود والمواثيق

إن الإسلام وهو يقرر شرعية المعاهدات والمواثيق، إنما يريد سلماً وسلاماً وأماناً وسعادة وإستقرار، ليس للمسلمين وحدهم، ولكن لكل أجناس البشر، بل وما تحتها وما فوقها إذ الزم الأمر، خاصة إذا أراد الطرف الآخر ولو من أعدائه هذا السلام، وحتى لو كانت الحرب دائرة الرحى بين الفريقين، وأراد العدو السلام دون خداع أجيب إلى طلبه فى ظل معاهدة تضع الحق فى نصابه، وتعطى لكل ذى حق حقه، حقناً للدماء، وصيانة للحقوق، وحماية للنفوس والأعراض.

جاء فى كلام العرب: «أن من عامل الناس فلم يظلمهم، وحدثهم فلم يكذبهم، ووعدهم فلم يخلفهم فهو ممن كملت مروءته، وظهرت عدالته ووجبت أخوته، وهذا حق فإن حسن معاملة الناس والوفاء لهم والصدق معهم لهو دليل كمال المروءة، ومظهر من مظاهر العدالة وذلك يستوجب الأخوة والصداقة ويحقق الأمان و السلام.

ومن هنا فإن إحترام العهود والمواثيق واجب إسلامى لماله من أثر طيب ودور كبير، وشأن عظيم فى المحافظة على السلام وتحقيق الأمن والاستقرار للأفراد والجماعات، وفض المنازعات وحل المشكلات وتسوية الخلافات [1].

إن المعاهدات فى الإسلام لها قدسيتها، لأن المعاهدة مأخوذة من العهد[2] الذى قال الله تعالى فيه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: 1] والعقد والعهد هو الوفاء والأمان وهو الذمة.

ولقد شدد المولى سبحانه وتعالى على الوفاء بالعهد فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: 34]

وجعل النبى ﷺ أشد النكوث فى العهود ما يكون من رئيس دولة.

فقال ﷺ: «لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع له بقدر غدره ألا ولا غادر أعظم غدراً من أمير عامة» [3].

1-صور حضارية من عطاء الإسلام بحث أ. د/ عبد الحميد أبو سعده صـ 88

2- المعاهدات: جمع معاهدة، والمعاهدة مفاعلة من العهد، والعهد هو الأمان والمعاهدة فى اصطلاح الفقهاء معناها: الصلح على ترك القتال مدة بعوض وبغير عوض والميثاق: هو العهد المستوفى لأحكام الشرع والإثنين بمعنى واحد، لسان العرب مادة(ع-هـ-د) ومادة(وث ق).

3-مسلم كتاب الجهاد والسير باب تحريم الغدر رقم 1738 عن أبى سيعد صـ 774.

ولقد بين الإسلام أن الوفاء بالعهد قوة، وأنه لا يصح أن تكون الزيادة فى رقعة الدولة أو قوتها مسوغة للنكث فى العهد يقول سبحانه: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾

[النحل: 91-92]

إن هذا التشديد فى الوفاء بالعهود يمثل عدالة الإسلام فى العلاقات بين الناس، وهى قوام العدالة فى العلاقات بين الدول، وهى طريق الأمن والسلامة فى هذه الأرض.

وإذا كان السلم هو الأصل فى العلاقات الإنسانية وهو العدل فإن العهود هى التى تثبته وتقويه[1].

ومع تنوع العهود فإن الله سبحانه وتعالى يأمر بالوفاء بجميعها سواء كانت مع الله سبحانه أو مع الناس، وجعل التقصير فى هذا الأمر يعتبر إثماً كبيراً يستوجب المقت والغضب، يقول جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: 2- 3] كما جعل حق العهد مقدم على الحق فى الدين يقول سبحانه: ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾ [الأنفال: 72] فالوفاء هنا جزء من الإيمان كما قال النبى ﷺ: «إن حسن العهد من الإيمان» [2] وهو أيضاً علامة على صدق إيمان صاحبه، قال سبحانه فى وصف المؤمنين الصادقين الوارثين للجنة: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [سورة المؤمنون: 8] ويقول ﷺ: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها منها .. وإذا عاهد غدر»[3].

-ولقد كان النبى محمد ﷺ المثل الأعلى فى خلق الوفاء بالعهد فقد عاهد اليهود وغيرهم، وعقد مع اليهود عهداً بالمدينة أقرهم فيه على دينهم وأمنهم على أموالهم وأنفسهم بشرط ألا يعينوا عليه أحداً من المشركين.

1- المجتمع الإنسانى فى ظل الإسلام الإمام أبو زهرة 149.

2- صحيح الجامع الصغير للألبانى 1 / 413 وعزاه السيوطى للحاكم عن عائشة.

3-صحيح البخارى كتاب الإيمان باب علامة المنافق رقم 34 صـ 14 عن عبد الله بن عمرو.

والعهود فى الإسلام لها شروط يجب الالتزام بها منها ما يلى:-

1- ألا تخالف حكماً من الأحكام الشرعية المتفق عليها، لقول النبى ﷺ « **كل شرط ليس فى كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط**» [1].

2- أن تكون عن رضا واختيار فإن الإكراه يسلب الإرادة. ولا احترام لعقدلم تتوفر فيه الحرية لقوله تعالى: ﴿**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾ [البقرة:256]

3- أن تكون بينة واضحة لا لبس فيها ولا غموض حتى لا تؤول تأويلاً يكون مثاراً للإختلاف عند التطبيق قال تعالى: ﴿**وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة:42]

ولقد سن الرسول ﷺ فى معاهداته مع غير المسلمين قوانين السماح والمسالمة، تلك التى لم يعهد مثلها فى عالم ملئ بالتعصب والتعالى وسفك الدماء، يظهر ذلك من معاهدته ﷺ لليهود فى المدينة [2]، فنرى فيها ما يدل على اتجاه الإسلام فى قبول العيش بجوار أهل دين آخر طالما أن هناك سلم وأمان.

والذى يدقق فى تلك الوثيقة التى أبرمها النبى ﷺ مع اليهود يجدها تنطق برغبة المسلمين فى التعاون الخالص مع يهود المدينة لنشر السكينة فى ربوعها، والضرب على أيدى العادين ومدبرى الفتن أياً كان دينهم، وقد نصت بوضوح على أن حرية الدين مكفولة الآخرين، فليس هناك أدنى تفكير فى محاربة طائفة، أو إكراه مستضعف، بل تكاتفت العبارات فى هذه المعاهدة على نصرة المظلوم وحماية الجار، ورعاية الحقوق العامة والخاصة، واستنزل تأييد الله تعالى على أبر ما فيها وأتقاه، كما استنزل غضبه على من يخون ويغش، واتفق المسلمون واليهود على الدفاع عن يثرب إذا هاجمها العدو، كما أقرت حرية الخروج من المدينة لمن يبغى تركها، والقعود فيها لمن يحفظ حرمتها، ويلاحظ أن الرسول عليه الصلاة والسلام فى هذه المعاهدة أشار إلى العداوة القائمة بين المسلمين ومشركى مكة، وأعلن رفضه الحاسم لموالاتها، وحرم إسداء أى عون لهم، وهذا أمر طبيعى

1- صحيح الجامع الصغير وزياداته للألبانى 2/ 833 وعزاه للطبرانى عن ابن عباس.

2- تراجع بنود المعاهدة فى كتب السيرة / فقه السيرة للغزالى 166 / ابن إسحاق 2 / 16/ صور حضارية من عطاء الإسلام 94.

فما زالت جروح المسلمين تقطر دماً لبغى قريش وأحلافها عليهم [1]

هكذا مد النبى ﷺ يده إلى اليهود مصافحاً ، حافظاً للعهد، متحملاً للأذى، ولم يخن ولم ينكث ، حتى رآهم مجتمعين على التنكيل به، ومحو دينه، استدار إليهم وجرى بينهم من الوقائع ما جرى [2] .

ومن المعاهدات التى أبرمها النبى ﷺ معاهدته مع بنى ضمرة من قبائل العرب ومعاهدته مع نصارى نجران عهد صلح وموادعة وسلم، صاروا بمقتضاه من رعايا الدولة الإسلامية[3] .

ومعاهدته مع قريش فى صلح الحديبية وما تحمله النبى ﷺ فيها من جور وظلم إلى أن كتب الله له الفتح بعدها - فتح مكة - .

ولقد سار أصحاب النبى ﷺ على نهج نبيهم فى موادعة أهل الكتاب ، وإبرام العهود والمواثيق بينهم وبين غيرهم ، حتى استطاعوا أن يمهدوا الأرض لنشر دين الله عز وجل فى سلم وأمان، ولم تذكر لنا كتب التاريخ أن أهل الإسلام قد خانوا أوغدروا، لأنهم كانوا يحكمون الشرع الإلهى ويلتزمون بالوصايا النبوية، فيأتمرون بأمر القرآن وينفذون تعاليمة، فظهر الوفاء فى أعظم صورة ، ولم يقاتلوا إلا من تأكدوا من أنه قد غدر وخان العهد، وما نبذوا عهداً إلا إلى خائن، كما أمرهم ربهم سبحانه فى قوله جل وعلا : ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: 58] وعند تأكدهم من نقص العهد عند ئذ يحق على المسلمين القتال كما قال ربنا سبحانه : ﴿ وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ [التوبة: 12] .

وبعد ذلك يمكن لنا أن نقول : إن الإسلام يعامل أهل الذمة بالوفاء بالعهود والعقود وبحفظ حق المعاهدين إذا التزموا بالشروط التى يتفقون عليها مع المسلمين ،

1-فقه السيرة للغزالى إلى 167 نقلاً عن ابن إسحاق 2/ 16 -18 .

2-فقه السيرة للغزالى 170 بتصرف

3-يمكن لكل ذى بصيرة أن يدرك هذا إذا رجع إلى قراءة التاريخ الإسلامى بعين الصدق والإنصاف ليرى كيف التزم أصحاب رسول الله ﷺ أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ومن تبعهم من الولاة والأمراء بالوفاء والصدق فى العهود والمواثيق التى أبرموها مع غير المسلمين على مر العصور .

فتحفظ لهم أرواحهم وأموالهم وأعراضهم، ويكون حراماً على أهل الإسلام الاعتداء عليهم، أو انتهاك تلك الحرمات بأى وجه من الوجوه ماداموا ملتزمين بشروط المسلمين عليهم ولم يغدروا أويخونوا، لأن أساس المعاهدات والمواثيق فى الإسلام يرجع إلى قوله سبحانه: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ﴾ [النحل: 91] وقوله ﷺ: «لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن عهد له» [1].

1- صحيح الجامع الصغير وزياداته للألبانى 2 / 1205 وعزاه السيوطى لأحمد وابن حبان عن أنس .

صور من التسامح الفعلى على مر العصور

لقد حفل الواقع التاريخى للأمة الإسلامية فى مختلف عصورها وشتى أقدارها بأروع مظاهر التسامح، الذى لا يزال الناس يتطلعون إليه اليوم فى معظم بقاع الأرض وقد مرت بنا من خلال هذا الكتاب صوراً ناصعة، رأينا فيها حقيقة التسامح الإسلامى ومداه، كما عرفناه روح التسامح والأساس الفكرى والعقائدى الذى يقوم عليه، ولكى نزداد إيماناً بما عرفناه من سماحة الإسلام وتسامح المسليمن نشير فيما يلى إلى بعض الصور من التسامح الفعلى للمسلمين مع غيرهم على مر العصور: -

أولا: فى عصر الرسول ﷺ: يصعب على كاتب أن يحصر صور السماحة فى حياة النبى ﷺ، وذلك لأن حياته كلها كانت عبارة عن عفو وصفح وتسامح فلم يغضب لنفسه قط ﷺ، ولم ينتقم لنفسه أبداً، فكان كما وصفته الكتب السابقة « ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق، ولا يقابل السيئة بالسيئة، ولكن يعفوا ويصفح » وسنختار ثلاث مواقف تجلت فيها سماحة النبى ﷺ وكان فيها أعظم الأثر:

1- ففى صلح الحديبية نجد أن قريشاً قد اشترطت على النبى ﷺ شروطاً قاسية منها أن من جاء من قريش إلى محمد ﷺ بغير إذن وليه رده محمد ﷺ إلى قريش، ومن يأتى إلى قريش من عند محمد ﷺ لا ترده قريش، ومع تبرم كثير من الصحابة من هذا الشرط إلا أن النبى ﷺ قد قبله والتزم به، وما كادوا ينتهون من توقيع المعاهدة حتى جاء أول امتحان للوفاء، فوصل من مكة رجل مسلم إسمه أبو جندب بن سهيل فاراً من أذى قومه فرده النبى ﷺ وقال له: « اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين مخرجاً فإنا قد عقدنا صلحاً بيننا وبين القوم وإنا لا نغدر بهم » [1].

2- وفى غزوة بدر هذا الموقف الذى تطمئن النفس فيه إلى الانتقام والرد على ما مضى، نرى الرسول ﷺ يعامل أسرى بدر معاملة حسنة، ذلك بأنه وزع الأسارى السبعين على أصحابه وأمرهم أن يحسنوا إليهم، فكانوا يفضلونهم على أنفسهم فى طعامهم، ثم استشار أصحابه فى شأنهم، فأشير عليه بقتلهم، وأشير عليه بالفداء فقبل الفداء، وأشير عليه بأن يُمثل بسهيل بن عمرو أحد المحرضين على قتال المسلمين، فرفض النبى ﷺ وذلك وقال: «لا أمثل به فيمثل الله بى وإن كنت نبياً» [2].

1- سيرة ابن هشام 3 / 367- فقه السيرة للغزالى 288.

2- سيرة ابن هشام 3 / 367.

3- ولما فتح مكه وكثر الأسرى بين يديه، حتى ظنوا أنهم هالكون لا محالة فقال ﷺ لهم « ما تظنون أني فاعل بكم »؟قالوا أخ كريم وابن أخ كريم ، فقال «اذهبوا فأنتم الطلقاء لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لي ولكم » [1] .

وهكذا كان النبى ﷺ سمحاً كريماً، حتى ساعة الحرب والشدة ولو مع من آذوه وظاهروا عليه فقد كان يزورا اليهود، ويحضر ولائم أهل الكتاب، ويغشى مجالسهم ويواسيهم فى مصائبهم ، ويعاملهم بكل أنواع المعاملات التى يتبادلها المجتمعون فى جماعة يحكمها قانون واحد [2] .

ثانياً : فى عصر الخلفاء الراشدين:-

لقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه المثل الأعلى فى العدل والتسامح بعد النبى ﷺ فقد أصبح بعد خلافته خادماً للرعية، أميناً على مصالح المسلمين، رحيماً بجميع المؤمنين، وكانت مدة خلافته على قصرها كلها خير وبركة سار فيها على نهج النبى ﷺ فى شدته وفى سماحته وعدله إلى أن لقى ربه .

-وجاء من بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكان مثل من سبقه فى العدل والتسامح حتى اشتهر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان ينصف من يشكوا إليه من النصارى واليهود، فقد علم أن الوليد بن عقبه واليه على بنى تغلب النصارى قد توعدهم، فخشى أن يوقع بهم شراً فعزله وولى غيره ، وأمره أن يعطى من الصدقات قوم من النصارى مصابون بالجزام وأن يرتب لهم القوت [3] .

ويبلغ التسامح مداه لدى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو على فراش الموت إثر طعنة غادرة من أبو لؤلؤة المجوسى، نراه وهو على فراش الموت والسماحة لم تفارقه بعد فيقول « أوصى الخليفة من بعدى بذمة رسول الله أن يوفى لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، وألا يكلفهم فوق طاقتهم » .

انظر كيف امتلأ قلب عمر رضي الله عنه بالسماحة والعدل فلم يشغله القصاص من قاتله مع قدرته عليه بقدر ما شغله أن يوصى بهم خيراً، لقد صدق الناس حين قالوا: «لا ظلم وعمر بالمدينة » [4] . وغير ذلك الكثير من المواقف التى تدل على نبل عمر

1- سيرة ابن هشام 3 / 272 .
2- سماحة الإسلام ذ/ أحمد الحوفى 184 .
3- السابق185
4- الفاروق عمر بن الخطاب/ عبد الرحمن الشرقاوى 264 .

وسماحته رضي الله عنه . ومن الجدير بالذكر أن غير المسلمين كانوا يتمتعون فى عهدى عثمان ابن عفان وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما بمزيد من العدل والتسامح والأمن، كما كانوا يتمتعون به فى عهد عمر بن الخطاب ، فسار عثمان بن عفان وولاته بالأمصار الإسلامية على سيرة ولاة عمر فى التسامح مع أهل الذمة، فقد كان الوليد بن عقبة أحد ولاة عثمان بالعراق يُدخل النصارى المساجد، ويجرى عليهم كل شهر وضمن لهم أرزاقهم شهرياً [1] .

كما تمتع أهل الذمة - غير المسلمين - فى خلافة على بن أبى طالب رضي الله عنه بالمعاملة الحسنة، فقد أعطى النصارى من العطاء وساواهم بالعرب والموالى، وكان يوصى عماله فى كل مكان بأهل الذمة خيراً ، وأمر عامله بحفر نهر لأهل الذمة يروون منه أراضيهم، كما أن يهودياً قد اشتكى على بن أبى طالب رضي الله عنه إلى القاضى شريح قاضى البصرة فأنصفه شريح من الخليفة مما أدى إلى إسلام اليهودى وقتاله فى صفوف على رضي الله عنه .

ثالثاً : فى العصر الأموى :-

وفى هذا العصر نجد أن معاوية بن أبى سفيان قد افتتح عهداً جديداً من التسامح مع أهل الذمة ، فقد عين لولده يزيد مربياً مسيحياً ، وعامل المختار بن أبى عبيد الثقفى أهل الذمة بالعراق معاملة حسنة، وكذا الحجاج بن يوسف الثقفى الذى اتهمه المستشرقون باضطهاد أهل الذمة، نراه يسمح لعامله بخراسان أن يبنى لأهل الذمة البيع، وأمر هشام ابن عبد الملك الخليفة الأموى ببناء دار مجاوره لقصره لإقامة البطرك [2] .

وكذلك فقد امتاز عهد عمر بن عبد العزيز بكثير من التسامح مع غير المسلمين فأمر عامله بالكوفة من أن يعطى أهل الذمة ما بقى من خراج الكوفة وسدد ديونهم وجعل صدقاتهم ترد إلى فقرائهم [3] .

وفى الحقيقة أن أهل الذمة تمتعوا بالكثير من عدل عمر بن عبد العزيز ورحمته، فقد أمر عماله بألا يهدموا كنيسة أو بيعة أو بيت نار صولح عليه أهل الذمة [4] .

وهكذا فقد احتل أهل الذمة مكانة بارزة فى جياة الدولة الأموية، وكثر عددهم

1، 2- الإسلام وأهل الذمة د/ الخربوطلى 128,127 .
3- العدل والتسامح فى ضوء الرسلام 94 .
4- تاريخ الطبرى 141/8 .

فى المصالح والدواوين، فكان أكثر الكتاب من اليهود كما أن الذى قام بضرب الدراهم فى عهد عبدالملك بن مروان إسمه سمير اليهودى، وسميت الدراهم باسمه الدراهم السميرية [1]. وهذا إن دل فإنما يدل على مدى ما تمتع به غير المسلمين من التسامح والرعاية.

رابعاً: فى العصر العباسى:-

وفى هذا العصر تمتع أهل الذمة بالتسامح والحرية، وامتلأت بغداد بكثير من الأديرة أشهرها دير العذارى، ودير الروم شرقى بغداد، وكان اليهود والنصارى يقيمون شعائرهم الدينية فى أديارهم وبيعهم فى بغداد وخارجها بأمن وسلام، مما يدل على أن الخلفاء العباسيين كانوا على جانب عظيم من التسامح الدينى مع أهل الذمة، وقد أوجدت الحاجة المشتركة وما ينبغى أن يكون فيها من وفاق بين المسمين واليهود والنصارى نوعاً من التسامح، ولم تتدخل الحكومة الإسلامية كذلك فى شعائر أهل الذمة، بل كان يبلغ من تسامح بعض الخلفاء أن يحضر مواكبهم وأعيادهم ويأمر بحمايتها [2].

واعترف المؤرخ- ترتون - بحسن معاملة أهل الذمة فى العصر العباسى قائلاً: على أن ذمية المرء لم تكن تحول قط بينه وبين تولى المناصب الدينية الرفيعة بين المسلمين، وعلى أية حال فقد كان النصارى فى بعض الأحايين يؤثرون العيش فى ظل الحكم الإسلامى على العيش فى ظل إخوانهم من المسيحيين [3]، مما أدى إلى دخول كثير من المسيحيين والمجوس فى الإسلام باقتناع تام، وقبول حقيقى، وكان هذا ناتجاً عن السياسة الرشيدة الحرة التى قام بها الحكام والولاة فى معاملة غير المسلمين.

خامساً: فى ظل الحكم العثمانى:-

يقول توماس أرنولد: باشر العثمانيون السلطة على الرعايا المسيحيين منذ الأيام الأولى التى قاموا فيها بتوسيع مملكتهم فى آسيا الصغرى، ومنذ ذلك الحين 1435 م توطدت العلاقة بين الحكومة الإسلامية والكنيسة فأعلن محمد الثانى أنه حامى

1- الإسلام وأهل الذمة د/ الخربوطلى 131.
2- الإسلام وأهل الذمة 143 نقلاً عن تاريخ الإسلام حسن إبراهيم 291/1.
3- السابق 153 نقلاً عن الدعوة إلى الإسلام 173.

الكنيسة الإغريقية، وحرم اضطهاد المسيحيين تحريماً قاطعاً وعهد إلى كثير من الأساقفة القيام بكثير من القضايا المتعلقة بشؤنهم المدنية، وفتحت الدولة العثمانية كثيراً من الأقطار التى تدين معظم أهلها بالدين المسيحى، وعاش الرعايا المسيحيون بجانب العثمانيين المسلمين فى تجمع واحد تظلهم سماء الحرية والتعاون [1].

وهناك وثيقة تاريخية كتبها (مقاريوس) بطريك أنطاكية اعترف فيها بتسامح العثمانيين جاءفيها : أدام الله بقاء دولة الترك الخالدة إلى الأبد ، فهم يأخذون ما فرضوه من جزية ، ولا شأن لهم بالأديان ، سواء أكان رعاياهم مسيحيين أم ناصريين يهود أو سامرة، فأدى هذا التسامح إلى دخول أعداد كبيرة منهم فى الإسلام [2].

سادساً : فى مصر الإسلامية :-

لقد رحب القبط بالفتح الإسلامى ولقوا من عمرو بن العاص رضي الله عنه - أعظم التسامح لأنه أنقذهم من الاضطهاد الدينى ، ومن عسف الروم وتنكيلهم بمخالفيهم فى المذاهب ، فقد قُتل منهم نحو مائتى ألف شخص فى مدينة الأسكندرية بأمر من الإمبراطور جستنيان ويذكر التاريخ أن اضطهاد الرومان حمل كثير من المصريين على الالتجاء إلى الصحراء للاحتماء بها ، كما خرج كثير منهم إلى المنفى فراراً من التنكيل واضطرار عدد من كبير منهم إلى اخفاء عقيدتهم الحقيقية ، فليس عجباً أن يرحبوا بعمرو ابن العاص الذى حقق لهم الحرية الدينية التى كانوا يبغونها، ولم يحدث فى عهده ولا فى عهد من جاء بعده أن ضغط على أحدهم ليرتد عن دينه [3]

وقد طبق الولاة المسلمون فى مصر ما كان مطبقا فى غيرها من الولايات الإسلامية من نظم قانونية ، حتى اندمج المصريون فى الأمة العربية ودان معظمهم بدين الإسلام، وتم ذلك فى أقل من قرنين من الزمان وسادت بينهم أواصر المحبة والود، لأن المسلمين قد حفظوا لأهل مصر وصية رسول الله ﷺ حين صاهر المصريين وتزوج بالسيدة مارية القبطية وقال «أوصيكم بأهل مصر فإن لهم نسباً ورحماً »[4]. ولا يزال هذا الود والصفاء جارياً بينهم إلى اليوم وسيظل إلى ما شاء الله .

وإذا ما سايرنا الفتوح الإسلامية بعد ذلك لوجدنا الشعوب المختلفة ترحب

1-2- الإسلام وأهل الذمة د/ الخربوطلى صـ 153 - 154 .

3- سماحة الإسلام د/ الحوفى 188/187 .

4- العدل والتسامح فى ضوء الإسلام 85 ,86

بالمسلمين الفاتحين ، بل وتنضم إليهم أحياناً لتنجوا من عسف الفرس أوظلم الرومان فتستظل بوارف من العدل والسماحة والحرية .

ولما فتح المسلمون بلاد الفرس وأسبانيا وغيرها من الدول نجدهم لم يلقوا أى مقاومة من الشعوب نتيجة الاضطهاد والظلم الواقع عليهم من الحكام ، وكانوا يأملون فى الأمان الذى سينشره الإسلام فى كل مكان يصل إليه .

ولما تحقق لهذه الشعوب ما كانت تأمله من الفاتحين المسلمين سرعان مادان أكثرهم بالإسلام عن رغبة واقتناع ، وسرعان ما تحولت البلاد المفتوحة موئلاً للإسلام وأصبح أهلها دعاته وحمله لوائه[1] .

واستمر هذا التسامح الإسلامى يتمشى مع العصور ولم يكن هذا العدل والتسامح الذى تمتع به غير المسلمين فى الدولة الإسلامية قاصراً على معاملات الحكام والولاة فى أمصارهم ، وإنما امتد ليشمل العامة من الناس فى التعامل والرفق بعضهم ببعض ، وكذلك نجد أن الفقهاء وأهل العلم كانوا سبباً فعالاً فى نشر التسامح والدعوة إليه بين المسلمين وغيرهم .

ولقد قام كثير من الفقهاء والأعلام بالدفاع عن أهل الذمة وغير المسلمين والانتصار لهم من الحكام أنفسهم كالإمام ابن تيمية والإمام الأوزاعى ، وغيرهم من الذين عملوا جاهدين على رفع ظلم الحكام المسلمين عن أهل الذمة [2] .

وفى النهاية نقول : إن التاريخ خير شاهد على التسامح الإسلامى وحسن المعاملة التى لقيها غير المسلمين عبر العصور ، منذ هجرة النبى ﷺ إلى المدينة وحتى يومنا هذا فها هم يعيشون بيننا فى مصر وفى غيرها من البلدان الإسلامية تغمرهم مشاعر الإخوة والمحبة لا فرق فيها بين مسلم ومسيحى ، فالكل يعيش فى ظل سماحة الإسلام يدافع بعضهم عن بعض ويدافع الجميع عن الأرض ، يهنىء بعضهم بعضاً ، ويواسى بعضهم بعضاً ، حتى أصبح الحكام يشاركون غير المسلمين فى احتفالاتهم بالأعياد المسيحية ، وهذا يعد من أعظم صور التسامح الفعلى فى العصر الحديث .

1- سماحة الإسلام د/ أحمد الحوفى 186 بتصرف.

2- العدل والتسامح فى ضوء الإسلام 95 .

شهادة الغرب بالعدل والتسامح الإسلامى

إن ما تم عرضه فى الصفحات السابقة عن العدل والتسامح مع غير المسلمين هو ما يؤكد واقع الإسلام الحقيقى ، وما يعكس موقفه الصريح من غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى ، ولكى ندفع عن الإسلام ما أحاط به من شبهات ونرد عنه ما وجه إليه من سهام أطلقها الحاقدون الماكرون ، ولكى نظهر الإسلام فى صورته النقية ، ولكى يتبين لأعداء الأمة وأعداء الدين كذب ما يدعون وبطلان ما يزيفون ضد الإسلام ، نثبت هنا بعضاً من اعترافات المنصفين من علماء الغرب والمستشرقين لهذا التسامح الإنسانى الفريد ، وهذه العدالة المطلقة التى يتمتع بها النظام الإسلامى فى معاملاته مع أهل الذمة وغيرهم ممن يعيشون فى بلاد الإسلام .

1 - ما قاله - **جون ديوى** - جاء الإسلام بأروع عقيدة توازن موازنة سوية بين الفرد والجماعة ، إذ أقام التكافل الاجتماعى على أساس الأخوة الإسلامية ، وهى طراز فذ من التعاطف الإنسانى الذى جبَّ العنصرية وقضى على التفرقة الطبقية ، وحرر العقيدة من التعصب المقيت [1] .

2- وكتب العلامة الفرنسى **جوستاف لوبون** يقول : «إن مسامحة محمد لليهود والنصارى كانت عظيمة للغاية ، ولم يقل بمثلها مؤسسوا الأديان التى ظهرت قبله كاليهودية والنصرانية على وجه الخصوص وقد سار خلفاؤه على سنته من بعده [2] .

3- وكتب السير **توماس أرنولد** يقول : « لقد عامل المسلمون الظافرون العرب المسيحيين بتسامح عظيم منذ القرن الأول للهجرة ، واستمر هذا التسامح فى القرون المتعاقبة ، ونستطيع أن نحكم أن القبائل المسيحية التى اعتنقت الإسلام إنما اعتنقته عن اختيار وإرادة حرة ، وأن العرب المسيحيين الذين يعيشون فى وقتنا هذا بين جماعات المسلمين لشاهد على هذا التسامح [3] .

ويقول أيضاً : إنه من الحق أن نقول : إن غير المسلمين قد نعموا بوجه الإجمال فى ظل الحكم الإسلامى بدرجة من التسامح لا نجد معادلاً لها فى

1- العدل والتسامح فى ضوء الإسلام 79 .

2- معاملة غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى د/ إدوارد غالى نقلاً عن جوستاف لوبون حضارة العرب 128 .

3- معاملة غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى د/ إدوارد غالى 47 .

أوروبا قبل الأزمة الحديثة . وإن دوام الطوائف المسيحية فى وسط إسلامى يدل على أن الاضطهادات التى قامت منها بين الحين والآخر على أيدى المتزمتين والمتعصبين كانت من صنع الظروف المحلية أكثر مما كانت عاقبة مبادئ التعصب وعدم التسامح .

وهكذا نجد أن هذا المستشرق الإنجليزى الحجة ، المؤمن بالنصرانية إيماناً عميقاً يبرئ الإسلام من التعصب ، ويشهد بتمتع غير المسلمين بتسامح دينى لم تعرفه أوروبا قبل العصر الحديث ، وفى هذا دليل على أن حاكمية الإسلام قد اقترنت بالتسامح الدينى مع غير المسلمين، بينما افتقرت أوروبا إلى هذا التسامح فى ظل حاكمية النصرانية ، ولم تعرف أوروبا التسامح إلا مع العلمانية ، أى على أنقاض حاكمية النصرانية .[1]

4- وكتب الأديب العالمى جورج برناردوشو يقول : لقد عمد رجال الدين فى العصور الوسطى على تصوير الإسلام فى أحلك الألوان، وذلك بسبب الجهل أو بسبب التعصب الذميم ، والواقع أنهم كانوا يسرفون فى كراهية محمد ﷺ وكراهية دينه ويعدونه خصماً للمسيح ، أما أنا فأرى واجباً أن يدعى محمداً منقذاً للإنسانية، وأعتقد أن رجلاً مثله إذا تولى زعامة العالم الحديث نجح فى حل مشكلاته وأحل فى العالم السلام والسعادة ، وما أشد حاجة العالم اليوم إليهما [2] .

5- وكتب الشاعر الأمريكى رونالدركويل بعد أن أشهر إسلامه يقول : لقد راعنى حقاً تلك السماحة التى يعامل بها الإسلام مخالفيه، سماحة فى السلم وسماحة فى الحرب والجانب الإنسانى فى الإسلام واضح فى كل وصاياه[3] .

وقد اعترف - ترتون - بتسامح الحكام المسلمين فقال : كان سلوك الحكام المسلمين فى الغالب أحسن من القانون المفروض عليهم تنفيذه على الذميين وليس أدل على ذلك من كثرة استحداث الكنائس ، وبيوت العبادة فى المدن العربية الخالصة، كما لم تخل دواوين الدولة قط من العمال النصارى واليهود ،

1- فى المسألة القبطية حقائق وأوهام د/ محمد عمارة 45 .
2- معاملة غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى د/ إدوارد غالى 47 .
3- السابق 49 .

كما إنهم كانوا يتولون فى بعض الأحيان أرفع المناصب وأخطرها ، حتى اكتنزوا الثروات الضخمة ، وتكاثرت لديهم الأموال الطائلة ، واعتاد المسلمون المساهمة فى الأعياد المسيحية [1] .

6 - وقال جان مليان : إن الإسلام دين سماوى ، وهو دين حب وعاطفة وشرف وهو أكثر الأديان تسامحاً وتساهلاً [2] .

7- وكتب الباحث الإنجليزى - مونتجمرى وات - معبراً عن اتفاق الصحيفة الذى عقده النبى ﷺ مع اليهود وأجاز لليهود فيه الإقامة بالمدينة جنباً إلى جنب مع المسلمين كتب يقول : إن استمرار اليهود فى المدينة وإن كانوا أقلية يكفى للدلالة على خطأ الباحثين الأوروبيين الذين يقولون إن محمداً ﷺ اتخذ فى السنة الثانية للهجرة مبدأً يقضى بإقصاء كل اليهود عنها لمجرد أنهم يهود ، وأنه استمر فى هذه السياسة بلا هوادة ، وهذا غير صحيح ، بل إن هذه لم تكن وسيلته ولا سياسته فقد كانت له دائماً نظرة متوازنة إلى المواقف ، وكان يكيف الأمور طبقاً للظروف المتغيرة دون التزام بموقف واحد متجمد ، وقد كانت مهاجمته لقبيلتين يهوديتين لا تعدو أن تكون نتاجاً لموقف اليهود أنفسهم ، الذى كان يهدف إلى الإساءة إلى الإسلام بإنكار الوحى والنقد لنصوص القرآن ، كما أنهم كانوا يؤيدون أعداء النبى محمد ﷺ ويتحالفون معهم ، أما الذين لم يلجأوا منهم لمثل هذه السياسة فهم الذين سمح لهم بالبقاء فى المدينة ، وكم كان يمكن أن يتغير التاريخ - تاريخ البشرية - لو أن اليهود وهم أصحاب ديانة توحيدية أمكنهم أن يصالحوه ويتعاملوا معه [3] .

8- وقد اعترف معظم المفكرين المسيحيين بأن المسلمين عاملوا غيرهم دائماً معاملة تنطوى على التسامح ، وقد عاش المسلمون والذميون جنباً إلى جنب فى مجتمع واحد تربطه صلاة المودة والمحبة والتعاون من هؤلاء المفكرين - جولد تسهير - الذى قال : إن ما يشاهد اليوم من تسامح الحكومات الإسلامية يرجع إلى

1- غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى د/ القرضاوى 56 .

2- الإسلام وأهل الذمة د/ الخربوطلى 106 .

3- معاملة غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى د/ إدوارد غالى 48 نقلاً عن محمد النبى ﷺ ورجل الدولة لمونتجمرى وات 92- عرض الأستاذ محمد الحديدى مجلة الهلال يناير 1979 م .

ما كان فى النصف الأول من القرن السابع الميلادى من مبادئ الحرية الدينية التى مُنحت لأهل الكتاب فى مباشرة أعمالهم الدينية [1].

وخلاصة القول: فهذا قليل من كثير مما تحدث به المنصفون وشهد به المفكرون الغربيون ممن درسوا الدين الإسلامى بعناية وعدل، نراهم يجمعون على أن الإسلام قد نادى بالحرية والإخاء والمساواة، ورسم وسائل تحقيقها، وأقام موازين الحق والعدل والإنصاف بين المسلمين وغيرهم، ودعا إلى التعاون والبر والخير والصلاح وتحقق ذلك كله فى ظلال من المحبة والوئام والسلام العام. فماذا يقول الحاقدون بعد ذلك؟ وماذا يريدون من الإسلام؟ إنهم وكما قال الحق سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: 8].

هذا هو مراد كل كافر أن يطفأ نور الإسلام وطمس معالمه، فيعيش الناس فى ظلام وضلال، ولكن هيهات أن يتحقق لهم ما يريدون، فسيبقى الإسلام ظاهراً بحفظ الله له وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: 9]

فيا أهل الحق والصدق تعالوا بنا نرجع سوياً إلى الإسلام، فنحيي صورته الأولى، ونطبق شرائعه جملة وتفصيلاً، كى نحيا بها وتحت ظلالها الوارفة ننعم بالأمن والأمان، وتسود بيننا روح المحبة والوئام فينتشر فى العالم كله العدل والسلام، وهذا هو الطريق.

1- الإسلام وأهل الذمة 106.

فتاوى علماء الإسلام فيما يخص التعامل مع غير المسلمين

لقد شاع فى الآونة الأخيرة بين بعض المسلمين حرمة التعامل مع غير المسلمين وأنه لا يجوز أن نشاركهم الاحتفال فى المناسبات الاجتماعية أو أن نقدم لهم التهانى فى الأفراح والأعياد أو العزاء فى الأموات كما لا يجوز لنا دعوتهم ليشاركونا فى أعيادنا أو احتفالاتنا ، وكل هذا ناتج عن الفهم الخاطىء لمفهوم الولاء والبراء فى الإسلام ، ولكى نزيل هذا الفهم الخاطىء ونوضح الصورة السمحة فى تعامل الإسلام مع غير المسلمين كان لزاماً علينا أن نذكر ما قاله علماء الإسلام فى هذا الصدد ، وفيما يلى نذكر جانباً من الفتاوى التى صدرت فى هذا الموضوع .

سئل **الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر** رحمه الله تعالى : عن العلاقات بين المسلم وغير المسلم فقال : إن دين الإسلام يعمل دائماً على توثيق الروابط بين المجتمع البشرى أفراده وجماعاته عملاً بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات : 13]

وقوله سبحانه ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة : 8]

وعلى هذا فإن المؤمن يكون شأنه آلفاً مألوفاً كما قال ﷺ « المؤمن آلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف »[1] . فهو يعمل دائماً لجذب القلوب لعلها تهتدى على يديه ، وإذن فلا مانع من حضور حفلات غير المسلمين تأليفاً لقلوبهم وتطييباً لخاطرهم ، ما لم تكن هناك منكرات مثل شرب الخمر والرقص فحضور هذه الحفلات يحرم لما فيها من الاشتراك فى الإثم [2] .

وسئل رحمه الله : هل يجوز لمسلم أن يدعو غير المسلم إلى حفل عقد قرانه أو فى حفل ميلاد ابنه ؟ فأجاب قائلاً : إن الصلة بين المسلم وغير المسلم فى البر والعدل والتعامل مؤسسة على قول الله تعالى ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [الممتحنة 9.8]

1- رواه أحمد فى مسنده عن سهل بن سعد وصحيح الجامع الصغير رقم 6661 - 2 / 1130 .
2- فتاوى الإمام عبد الحليم محمود 2 / 197 .

وعلى هذا الأساس يجوز للمسلم أن يدعو غير المسلم إلى حفل عقد زواجه وإلى حفل ميلاد ابنه، مادام غير المسلم لم يؤذ المسلمين فى دينهم، أو فى أمورهم الأخرى كالتجارة والصناعة أما إذا كان غير المسلم ممن يحاربون الإسلام ويعلنون العداء ضده، فلا يجوز لمسلم أن يدعوه إلى مثل هذه الحفلات، وذلك أن هذه الدعوة إنما هى إعلان عن المودة وعن الصلة الوثيقة، ولا يجوز أن يكون بين المسلم وبين من يؤذى المسلمين صلة مودة لقوله تعالى ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾(1) [المجادلة: 22]

وسئل رحمه الله عن ذهاب المسلم إلى الكنيسة؟ فقال:-

معاملة المسيحيين بالحسنى مطلوبة لأن الدين الإسلامى لا تعصب فيه، وأساس ذلك فى قوله تعالى ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ .... الآية﴾ [الممتحنة: 8]

والآيات التى تنهى عن موالاة الكافرين أو غير المسلمين إنما هى فيما إذا حاربوا المسلمين أو كانت العلاقة بهم على حساب مصلحة الإسلام وأهله، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم ومن تابعهم من المؤمنين يعاملون المسيحيين وغيرهم من الذميين بالحسنى ويرفقون بهم، ويخافون من أن يمسوهم بظلم أو يلحقوا بهم أذى، فهذا عمر بن الخطاب: يعطى أهل بيت المقدس الأمان ويسير حتى يدخل كنيسه القيامة فيحين وقت الصلاة ويرفض أن يصلى داخل الكنيسة خوفاً أن يأخذها المسلمون بعده ويقولون هنا صلى عمر.

على أن هذه العلاقة خاصة فيما يتصل بالذهاب إلى الكنائس والأديرة مشروطةٌ بألا تؤدى إلى الميل إليهم أو التهاون معهم فيما يتصل بتقرير الحقائق التى جاء بها القرآن وجاءت بها السنة النبوية فإن أدت إلى شىء من ذلك وجب على المسلم الابتعاد حرصاً على دينه أولاً وعلى حسن معاملة أهل الذمة ثانياً(2).

1- فتاوى الإمام عبد الحليم محمود 197/2.
2- السابق 198/2.

وسئل العلامة الدكتور / يوسف القرضاوى :

هل الأقباط إخوان للمسلمين ؟

فقال : لا ريب أن أوثق أنواع الأخوة وأقواها وأبقاها هى أخوة العقيدة فهى فوق كل الروابط الأرضية من العرق واللون واللغة والإقليم وغيرها، وحقوق هذه الأخوة أوثق وأعظم من حقوق غيرها، كما قال ربنا سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات:10]. ولكن هذه الأخوة العظيمة الوثيقة لا تنافى وجود أنواع أخرى من الإخوة قد لا تكون فى عمق الأخوة الدينية وقوتها ، وذلك مثل الأخوة القومية أو الأخوة الوطنية ومعناها : وجود رباط مشترك مع جماعة من الناس تجمعهم قومية واحدة ، أى ينتسبون إلى عرق واحد ، أو يجمعهم وطن واحد ، والدليل الواضح على ذلك أن القرآن الكريم وصف الأنبياء المرسلين بإخوتهم لقومهم مع أنهم كفروا بهم وكذبوهم وعاندوهم قال تعالى ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾[الشعراء :106,105]. وقوله تعالى ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) ﴾ [الشعراء :124,123] ومن هذا يتبين لنا أن القرآن الكريم قد أقر الأخوة غير الدينية ، أى الأخوة المبنية على وحدة القوم ومثلها القائمة على وحدة الوطن ، فالأخوة الدينية خاصة والأخوة القومية عامة ولا تنافى بين العام والخاص .

وأيضاً فهناك أخوة أعم من هذا كله وهى الأخوة البشرية العامة المؤسسة على أن جميع البشر عباد الله تعالى وأبناء لآدم عليه السلام كما قال النبى ﷺ « أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد » [1] . وفى الحديث عن زيد بن أرقم أن النبى ﷺ كان يقول دبر كل صلاة « اللهم ربنا ورب كل شىء ومليكه أنا شهيد أنك الله وحدك لا شريك لك ، اللهم ربنا ورب كل شىء ومليكه أنا شهيد أن محمداً عبدك ورسولك ، اللهم ربنا ورب كل شىء ومليكه أنا شهيد أن العباد كلهم إخوة» [2] .

فهذه الأخوة التى تضمنتها الشهادة الثالثة تشمل فى ظاهرها كل العباد عرباً وعجماً بيضاً وسوداً ، أغنياء وفقراء ، وملوكا وسوقة، مسلمين وغير مسلمين .

1- رواه أحمد فى مسنده رقم 23381 عن أبى نضرة 17 / 12 .

2- رواه أحمد فى مسنده رقم 19189 عن زيد بن أرقم 14 / 434 . - أبو داود رقم 1508 .

وبما أن الإسلام قد طلب إلينا أن نبر المسالمين من غير المسلمين ونقسط إليهم ولو كانوا خارج دار الإسلام فما بالك إذا كانوا داخل دار الإسلام، أى داخل أوطاننا فهم منا ونحن منهم وإذا كان هذا التعبير - إخواننا - يسرهم ويقربهم منا ويحببنا إليهم، فلماذا لا نستخدمه ونفوت الفرصة على من يريد تعكير صفو العلاقة بيننا وبينهم ويصطادوا فى الماء العكر.

وعليه فإن المصريين الذين يعايشوننا فى وطن واحد هو وطننا ووطنهم فهم إخوان لنا فى الانتماء القومى أو الانتماء الوطنى وإطلاق الأخوة بهذا المعنى جائز ومشروع [1].

وسئل فضيلته عن حكم استيراد البضائع من أهل الكتاب ؟ فقال :-

إن كان أهل الكتاب مسالمين غير محاربين فلا شىء فى أن نستورد منهم أو أن نصدر إليهم بشرط أن تكون التجارة فيما أحل الله تعالى لا فيما حرم وذلك مصداقاً لقوله تعالى : **﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾** [الممتحنة: 8]

ولقد كان النبى ﷺ يتعامل مع الكفار بالبيع والشراء ما داموا غير محاربين له ولدينه [2]

وسئل فضيلته عن حكم ترشيح غير المسلم فى المجلس النيابى عن جزء من الشعب فى دائرة معينة فقال :أن هذا التمثيل له لا يعتبر من باب الإمارة أو الولاية العامة التى لا تجوز لغير المسلم بل هو ممثل عن دائرته فى هذا المجلس ويساهم فى محاسبة الولاة والوزراء، ويساهم فى التشريع للأمة فيما ليس فيه نص محكم.

وإذا كان غير المسلمين مواطنين فى الدولة الإسلامية فلا يوجد مانع شرعى لتمكينهم من دخول هذه المجالس ليُمثِّلوا فيها بنسبة معينة ما دام المجلس فى أكثريته الغالبة من المسلمين، ولا حرج من أن يعطيهم المسلم صوته ما داموا أهلاً لتحمل تبعات هذا العمل ومن برهم والاقساط إليهم أن يمثلوا فى هذه المجالس حتى يعبروا عن مطالب جماعتهم ولا يشعروا بالعزلة عن بنى وطنهم.

1- فتاوى معاصرة 392/3

2- السابق 422/3.

ومن فتاوى الهيئات العامة ما صدر عن الهيئة العامة للفتوى بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة قطر فى هذا الشأن كما يلى :-

- الفتوى رقم **699** بتاريخ **1986/7/1**م. وتتضمن جواز تهنئة غير المسلم بالأفراح والولادة والسلامة والعافية وقدوم المسافرين وعيد رأس السنة الميلادية بشرط ألا تتضمن التهنئة الرضا بأمور محرمة فى الإسلام كالتثليث فى الأعياد الدينية وغيرها .

- والفتوى رقم **1166** بتاريخ **1987/4/7**م. وتتضمن جواز التعامل مع غير المسلم بالبيع والشراء ولوكانت أموال غير المسلم من حرام أو شبهة لأن العبرة بسبب الملك وهو مشروع ، والإثم على من تكسب وليس على من انتقل إليه بسبب مشروع وهو البيع والشراء.

- والفتوى رقم **642** بتاريخ **1987/4/7**م، بجواز مشاركة أهل الكتاب العزاء والمشى فى جنائزهم دون المشاركة فى طقوسهم الدينية التى حرمها الإسلام .

- والفتوى رقم **1160** بتاريخ **1987**م. وتتضمن جواز تشغيل غير المسلم وجواز إعطائه الصدقة وإسناد بعض الأعمال إليهم بشرط ألايؤدى تشغيل غير المسلم إلى نشر الفجور والفساد.

ومما سبق يتضح لنا أنه لا خلاف بين علماء الإسلام فى جوازمعاملة المسلم لغير المسلم سواء فى البيع أو الشراء وأنه لاحرج فى أن نتبادل معهم التهانى بالأفراح والأعياد، أو أن يواسى بعضنا بعضاً فى المصائب طالما أن غير المسلم لا يعمل على إيذاء المسلمين أو محاربة الدين ، وعليه فلا حجة لمن يزعم بتحريم المعاملات بين المسلمين وغير المسلمين.

الفصل الثالث

موقف غير المسلمين من المسلمين على مر العصور

★ موقف غير المسلمين من المسلمين في العهد النبوي.

★ الموقف اليهودي بعد عهد النبوة.

★ المجازر الإسرائيلية بحق الشعب الفلسطيني.

★ الموقف المسيحي بعد عهد النبوة.

موقف غير المسلمين من المسلمين على مر العصور

بعد أن تحدثنا عن سماحة الإسلام وبينا كيف يعامل المسلم غير المسلم وموقف شريعة الإسلام من غير المسلمين ، كان من الضرورى أن نعقد هذا الفصل لنعرض فيه الصورة المقابلة لمعاملة غير المسلمين للمسلمين منذ عهد النبوة وحتى عصرنا الحاضر ، لنرى كيف كان المسلمون أعف وأكرم من أن يفعلوا بمخالفيهم فى العقيدة كما فعلوا هم ، و كيف ترفعوا عن أن يلطخوا تاريخهم بتلك المخازى التى رأيناها فى القديم والحديث ، من تقتيل وتحريق وحبس وإبادة لأهل الإسلام فى كل زمان ومكان . وسوف نتحدث عن معاملات غير المسلمين للمسلمين وموقفهم منهم منذ عصر النبوة وحتى عصرنا الحاضر ، لتتضح الصورة أمام كل ذى عينين فيعلم ما فى الإسلام من سماحة وبر ورحمة ، وما فى غيره من ظلم وقهر وعدوان .

موقف غير المسلمين من المسلمين فى العهد النبوى

أولاً : موقف غير المسلمين - المشركين - من المسلمين فى مكة :

لقد وقف غير المسلمين - مشركى مكة - موقفاً معادياً للإسلام وأهله من أول يوم ، فمنذ أن قام النبى ﷺ بإعلان دعوته وأخذ يغشى مجالس قومه ويدعوهم للإسلام ويبالغ لهم فى إظهار حجته ، ويكثر لهم من الأدلة والبراهين على بطلان ديانتهم وجاءهم بالآيات تترى فسفه أحلامهم وحقر آلهتهم وضلل آباءهم ، من هنا تبين المشركون حقيقة تلك الدعوة أنها جاءت لتغيير الأنظمة الجاهلية الحاكمة وتحطيم كل الأنظمة الفاسدة ، والقضاء على الفساد الخلقى والسياسى والاقتصادى والاجتماعى السائد .

وعلى الرغم من إعلان النبى ﷺ أنه لا إكراه فى الدين ، وأن المعارضين لدعوته لهم دينهم وله دينه ، كما أمره ربه فى قوله سبحانه : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ① لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ② وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ③ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ④ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ⑤ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: 6] كما أن سلوكه ﷺ مع معارضيه كان يتسم بالرفق واللين والسماحة فلم يكره أحداً على اعتناق ما يدعو إليه ، وما اشتد عليهم مرة فى الجدال ، بل كانت الحكمة والموعظة الحسنة سبيله فى الدعوة .

و أقول على الرغم من هذا كله إلا أننا نجد أن المرحلة العلنية للدعوة الإسلامية فى مكة كانت مرحلة ابتلاء عام وشامل فما من مسلم أو مسلمة إلا وأوذى إيذاءً شديداً .

وما من صورة من صور الابتلاء إلا وقد وقعت بالمسلمين والمسلمات وفى مقدمتهم رسول الله محمد ﷺ، وسوف نعرض جانباً مما تعرض له النبى ﷺ وأصحابه لترى كيف كانت معاملة غير المسلمين للمسلمين فى المجتمع المكى [1].

لقد تفنن غير المسلمين- المشركين- فى إيقاع كافة ضروب التعذيب بالمسلمين حتى لم يدعو وجهاً من وجوهه إلا أخذوا به حتى الإيلام بالنار، فأخذ رئيس كل قبيلة يعذب من دان بالإسلام من قبيلته، وانقض كل سيد على من اختار طريق الإيمان من عبيده، وكان من الطبيعى أن يهرول الأذناب والأوباش خلف ساداتهم وكبرائهم، ويتحركوا حسب مرضاتهم وأهوائهم فجروا على المسلمين - ولا سيما الضعفاء منهم- ويلات تقشعر منها الجلود، وأخذوهم بنقمات تتفطر لسماعها القلوب، وانقلبت الأمور إلى حرب تنكيل وسفك دم بالنسبة إلى المستضعفين من المؤمنين، فمن ليست له عصبة تدفع عنه لا يعصبه من الهوان والقتل شىء يحبس على الآلام حتى يكفر أو يموت أو يسقط إعياءً [2].

وكان أبو جهل إذا سمع برجل قد أسلم له شرف ومنعه أنبه وأخزاه، وأوعده بإبلاغ الخسارة الفادحة فى المال والجاه، وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به [3].

وفيما يلى نذكر نماذج من الصحابة الذين نالهم الأذى من مشركى مكة، فمن الضعفاء الذين أوذوا فى الله تعالى: -

- عمار بن ياسر وهو من السابقين الأولين أسلم هو وأبوه وأمه فكان المشركون يخرجونهم إلى الأبطح إذا حميت الرمضاء فيعذبونهم فى حرها فمات ياسر فى العذاب، وأغلظت امرأته سمية القول لأبى جهل فطعنها فى قبلها بحربة فى يده فماتت، وهى أول شهيدة فى الإسلام، وشددوا العذاب على عمار بالحرتارة، وبوضع الصخرة على صدره تارة وبالتغريق أخرى[4] وقيل إن أبا جهل كان يلبس عماراً درعاً من الحديد فى اليوم الصائف[5].

- ومن هؤلاء بلال رباح كان أمية بن خلف إذا حميت الشمس وقت الظهيرة

1- نقتصر هنا على إبراز جانب التعذيب البدنى لأنه كان أقوى الوسائل التى قام بها الكفار ضد المسلمين.
2- فقه السيرة للشيخ محمد الغزالى 93.
3- سيرة ابن هشام 1/ 320.
4- سيرة ابن هشام 1/ 170.
5- السيرة المحمدية 114.

يقلبه على الرمال الملتهبة ظهراً لبطن، ويأمر بالصخرة الجسيمة فتلقى على صدره ثم يقول له، لا تزال هكذا حتى تموت أوتكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى[1].

- وممن عُذب واضطهد خباب بن الأرت، وكان يحدث عن نفسه فقال: لقد رأيتنى يوماً وقد أو قدت لى ناراً ووضعوها على ظهرى فما أطفاها إلا ودكه أى دهنه.

وكان قد أسلم غير خباب عبيد كثيرون فكان مواليهم يذيقونهم عذاب الهون رجاء أن يصبأ ومن هؤلاء: -

زنيرة وعامربن فهيرة وأخته عذبهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالضرب الشديد، وكان أبوفكيهة عبداً لصفوان بن أمية فأخرجه فى يوم شديد الحر مقيداً الى الرمضاء ووضع على بطنه حجراً حتى خرج لسانه.

وأم عِنبس كانت أمة لبنى زهرة فكان يتولى تعذيبها عبد الأسود بن يغوث بأشد مايستطيع قلب صلد أن يفعله[2]

وكان صهيب بن سنان الرومى يعذب حتى يفقد وعيه ولا يدرى ما يقول.

وممن أوذى من السادات والأشراف:

أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقد أخذه نوفل بن خويلد العدوى وأخذ معه طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه فشدهما فى حبل واحد.

وممن نزل به الأذى عثمان بن عفان رضي الله عنه فقد حبسه عمه الحكم بن العاص فى حجرة مظلمة وقيده بسلاسل من حديد ويقول له ستبقى هكذا حتى تترك إله محمد وتعود لآلهة قومك[3].

وكذلك سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه تولت أمه تعذيبه وحبسه.

وتعرض الزبير بن العوام رضي الله عنه إلى سخط عمه نوفل بن خويلد وأقسم نوفل أن ينزل بالزبير رضي الله عنه ألوانا من العذاب وكان يضعه فى حجرة مظلمة مكتوف الأيدى ثم يدخل عليه دخان كثيف بالحجرة حتى ضاقت أنفاسه كى يعود إلى دين قومه[4].

---

1 فقه السيرة للغزالى.

2- السيرة المحمدية 114 - 115.

3- الرحيق المختوم 106.

4- موسوعة التاريخ الإسلامى د/ أحمد شلبى 1 / 223

ويمكن القول أن الرسول ﷺ نفسه لم يسلم من أذى غير المسلمين - مشركى مكة- فى تلك الفترة، وخاصة عقب هجرة المسلمين إلى الحبشة، فمن صور التعذيب التى تعرض لها ﷺ: -

- محاولة خنقه ﷺ وهو يصلى: تروى كتب السيرة أن النبى ﷺ بينما هو يصلى جاء عقب بن أبى معيط فوضع ثوبه على عنقه فخنقه خنقاً شديداً حتى أقبل أبو بكر رضي الله عنه فآخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله ﷺ وهو يقول: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾[1] [غافر: 28].

إلقاء القاذورات عليه ﷺ: روى البخارى فى صحيحه عن عبد الله بن مسعود أن النبى ﷺ كان يصلى عند البيت وأبوجهل وأصحاب له جلوس إذ قال بعضهم لبعض: أيكم يجئ بسلى جزور بنى فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم فجاء به فنظر حتى إذا سجد النبى ﷺ فوضعه على ظهره بين كتفيه وأنا أنظر لا أغنى شيئاً، لو كانت لى منعة، قال فجعلوا يضحكون ويميل بعضهم على بعض ورسول الله ساجد لا يرفع رأسه، حتى جاءت فاطمة فطرحته عن ظهره، فرفع رأسه ثم قال: اللهم عليك بقريش ثلاث مرات. . اللهم عليك بأبى جهل وعليك بعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبى معيط[2].

يقول ابن مسعود: فرأيتهم قتلوا يوم بدر وألقوا فى القليب.

وكان أشد الناس تعذيباً واضطهاداً للنبى ﷺ عمه أبو لهب وامرأته أم جميل التى كانت تعين زوجها على إيذاء رسول الله وتضع الشوك والأقذار أمام بيته حتى نزل القرآن يهاجمهم قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: 1]

وفى رحلة الطائف كان النبى ﷺ هدفاً للسفهاء والصبية الذين أمطروه بوابل من الحجارة ووابل من سقط القول وفحشه حتى رجع النبى ﷺ وقد شجت رأسه ونزف الدم من عقبيه[3].

ولم يتوقف الإيذاء عند من ذكرنا، بل امتد حتى أصاب المجتمع الإسلامى كله

---

1. 2 - السيرة النبوية عبد القادر أبو فارس 146، والحديث عند الإمام البخارى كتاب مناقب الأنصار باب ما لقى النبى من المشركين صـ 694 رقم 3856, 3854.

3-موسوعة التاريخ الإسلامى 1 / 237.

آنذاك حين تمخض حقد المشركين عن عقد معاهدة فيما بينهم تعتبر المسلمين ومن يرضى بدينهم ، أو يعطف عليهم ، أو يحمى أحداً منهم حزباً واحداً دون سائر الناس ، ثم اتفقوا على ألا يبيعوهم أو يتباعوا منهم شيئاً ، وألا يزوجوهم أويتزوجوا منهم ، وكتبوا فى ذلك صحيفة وعلقوها فى جوف الكعبة فحبسوا النبى ﷺ ومن معه وحاصروهم فى شعب أبى طالب وقطعوا عنهم العون والمدد ، فقل الغذاء حتى بلغ بهم الجهد أقصاه وسُمع بكاء الأطفال من وراء الشعب ، وعفتهم الأزمات حتى رثى لحالهم الخصوم [1] .

ومع هذا كله لم تفتر حدة غير المسلمين من الوثنيين فى الحملة على الإسلام ورجاله بل نراهم يألبوا عليهم العرب من كل مكان ، ولايزالون على ذلك حتى اضطر النبى ﷺ ومن آمن معه أن يتركوا مكة فارين بدينهم بحثاً عن موطن آمن تنموا فيه دعوة الإسلام بلا ظلم أو اضطهاد .

ثانياً: موقف غير المسلمين - اليهود - من المسلمين فى المدينة:

لقد وقف غير المسلمين - اليهود - موقفاً معادياً للدولة الإسلامية التى قامت بالمدينة المنورة عقب هجرة الرسول ﷺ إليها من مكة سنة 1هـ/ 622م .

ومع أن النبى ﷺ قد دخل عليهم المدينة مسالماً وعقد معهم معاهدة سلم وأمان اشتهرت فى مصادر التاريخ الإسلامى بـ « الصحيفة والكتاب » .

تضمنت هذه الصحيفة أكثر من أربع عشرة مادة تحدثت فيها عن اليهود ، وفى هذه المواد تقنين لدمج اليهود فى رعية الدولة واعتبارهم - أمة مع المؤمنين - المهاجرين والأنصار ، وتقنين المساواة بينهم وبين المؤمنين فى الحقوق والواجبات مع تقنين حقهم الكامل فى الاعتقاد الدينى الذى يختلفون فيه مع الإسلام والمسلمين ، فلنقرأ فى هذه المواد الدستورية لنرى أرقى صور التقنين للاعتراف بغير المسلمين من اليهود ، ومساواة الأقلية للأغلبية ، وتقرير التعددية الدينية فى رعيةالدولة الواحدة ، يقول النبى ﷺ فيها[2] : -

---

1- فقه السيرة للغزالى الى 107- وتراجع الصحيفةبنصها فى سيرة ابن هشام 1 / 419 .

2- ذكر ابن هشام النص الكامل لتلك المعاهدة فى سيرته 1/501-504 . والسيرة النبوية لأبو فارس435-438 .

«ويهود أمة مع المؤمنين ،لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم. . وأن بطانة يهود كأنفسهم إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوقع (يُهْلك) إلا نفسه وأهل بيته ، ومن تبعنا من اليهود فإن له النصر والأسوة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة ، غير مظلومين ولا متناصر عليهم ، ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين ، على اليهود نفقتهم وعلى المسمين نفقتهم ، وأن بينهم النصر والنصيحة والبر دون الإثم» .

بهذه الصفحة الشديدة الإشراق والتألق فتح النبى ﷺ كتاب العلاقة بغير المسلم - اليهود - عندما قننت الدولة الإسلامية الحرية الدينية ، والتعددية الدينية، والمساواة فى حقوق المواطنة فى داخل الأمة الواحدة والدولة الواحدة .[1] .

وكانت روح هذه المعاهدة هو العمل المشترك لهدف مشترك غير أن اليهود كما أثبت التاريخ ذلك لم يكونوا مخلصين فى عهدهم ، بل زاد حقدهم عندما رأوا دين محمد ﷺ ينمو نمواً واسعاً فى أقصر مدة عرفها التاريخ فعقدوا العزم على المقاومة .

واتخذت مقاومتهم للإسلام جانب الصراع الفكرى ، تاركين الصراع العسكرى لقريش ، فبدؤا بالجدل الذى قصدوا به أن يشككوا المسلمين فيردوهم عن الإسلام ، وأثاروا لذلك مسائل كالقضاء والقدر وخلق الأفعال وغيرها .

وقد حكى القرآن هذا الموقف بقوله تعالى ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [البقرة: 109]

ولم يقف اليهود عند حد التشكيك وإثارة الفتن بين المسلمين، فقد خانوا دولة الإسلام إبان ذروة الحصار والقتال فى غزوة الخندق - الأحزاب - وفى أشد اللحظات القتالية حرجاً نراهم متآمرين مع جيش الشرك المحاصر للمسلمين في المدينةالمنورة، ثم تواصلت خيانتهم ومساعيهم لجمع كلمة الشرك والوثنية ضد التوحيد الإسلامى ودولته وأمته عارضين ثمار مزارع خيبر على قبائل الشرك كى تأتى فتقضى على دولة الإسلام [2] .

1- الإسلام والآخر من يعترف بمن ؟ ومن ينكر من ؟ د/ محمد عمارة 27- 28 بتصرف .
2- موسوعة التاريخ الإسلامى 1 / 445.

لقد واجه الرسول ﷺ عقب هجرته إلى المدينة حرباً من النفاق تعد من أعنف ما عرفه التاريخ من حروب النفاق بعد أن نجاه الله من معركة الكفر فى مكة، وكان قوادها سادة حروب التهويل والدعاية، وقادتها فى جميع العصورهم بنو إسرائيل[1]

لقد تمشى اليهود مع طبائعهم القديمة في الغدر والخيانة، ونكث العهود فأخذوا فى طريق الدس والمؤامرة والتحريش وإثارة القلق والاضطراب فى صفوف المسلمين وهاك أمثلة على ذلك[2] :-

1- كان أول من كشف عن ضغنه وهزأ بالإسلام وأهله من غير المسلمين فى المدينة هم يهود بنى قينقاع أقوى جماعات اليهود، يذكر ابن اسحاق : أن امرأة عربية قدمت بحليها فى سوق بنى قينقاع فجلست إلى صائغ هناك، فاجتمع حولها نفر من اليهود يريدونها على كشف وجهها فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها وهى غافلة، فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوأتها، وضحك اليهود منها، وصاحت المرأة، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله فشدت اليهود على المسلم فقتلوه، وهكذا طارت الشرارة، ووقعت الحرب بين المسلمين وبنى قينقاع، حتى أخرجهم النبى ﷺ من المدينة [3].

2- خيانة بنى النضير لرسول الله ﷺ ومحاولة قتله :-

لقد جاء النبى ﷺ إلى يهود بنى النضير يطلب منهم الوفاء بالتزامهم المالى بموجب الوثيقة الدستورية التى كتبها عند مقدمه المدينة، وتتضمن مساعدة اليهود فى النفقة المالية الحربية ضد الأعداء، فطلب مساعدتهم فى دية رجلين قتلهما خطأ- عمرو بن أمية الضمرى - فقالوا نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت ثم خلا بعضهم ببعض وتآمروا على قتله ﷺ، فقالوا ليعلوا رجل هذا البيت الذى يتكئ محمد ﷺ على جداره فيلقى عليه صخرة فيريحنا منه ؟ فقام عمر بن جحاش اليهودى ليلقى على النبى ﷺ الصخرة، فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام ورجع إلى المدينة، فأخبر أصحابه بما أراد العدو به من

1- محمد ﷺ وبنو إسرائيل د/ مصطفى كمال وصفى 51.

2- الرحيق المختوم 254.

3- سيره ابن هشام 2 / 47- فقه السيرة للغزالى 213.

غدرفحاصرهم النبى ﷺ وأصحابه مدة طويلة حتى أجلاهم عن المدينة[1].

3- بنى قريظة وتحزيب الأحزاب ضد المسلمين :-

قدم جماعة من بنى قريظة على قريش بمكة فدعوهم إلى حرب النبى ﷺ والمسلمين ؟وقالوا إنا سنكون معكم حتى نستأصله [2].

ومما يجدر ذكره أن نقض بنى قريظة للعهد قد تكرر أكثر من مرة ، فقد ساعدوا قريشاً فى معركة بدر الكبرى وأمدوهم بالسلاح .

ويمكن تلخيص الجرائم التى ارتكبها يهود بنى قريظة ضد المسلمين بما يأتى :-

1- الاتفاق مع الأحزاب على سحق المسلمين، واستئصال شأفتهم .

2- مباشرة الاعتداء على المسلمين، إذ قام شاس بن قيس بقيادة عشرة من اليهود بالاعتداء على المسلمين وذراريهم .

3- همّ يهود بنى قريظة بمهاجمة المدينة ليلاً فى ألف من قريش وألف من هوازن

4- قدم يهود بنى قريظة مساعدة مادية للأحزاب عبارة عن مواد تموينية أثناء حصارهم للمدينة .

5- محاولة نيلهم من رسول الله ﷺ وهو رئيس الدولة وهم رعاياه [3].

وبهذه الجرائم استحق يهود بنى قريظة أن يحاصروا ويقاتلوا بأمر من السماء عن طريق الوحى فعن عائشة قالت « إن جبريل عليه السلام أتى النبى ﷺ بعد أن رجع من الخندق فأمره أن يخرج إلى بنى قريظة »[4].

4- يهود خيبر وجرائم أخرى ضد المسلمين :-

لقد ارتكب يهود خيبرجرائم عدة ضد المسلمين أهمها :-

1- تحريض القبائل العربية وتجميعها على قتال المسلمين والقضاء عليهم فى غزوة الأحزاب إذ كان رئيس الوفد المحرض هو حيي بن أخطب وهومنهم .

2-الافتراء على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ وعلى الإسلام لتشويه صورته

1- السيرة النبوية لأبو فارس 455- ابن هشام 2 / 190

2- محمد ﷺ وبنو إسرائيل 99.

3- السيرة النبوية لأبو فارس 456وما بعدها - الصراع مع اليهود لأبو فارس 2 / 19-20.

3- صحيح البخارى كتاب المغازى باب مرجع النبى ﷺ من الأحزاب ومخرجه لبنى قريظة 747رقم4117.

حين قالوا للمشركين دينكم خير من دين محمد ﷺ وأنتم أولى بالاتباع فنزل فيهم قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ [النساء: 52,51]

3- قيام الوفد اليهودى الخيبرى بإقناع يهود بنى قريظة بنقض العهد مع المسلمين والقتال مع الأحزاب.

4- تأليب قبيله غطفان لقتال المسلمين.

5- حاولوا الغدر بسرية من سرايا المسلمين.

6- جعلوا خيبر وكراً لكل عدو للمسلمين يتآمرون فيها لغزو المسلمين والنيل منهم[1]، ولهذه الأسباب قرر النبى ﷺ غزو خيبر حتى أصبحت فيئاً للمسلمين.

5- امرأة يهودية تحاول قتل النبى ﷺ: -

قال ابن اسحاق لما رجع رسول الله ﷺ من خيبر إلى المدينة أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية (مشوية) وقد سألت؛ أى عضو من الشاة أحب إلى رسول الله؟ فقيل لها الذراع فأكثرت فيها السم، ثم سممت شائر الشاة، ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يدى رسول الله ﷺ، تناول الذراع فلاك مضغة منها فلم يسيغها - يبلعها - وكان معه بشر بن البراء بن معرور وقد أخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ، فأما بشر فساغها - بلعها- وأما رسول الله ﷺ فلفظها ثم قال« إن هذا العظم ليخبرنى أنه مسموم، ثم دعا بها فاعترفت، فقال لها ما حملك على هذا؟ فقالت بلغت من قومى ما لم يخف عليك، فقلت إن كان ملكاً إسترحت منه وإن كان نبياً فسيخبر، فتجاوز عنها النبى ﷺ ومات بشر من أكلته التى أكل[2].

وقيل أن رسول الله ﷺ مات شهيداً من السم الذى دس فى الشاة المسمومة ذكر البخارى فى صحيحه عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان النبى ﷺ يقول

1- السيرة النبوية لأبى فارس 478 - الصراع مع اليهود لأبى فارس 2/19-20.

2- محمد ﷺ وبنو إسرائيل 136.

فى مرضه الذى مات فيه : « يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذى أكلت بخيبر فهذا أوان انقطاع أبهرى - عرق فى الظهر متصل بالقلب إذا انقطع مات صاحبه - من ذلك السم[1]» .

هكذا ناوء اليهود وغيرهم من بنى إسرائيل الإسلام ، وعانى منهم رسول الله ﷺ أشد العناء ، عانى من نفاقهم وزيفهم عن الحق وإلباسهم الحق بالباطل باسم جدل العلم وتبادل الحجة ، وعانى أيضاً من غدرهم ونكثهم وخلفهم ، فلم يتورعوا أن يحاربوه بمختلف الأسلحة ، وأن يشرعوا فى وجهه كل باطل حتى السحر والكهانة ودس السم .

كل ذلك تعرض له النبى ﷺ هو وأصحابه ولا عجب فى أن يصدر هذا كله من شعب كان حرباً على كل الأنبياء فكذبوهم وقتلوهم ، وفعلوا أكثر من هذا فقد تطاول اليهود على ذات الله عز وجل فقالوا : ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ [آل عمران 181] . وقال تعالى فيهم : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ [المائدة : 64]

ولكى نرى مدى حقد اليهود وكرهم للنبى ﷺ نذكر ما قاله أحد حاخامات اليهود فى حق النبى ﷺ : يقول يا أبناء بنى إسرائيل اعلموا أننا لن نفى محمداً حقه من العقوبة التى يستحقها حتى لو سلقناه فى قدر طافح بالأقذار ، وألقينا عظامه النخرة إلى الكلاب المسعورة لتعود كما كانت نفايات كلاب ، لأنه أهاننا وأرغم خيرة أبنائنا وأنصارنا على اعتقاد بدعته الكاذبة ، وقضى على أعز مالنا فى الوجود ، ولذا يجب عليكم أن تلعنوه فى صلواتكم المباركة أيام السبت ، وليكن مقره فى جنهم وبئس المصير[2] .

فهاهم اليهود وهذا كلامهم ومشاعرهم نحو رسول الله ﷺ وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ [آل عمران118] . إنهم بحق أشد الناس عداوة كما قال ربنا سبحانه : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ [المائدة : 82]

1- البخارى كتاب المغازى باب مرض النبى ﷺ ووفاته 804 رقم 4428 .

2- المفسدون فى الأرض س . ناجى 123 . نقلاً عن سفر حازوحار الذى طبع بالفرنسية عام 1907م . 88/2 .

ثالثاً: موقف غير المسلمين - الصليبيين والمجوس - من المسلمين:-

لم يكن موقف الصليبيين والمجوس أحسن حالاً من المشركين واليهود فى معاملة المسلمين، فبعد أن قضى رسول الله ﷺ على شوكة اليهود فى المدينة وهادن قريش، انفتح أمامه باباً أوسع لنشر الدعوة الإسلامية فسرعان ما أرسل البعوث والكتب لرؤساء العشائر والإمارات بالجزيرة العربية، والملوك والرؤساء بالأقطار المحيطة بها يدعوهم أن يدخلوا هم وأتباعهم وشعوبهم فى دين الله فإن لم يفعلوا فعليهم الإثم والوزر [1].

وكانت هذه الرسائل بداية لعهد جديد من الأذى والاضطهاد الذى تعرض له المسلمون، كانت تجمعات الروم تهدد المسلمين دائماً، وكما تحرش الروم بالمسلمين تحرش بهم الفرس أيضاً، فكانت القبائل الموالية للفرس توالى الإغارة على أرض المسلمين.

ومع نمو الإسلام وانتشاره اشتد الحقد الصليبى على الإسلام وأهله فأعلنوا الحرب عليه من خلال قتلهم للرسل الذين يبعثهم النبى ﷺ بالكتب كما سخروا من تلك الكتب فمزقوها وألقوا بها، فقد بعث النبى ﷺ كتابه إلى الغساسنة مع الحارث بن عمير الأزدى وكان الغساسنة خاضعين لملك الروم ويرون أنفسهم أقوياء بسلطان الروم فقتلوا حامل كتاب رسول الله ﷺ وسخروا بمن أرسله [2].

وقد قتل والى الشام كل من أسلم من عرب الشام، أما كسرى فقد مزق كتاب رسول الله ﷺ وألقى به فى الأرض بعد أن سخر منه، هذا وقد قتل هؤلاء الحاقدون خمسة عشر صحابياً كانوا أفراد سرية بقيادة عمرو بن كعب الغفارى [3].

ولما كان قتل السفراء من أشنع الجرائم، يساوى بل يزيد على إعلان حالة الحرب، لأن السفير يمثل الدولة، وحرمته من حرمتها، وهيبته من هيبتها، فإن الاعتداء على سفير الدولة، اعتداء على الدولة ورئيسها وشعبها، ومن هذا المنطلق

1- الاختراق اليهودى للمجتمعات الإسلامية د/ فرج الله عبد البارى 14.
2- موسوعة التاريخ الإسلامى. 521/1.
3- تاريخ الطبرى 103/3.

غضب رسول الله ﷺ وأرسل السرية لتأديب هؤلاء المعتدين ، ووقعت غزوة مؤتة ، فأبلى المسلمون فيها بلاءً حسناً للثأر من قتل السفراء وسقط فيها عدد من المسلمين منهم القادة الثلاثة الذين تولوا قيادة الجيش وهم زيد بن حارثه وجعفر بن أبى طالب ، وعبد الله بن رواحه ، حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله هو خالد بن الوليد الذى فتح الله على يديه فرد كيد الأعداء وكان النصر بإذن الله .

ولم يكتف الروم بما حدث لهم فى غزوة مؤتة فأخذوا يعدون العدة للقضاء على المسلمين ، وأخذ هرقل يحشد حشوداً ضخمة للانقضاض على الدولة الإسلامية وترامت إلي النبى ﷺ فى المدينة أنباء هذا الإعداد الماكر الذى يعده ملك الروم للقضاء على محمد ﷺ وأصحابه فقام النبى ﷺ بتجميع المسلمين وأخبرهم بما يريده الروم بهم .

وكانت غزوة تبوك من أشد الغزوات على المسلمين ، فقد تحملوا الحر الشديد والعطش الشديد حتى كانوا ينحرون إبلهم لينفضوا أكراشها ويشربوا ماءها ، فكان ذلك عسرة فى الماء ، وعسرة فى النفقة ، وعسرة فى الظهر فسميت بغزوة العسرة[1] .

ولم يقتصر الأمر فى هذه الغزوة على مواجهة كيد الرومان ، بل تحالف المنافقون لتثبيط الهمم ، وإضعاف العزائم وكانوا يجتمعون فى بيت سويلم اليهودى ليدبروا تثبيط همم المسلمين عن الغزوة ، كما كان هناك جماعة من العرب يرعبهم أن يقفوا فى وجه الروم فتخلفوا عن الغزوة وزحف جيش الفداء مستعداً للشهادة وكان تعداده ثلاثين ألفاً أو يزيد ، ولم يكن الروم ينتظرون هذا العدد الضخم من المسلمين أن يلتحقوا بالجيش فى فترة الحصاد وزمن الحر القاسى ولذلك راعهم أن يزحف نحوهم هذا الجيش الكبير ، يقوده أبطال لا يعرفون الانهزام أمثال أسيد بن حضير ، والحباب بن المنذر ، وخالد بن الوليد ، فلما التقى الجمعان تقهقر جيش الروم داخل بلاده مدافعاً بعد أن كان يريد الهجوم والقضاء على الفئة المؤمنة وكان النصر للمسلمين الصابرين[2] .

1- فقه السيرة للغزالى 347 .

2 - موسوعة التاريخ الإسلامى صـ545وما بعدها بتصرف .

وبعد هذا العرض يتضح لنا صورتان متناقضتان :

الأولى : مدى تعاطف المسلمين مع الروم لأنهم أهل كتاب فحينما هزمهم الفرس حزن المسلمون لذلك حزنا شديداً حتى بشرهم الله تعالى بأن الروم سوف ينتصرون على الفرس وتعم الفرحة بينهم .

الثانية : صورة الروم ومدى حقدهم على الإسلام وأهله وبذلهم أقصى الجهد لينالوا منه أو يقضوا عليه ويستأصلوا شأفته من الأرض [1] .

لقد كانت غزوة تبوك آخر غزوات النبى ﷺ وبانتهائها وانتصار المسلمين على الروم لم توضع نهاية للاضطهاد والظلم الذى يتعرض له المسلمون من غير المسلمين بل بدأت فترة اضطهاد جديدة ضد الإسلام والمسلمين ا تخذت لها صوراً شتى سنعرض لها فيما يلى حتى تتضح الصورة كاملة إن شاء الله .

1- السيرة النبوية لأبى فارس 492.

الموقف اليهودى من المسلمين بعد عهد النبوة

موقف اليهود من الآخر: [1].

يقول الكاتب الكبير ف . سولين : إذا أردنا معرفة أسباب النكبات التى تعرض أو سيتعرض لها العالم ، والتى أسفرت أو ستسفر عن مذابح رهيبة ونكبات اقتصادية عامة ، وعمليات التخريب المتقنة للنظم والأفكار الاجتماعية لوجب علينا أن نتعلم البحث عن مدى ما فى ظاهرها ونتائجها من الطابع والأثر والبداهة اليهودية ، ومقدار توافقها مع الأغراض الصهيونية وإذا أردنا تجنب التعرض لمثيلاتها فى المستقبل ، لوجب علينا أن نتقن أصول كشف الألوان والأساليب والأضاليل التى تعتمدها اليهودية والماسونية ، والتى تتخلل جميع شئوننا اليومية ، ولذا كان لزاماً علينا أن نسبر أغوار الإشاعات والترهات والدسائس التى تهمس فى آذاننا ، وأن لا نتسرع فى الحكم لها أو عليها ، إلا بعد أن نتأكد من صحتها إذ ربما كان اليهودى الغادر يكمن خلفها ، ويتربص بنا الدوائر ، هذا الخصم الذى نراه تارة ضعيفاً كدودة الأرض ، وأخرى شرساً مثل أسد الغابة ، والذى يدفعه تعصبه العنصرى الأعمى ، لافتعال الكوراث لينزلها على البشرية جمعاء [2].

إن اليهود لا ينشئون الأحداث كما يزعمون لأنفسهم ولا كما يتوهم الذين تبهرهم سيطرة اليهود فى الوقت الحاضر ، ولكن لا شك أنهم يجيدون انتهاز الفرص واستغلالها لتنفيذ مخططهم الشرير ، ولحكمة ما أخرج الله هذه الأمة وناط بها دوراً تؤديه فى التاريخ ، ومشكلة هذه الأمة - اليهود - كامنة فى جبلتها المنحرفة التى لا تستجيب لدواعى الخير ، ولا تستقيم على الهدى ، ولا تشرق روحها ببارقة من نور ، جحدوا فضل الله عليهم ، وجحدوا أنبياءهم ، وجحدوا كل فضل قدمه إليهم أحد من البشر ، وقابلوا كل ذلك بإنكار الجميل ، أو الطمع والجشع والحسد وقساوة القلب ، فكرهتهم كل الأمم لخصالهم تلك ، فانطووا على أنفسهم ، يملك نفوسهم

1- تحدثت هنا عن موقف اليهود مع الآخر حيث أن الآخر يشمل المسلم وغير المسلم فكل ما هو غيريهودى يعتبر آخر مضطهد من قبل اليهود.

2- المفسدون فى الأرض س . ناجى 137

الحقد الدفين على الأمم كلها ، يريدون أن يقضوا على كل شعوب الأرض ، ليبقوا وحدهم ، أو يريدون أن يستعبدوا الأرض كلها ويسخروها لمصالحهم ، وعقدتهم الكبرى اعتقادهم أنهم شعب الله المختار ، ومن ثم فينبغى أن يكون بقية البشر خدماً وعبيداً لهم ، ويكونوا وحدهم هم المسيطرون[1] .

من هنا فقد التزم اليهود فى معاملتهم مع الآخر موقف الكيل بمكيالين منذ انحرافهم عن شريعة موسى عليه السلام واستبدالها بالشريعة العنصرية التى كتبوها فى التلمود.

لقد اقترف اليهود أكل المحرمات ، وفعل الفواحش والموبقات ، حتى التى حرمتها شريعتهم فى التعامل مع الآخرين ، وكذلك الحال فى الأخلاقيات والكذب والسرقة والقتل والزنا والخداع ، ونقض العهود حتى غدا ذلك سنة متبعة لديهم ، وصدق الله العظيم عندما صور لنا هذا الموقف اليهودى - موقف يهودية التلمود من الآخر - فقال سبحانه ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران 75]. ولقد شهد أحد معاصريهم على أن هذا التعامل مع الآخر كان ولا يزال السنة المتبعة لليهودية التلمودية والعنصرية اليهودية حتى اليوم ففى كتاب إسرائيل شاحاك(الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهودية) يقول عن حرمة الدم اليهودى وإهدار دماء غيرهم وإبادتهم : اليهودى الذى قتل غير اليهودى مذنب فقط بخطيئة ضد شرائع السماء التى لا تعاقب عليها المحكمة ، أما التسبب فى موت غير اليهودى بطريقة غير مباشرة فلا تعتبر خطيئة أبداً [2] .

وإذا وقع القاتل غير اليهودى تحت سلطة التشريعات القضائية اليهودية يجب إعدامه ، سواء كانت الضحية يهودية أم لا ، ولكن إذا لم تكن الضحية يهودية ، واعتنق القاتل اليهودية فلا يعاقب .

وفيها : إمكانية قتل جميع غير اليهود ، المنتمين إلى شعب عدو ، أو حتى ضرورة قتلهم .

1- مذاهب فكرية معاصرة محمد قطب79.

2- الإسلام والآخر د/ محمد عمارة 32.

كما أن المبدأ التلمودى بالنسبة لغير اليهود ينص على عدم إنقاذهم رغم تحريم قتلهم صراحة ، ويعبر التلمود نفسه عن هذا المبدأ على النحو التالى :

«لا يجب إخراج غير اليهودى من البئر بل يجب دفعهم فى البئر» .

والشريعة التلمودية تقول : « لاتهدر دم أخيك ، وغير اليهودى ليس أخاً»[1] وهذا معناه أن كل إنسان ليس بيهودى « مسلم- مسيحى- أو غير ذلك» يصبح مهدر الدم ولاقيمة لحياته عند اليهود، وهذا مانراه اليوم فى تعامل اليهودى مع غيره من الناس وخاصة مع المسلم.

ولقد جرى الترويج العلنى لهذه الأفكار منذ عام 1972م . لتوجيه الجنود الإسرائليين فى حروبهم مع الفلسطينيين . . وبالمثال يتضح المقال : -

فقد أرسل الجندى « موشى » رسالة إلى حاخامه « شمعون وايزر» قال له فيها لقد جرت فى وحدتى مناقشة لفكرة طهارة السلاح ، وما إذا كان من الجائز قتل العربى الأعزل من السلاح ، أو النساء، أو الأطفال ، أو حتى إذا كان علينا الانتقام من العرب ؟ وقد أجاب كل واحد حسب فهمه الخاص ولم أستطع التوصل إلى إجابة حاسمة ، هل نعامل العرب مثل العماليق؟ أى نقتلهم حتى نستأصل ذكرهم فى الأرض ؟ كما فى سفر التثنية « ولتمح ذكرى العماليق من تحت السماء . . تثنية 9.5 » أم نقوم بما يحدث فى الحرب العادلة، التى يقتل فيها الإنسان الجنود فقط ؟ وهل يجوز لى تقديم الماء لعربى يستسلم؟ .

ولقد رد الحاخام «شمعون وايزر»على الجندى «موشى» برسالة جاء فيها الحرب لدى اليهود خدعة ، فأفضل غير اليهودى - اقتلوه - وأفضل الأفاعى هشموا رأسها .

ولقد أجاب الجندى « موشى» على الرسالة قائلاً : لقد فهمت رسالتك على النحو التالى ، لا يسمح لى فى زمن فرض الحرب بقتل كل عربى أو امرأة أصادفها وحسب ، بل من واجبى أيضاً القيام بذلك [2] .

1- الإسلام والآخر د/ محمد عمارة 35-36 بتصرف .
2- الإسلام والآخر د/ محمد عمارة 34.

ومن تعاليم الشريعة التلمودية التي تكيل بكيلين فى التعامل بين اليهودى والآخر:

* علاج المريض اليهودى ، وتحريم علاج المريض غير اليهودي .

* العفة مع المرأة اليهودية ، والزنا بنساء الأغيار .

* تحريم سرقة اليهودى ، واستحلال سرقة الأغيار .

* تحريم النصب والخداع لليهودى ، وإباحة ذلك مع الأغيار .

* خداع الرب من جانب الحاخامات إذ أنهم يتصورون أنفسهم أكثر مهارة منه .

* تحريم الربا بين اليهود، ووجوبه عند إقراض الأغيار .

*لا يسمح لغير اليهودى بتنسم أى منصب يمارس منه سلطة على اليهود مهما كانت ضئيلة .

* لا يسمح لغير اليهود الإدلاء بالشهادة أمام المحاكم .

* تحريم بيع العقارات فى أرض فلسطين لغير اليهود .

* كما يمنع التلمود تقديم هدية لغير اليهود ، وإن فعل يعتبرها استثماراً ينتظر أن يرد عليه مردوداً من نوع ما .

* لعن الأغيار لأنهم كلاب ، والدعاء عليهم بالدمار ، وتعميم اللعن حتى على الأنبياء .

* استعباد الأغيار فاليهود هم أفضل الكائنات البشرية ، أما غيرهم فيجب إبقاءه عبداً طيلة حياته ، حتى وصل الأمر إلى إنكار إنسانية الأغيار واعتبارهم شياطين ، وكلاب ، وخنازير، وحمير [1] .

هذه هى اليهودية التى نواجهها ، والتى أفرزت العنصرية المتوحشة ضد كل ما ليس بيهودى ، وهى يهودية ليس لها علاقة بيهودية موسى عليه السلام ، كما أن هؤلاء اليهود لا علاقة لهم ببنى إسرائيل ، الذين عندما تدينوا بيهودية موسى عليه السلام ، كانوا الجماعة الموحدة التى فضلها الله على العالمين [2] . هذا موقف اليهودية التلمودية من الآخر .

1- السابق38-45 بتصرف .

2- الإسلام والآخر د/ محمد عماره 53 .

أما موقف اليهودية التوراتية من قتال الآخر وقتل الأغيار، فإنه بإيجاز وفى كلمات: «الإبادة لكل الآخرين، حتى ولو كان لا علاقة لهم بالقتال وفنونه وقدراته، أو حتى نيته والتفكير فيه، الإبادة لمطلق الناس وعموم النفوس، بل وللبيئة والمحيط اللذين يعيش فيهما هؤلاء الآخرين، شريطة أن يكون اليهود على هذه الإبادة قادرين».

فانظر كيف فاقت وتفوقت نصوصها على الخيال فى التشريع والتقنين لإبادة الآخرين لا لشىء إلا لأنهم آخرون وأغيار.

فهل هذه روح ومعايير ومقاصد توراة موسى عليه السلام ؟ كلا...

والعجيب أن هذه التوراة تورد كل أوامر الإبادة - إبادة اليهود للأغيار - باعتبارها أوامر الرب وفرائضه، والتى بدون تنفيذها يتزايد غضبه وانتقامه، كما جاء فى سفر التثنية 17:13 « ولكى يرجع الرب عن حمو غضبه ويعطيك الرحمة، هو أن يبيد الشعب اليهودى كل الآخرين والأغيار».

فهذه هى أوامر الرب إبادة كاملة عامة لغير اليهود، إذا لم ينفذها اليهود - بنو إسرائيل - فإن ربهم فاعل بهم الإبادة التى طلب منهم إيقاعها بغيرهم.

ومن هنا قام اليهود ويقومون بإبادة كل الأغيار طلباً لمرضاة الرب، فمن الشعوب التى وقعت عليهم الإبادة، الشعوب السبعة-الحيثيين - الجرجانيين - الأموريين - الكنعانيين - الفرزيين - الحويين - اليبوسيين.

وهكذا أصبحت المهمة الإلهية المقدسة لهؤلاء اليهود هى أكل الشعوب التى يدفعها الرب إلى هؤلاء اليهود، حاكماً عليها بهذا المصير الرهيب، ولن ينجى البشر والمدن من أكل اليهود لهم، عقود ومعاهدات الصلح، الذى يصالحونه لليهود، أو السلم الذى يعقدونه معهم [1].

فنحن العرب والمسلمين - الأغيار - إذا صالحنا هؤلاء اليهود فإن جزاؤنا هو الخضوع للأكل اليهودى، والتحريم والهلاك الصهيونى وذلك تنفيذاً لأوامر «يهوه إله ورب إسرائيل[2]».

1- الإسلام والآخر د/ محمد عمارة 67-70.

1 - التوراة والقرآن مقارنة نصية عادل المعلم القسم الثانى 30.

مما سبق يتضح لنا أنه لا يوجد أدنى فارق بين اليهودية التوراتية، واليهودية التلمودية، فالكل يؤدى إلى أمر واحد، وهو إهلاك الأغيار وإبادتهم، تلك هى رسالتهم المقدسة، فاعتبروا يا أولى الأبصار.

موقف اليهود من المسلمين

لقد كان اليهود أخطر على الإسلام من النصارى ، ومن أى قوة فى الأرض ولا نقول هذا الكلام من عندأنفسنا ، وإنما هى تقريرات القرآن الكريم الذى قال فيهم ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: 82]

وإذا نظرنا إلى بداية التآمر اليهودى على المسلمين لوجدنا أنه قد بدأ مع دعوة الإسلام الأولى فى المدينة ، كما بينّا ذلك عند الحديث عن موقف اليهود مع النبى ﷺ فى المدينة ، ولم ينتهى حتى عصرنا الحاضر .

فقد انتهى عصر النبى ﷺ وقد طهرت المدينة وما حولها من أخطار اليهود، إذ لم يعد لهم أى قوة بعد أن أجلاهم النبى ﷺ عن المدينة .

وجاءت خلافة أبى بكر الصديق رضي الله عنه وانشغل المسلمون بحروب الردة ولم يكن لليهود أى أثر يذكر . إلا أن الانتفاضة التى وقعت بعد وفاة النبى ﷺ بارتداد بعض المسلمين ومنعهم للزكاة، وما حدث فى المدينة من تمرد على الإسلام وخليفته

كان له أثر سيىء فى إثارة الروم والفرس و غيرهم من العرب واليهود فى المسارعة للقضاء على الإسلام أثناء مرحلة ضعفه هذه[1] .

وجاء عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان قد وفد على المدينة بعض اليهود الذين أسلموا ، ولكن عمر رضي الله عنه كانت عيناه متفتحة ، وأذناه صاغيتين لكل مستحدث يخالف الإسلا م ، وانتهى عهد عمر، وكان لشدته أثر كبير فى حفظ دين المسلمين بينما لم ينجوا عمر نفسه من كيد اليهود حيث كانوا خلف المؤامرة الدنيئة التى استشهد فى غمارها غيلة، وهو يثوب بصلاة الصبح على يد أبى لؤلؤة المجوسى لعنه الله .

وبعد مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه اشتد موقف اليهود وكيدهم للمسلمين فما أن تولى عثمان بن عفان رضي الله عنه الخلافة ، حتى طمع الكثيرون فى إثارة الفتنة بين المسلمين عن طريق إثارة الناس على الخليفة الثالث عثمان رضي الله عنه ، فكان اليهود خلف الفتنة العارمة التى شبت فى عهده، وتولى كبر هذا الإفك عبد الله بن سبأ -

1- موسوعة التاريخ الإسلامى د/ أحمد شلبى 1 / 577.

المعروف بابن السوداء - وكان يهودياً ثم أسلم ، لكن الأحداث التى شارك فيها تدل على أنه كان يخفى يهوديته تحت ستار الإسلام ، فهو الذى ألب الأمصار على عثمان رضي الله عنه حتى استعرت الفتنة بقتل عثمان رضي الله عنه وهو يقرأ القرآن فى بيته المحاط بالمتآمرين .

واستمرا ليهود فى بذر الفتنة والشتات بين صفوف المسلمين، واستمر الكيد والدس فى الخفاء ، والطعن من الخلف، حتى قتل الخليفة الرابع على بن أبى طالب رضي الله عنه بسبب مؤامرة اليهود وعلى أيديهم أيضاً [1] .

هكذا نجد أن ثلاثة من خلفاء المسلمين قد قتلوا بسبب اليهود ومؤامراتهم ومنذ ذلك التاريخ والتآمر السرى على الإسلام وأهله لم ينقطع ، ولم تقتصر عداوة اليهود للإسلام على المواجهة المادية الظاهرة ، بل على العكس فهم أضعف وأجبن وأخس خلق الله أجمعين .

لذلك نراهم يسلكون سبيلاً آخر غير المواجهات المباشرة مع المسلمين يتمثل فى التآمر والكيد فى يالخفاء .

وقد استمر هذا التآمر السرى على الإسلام يبدو تارة ويختفى أخرى خلف الستار وإلى يومنا هذا ، فاليهود هم العدو الماكر الذى لا يتخلى عن طابعه ولا عن هدفه أياً كان ، فطابع اليهود الغدر والمكر والخيانة ، وهدفهم القضاء على الإسلام وأهله وكل غيريهودى، أينما كان كما بينا من قبل .

1- إحذروا الأساليب الحديثة فى مواجهة الإسلام د/ سعد الدين صالح13-14 بتصرف .
2 -مذاهب فكرية معاصرة محمد قطب82 .

كيف يحقق اليهود أهدافهم ؟

لقد اعتمد اليهود فى سبيل تحقيق أهدافهم وتنفيذ أغراضهم على إنشاء الحركات الهدامة، والجمعيات السرية التى تحمل أفكارهم وتعمل على نشرها فى صفوف الناس ، فهم مخترعوا كل المذاهب الهدامة فى تاريخ الإسلام ، فقد كانوا خلف السبئية والعيسوية والموشكانية، والقرامطة والباطنية، وهم الذين أنشأوا البابية، والبهائية والقديانية ، وهم الذين اخترعوا الماركسية ، وهم الذين أقاموا الثورة البلشيفية الشيوعية ، وهم الذين ألبوا النصارى فى الحروب الصليبية ، وهم الذين يملكون المال والذهب والاقتصاد ، ووسائل الإعلام والتوجيه ، وهم وراء الكثير من الحركات الفكرية والسياسية التى تدعوا إلى التحلل من الدين وتعمل على هدمه من أساسه[1] . وهذا ما سنعرض له فيما يلى :-

لقد كان مخطط اليهود كما قلنا هو استعباد البشرية كلها وسحقهم تحت أقدامهم ولما كان الإسلام هو عدوهم الأول الذى يحقدون عليه الحقد الأشد، فقد كانوا ينتظرون الفرصة حتى يبدأوا نشاطهم الضارى ضده ، فكانت الأحداث التى وقعت فى عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه ، خير فرصة لليهود ، إذ وجدوها أيسر السبل كى يخرجوا من جحورهم ويعيثون فى الأرض فساداً[2] .

ومن هنا تحرك اليهود لتنفيذ مخططهم الشرير الذى ظل طويلاً يحلمون باليوم الذى يتحقق فيه، فيجردوا أهل الإسلام عن دينهم ، كما جردوا سائر الأمم من دينهم حتى يبقى اليهود وحدهم شعب الله المختار، أصحاب الكتاب وأصحاب الدين، وعندئذ يتحقق لهم الوعد المزعوم فيحكمون كل البشرية .

ونتيجة للحماقات التى ارتكبها البعض فى حق الدين والناس، فقد وجد اليهود ثغرات واسعة نفذوا منها إلى قلب أمتنا الإسلامية وبدأوا أولى الخطوات فى طريق تنفيذ حلمهم الأكبر .

وكان الغزو الفكرى [3] هو السلاح الفعال الآمن، الذى قام اليهود باستخدامه

1- احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام د/ سعد الدين صالح 13- 14 بتصرف

2 - مذاهب فكرية معاصرة محمد قطب 82 .

3- الغزو الفكرى : هو الوسائل غير العسكرية لإزالة مظاهر الحياة الإسلامية ، وصرف المسلمين عن التمسك بالإسلام مما يتعلق بالعقيدة وما يتصل بها من أنماط وسلوك .

بعد أن علموا أنهم لا قبل لهم بقوة المسلمين ، فقد جربوا الصراع العسكرى مرات، وكانت نتيجته محفورة فى قلوبهم ، فكان عليهم أن يتجنبوا المواجهة المباشرة مع المسلمين بالوسائل العسكرية .

لقد أيقن اليهود بأن سرَّ قوة المسلمين هو عقيدتهم وشريعتهم وأخلاقهم وعاداتهم وتقاليدهم الإسلامية ، فلا بد إذاً أن توجه الحرب للإسلام نفسه كدين وعقيدة ومنهج حياة ، وعادات وتقاليد ، ولا بد من زعزعة الإسلام فى قلب المسلم، وتخريب العقيدة نفوس المسلمين ، أو بمعنى آخر لا بد من القضاء على الإسلام كعقيدة وشريعة ونظام حياة، ليسهل بعد ذلك القضاء على المسلمين كقوة، ذلك أن العقيدة فى الكيان الاجتماعى بمثابة القلب من الجسد الإنسانى فإذا انتزعت هذه العقيدة من أمة تحولت إلى جسد ميت لا حياة فيه ، وتحولت الأمة المتماسكة إلى مجموعة من الأفراد لا رابط بينهما ولا ضابط [1] .

لقد نجح اليهود فى اختراق المسلمين وطوروا من خططهم عن طريق الفرق الخارجة عن الإسلام بآرائها وأفكارها، فوجدت فرقاً لا حصر لها وكلها قد استقت أفكارها من الأصول اليهودية، كالقول بالرجعة ودعوى النبوة وغيرها [2] . ففى العصر الأموى كان لليهود أساليبهم ، فأشاعوا تعاليم السحر والشعوذة وبثوا أفكاراً عن طريق رجالهم كانت تهدف إلى التشكيك فى الإسلام ، وفى عموم نبوة محمد ﷺ ، ووجد اليهود من يتأثر بهم فى أفكارهم ، واستطاع الاختراق اليهودى أن تكون له شجرة لها بعض الأوراق ، ولكن ما لبثت أن نمت وترعرت .

وفى العصر العباسى ظهر أكثر الملحدين كأفراد مثل ابن الراوندى الملحد الذى استعمله اليهود للطعن فى الإسلام لقاء أجر يأخذه منهم .

وإذا بالباطنية والقرامطة يظهرون كفرق لها فكرها المتأثر بالوثنيات من الأمم السابقة، وكان المؤسسون لها من اليهود الذين تظاهروا بالإسلام وأخفوا يهوديتهم [3] .

1- احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام د/ سعد الدين صالح 39 .
2- الاختراق اليهودى للمجتمعات الإسلامية د/ فرج الله عبد البارى 24.
3- الاختراق اليهودى للمجتمعات الإسلامية د/ فرج الله عبد البارى 6.

ولم يكتف اليهود بالاختراق الفكرى والعقائدى للمسلمين ، بل تعدوه إلى الاختراق الاقتصادى والمالى ، فقد جاء وقت سيطر فيه اليهود على تجارة اللؤلؤ المستخرج من شواطئ الخليج ، وآلت إليهم السيطرة على تجارة العملة ، ولك أن تتصور أن يجتمع فى يد عدو المال مع التخطيط والتدبير ؟ [1].

واستمر الاختراق اليهودى إلى أن وصل مداه بلاد الأندلس ، حتى وصل الأمر إلى أن أصبح بعضهم وزيراً فى الدولة الإسلامية .

وجاء العثمانيون الذين فتحوا لليهود أبواب الوظائف الحكومية ، والمهن الحرة حتى وصلوا إلى أعلى المراتب ، فكان أكثر أطباء السلاطين العثمانيين يهوداً فاستطاع اليهود أن يتغلغلوا فى كافة مرافق الدولة .

وجاء العصر الحديث فإذا باليهود يخترقون الصف الإسلامى ، وينشئون فرقاً خارجة عن الإسلام لتصبح هذه الفرق شوكة فى قلب الأمة تنخر فى بنيانها ، وتحاول هدم عقيدتها ، وتظاهر على المسلمين لحساب اليهود ، وقد وضح هذا فى البابية والبهائية ، هاتان الطائفتان اللتان خرجتا عن الإسلام بآرائهما التى كان اليهود والاستعمار يشجعونها ، ويعملون على نشرها ، ولم لا ينشرون ويذيعون الدعوات التى تدعوا إلى نسخ الجهاد ، وعدم جواز حمل السلاح ضد الاستعمار؟ ولم لا يقفون مع الدعوات التى تدعوا إلى التحلل الأخلاقى ، وشيوع الفاحشة فى المجتمع [2].

وإذا تركنا الماضى وعنينا بالحاضر لوجدنا اليهود خلف كثير من الجمعيات السرية الخطرة والتى يوجهونها للنيل من الإسلام .

و يقول الدكتور / أحمد شلبى « الجمعيات السرية كانت ولاتزال من أهم المؤسسات التى اعتمد عليها اليهود لتنفيذ أغراضهم ، والوصول إلى هدفهم ، وقد ينشىء اليهود جمعيات لهذا الغرض ، أو يعزون بإنشائها ، وقد يجد اليهود جمعيات قد قامت لغرض أو لآخر ، فيندسون فيها وينفثون سمومهم ،

1- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرى آدمز ميتز 2 / 383- 384 .

2- الاختراق اليهودى للمجتمعات الإسلامية 7-8 .

ويوجهون أتباعهم وجهتهم التى يريدونها ، لا تكاد توجد جمعية ذات أسرار وأخطار إلا وكان اليهود يعيشون فيها خلف الستار ، فهم يعملون دائما على تضليل المسلم ودفعه إلى الانحراف ، والبعد عن الإسلام الصحيح وإن لم يعتنق ديناً سواه [1] .

وفيما يلى نذكر نماذج من تلك الجمعيات والمؤسسات التى قام اليهود بدعمها وإنشائها بهدف القضاء على القيم والأخلاق والعقائد الإسلامية ، ومن ثم القضاء على الإسلام كدين ، قصدنا باختيارها وذكرها توجيه النظر إلى خطورتها وتحذير المسلمين منها ، وليس هدفنا الاستقصاء التام لكل الحركات والجمعيات الصهيونية الهدامة ، وإنما نشير إلى البعض لندق ناقوس الخطر ، ونضىء الشعلة لكشف الخبء ، وإظهار وجه الحقيقة المستور عن عمد أو سوء فهم بأستار الزور أو طلاء التشويه .

• الماســـــونية :

وهى من أخطر الحركات اليهودية التى انبثق عنها الكثير من الجمعيات الهدامة
يقول الدكتور/ أحمد شلبى نقلاً عن الحاخام الدكتور إسحاق وايز :

إن الماسونية هى منظمة سرية يهودية ، فتاريخها ودرجاتها وتعاليمها وكلمات السر فيها وشروطها ، ما هى إلا أفكار يهودية من البداية إلى النهاية .

وبالرجوع إلى شعار الماسونية المعلن وهو [الحرية - الإخاء - المساواة] . نجده من اختراع اليهود أصلاً ، وأنهم استهدفوا به إفساد الحياة وجر الناس إلى بؤر الاضطرابات ، وبرك الدم وهم معصوبوا العيون بهذا الشعار البراق[2] .

ويقول السيد / عبد الله التل : نقلاً عن دائرة المعارف البريطانية ما نصه : -

«الماسونية جمعية يهودية شرسة ، يرجع تاريخها القديم إلى أيام اليهود الأولى» [3] .

1- الإسلام والمؤامرة اليهودية 26 . - اليهودية د/ أحمد شلبى 232 - 233 .
2-اليهودية د/ أحمد شلبى 325 .
3- خطر اليهودية العالمية علي الإسلام والمسيحية القسم الأول 143 .

أهـــداف الماســـونية:-

إن الأهداف الظاهرية أو المعلنة عند الماســـونيـــة تتناقض تمامـــاً مع الأهداف الحقيقية، فهدفها المعلن يتمثل فى هذا الشعار المزخرف [الحرية - الإخاء - المساواة] وهذا الشعار الماسونى ما هو إلا طعم يهودى، صنعه اليهود ليجنوا من ورائه تدمير طمـــأنينة العـــالم، عن طريق خلق الاضطرابات والفتن وبث القـــلاقل، وتحطيم القوميات والعصبيات والمقدسات المتنوعة، وليتمكنوا بعد ذلك من سيادة العالم، والتصرف فى مقادير البشر، يدل على ذلك قولهم : بفضل عملائنا العميان جلبت كلمة [الحرية - المساواة-الإخاء] إلى صفوفنا فرقاً برمتها كانت تلوح بأعلامنا بحماس، وهذا ما ساعدنا لرفع راية النصر، ومكننا من أن نمسك بورقة اللعب الكبرى - القضاء على الامتيازات - وكقولهم : إن كلمة الحرية تستفز مجتمعات الرجال، لتحارب ضد كل ضرب من القوة، وضد كل ضرب من السلطة، بل ضد الله وقوانين الطبيعة [1].

من هنا نستطيع أن نقطع بأن هذه الأهداف المعلنة والشعارات البراقة التى تمثلها، ماهى إلا خطوة لكسب عطف المجتمعات الغربية على اليهود أثناء فترة الاضطهاد، وهى أيضاً مرحلة هامة من خطة منظمة طويلة الأجل حيكت فى الظلام، لتمكن اليهود فى النهاية من السيادة العامة والتحكم فى مصير البشر، ولو كان طريقهم إلى ذلك مفروشاً بجثث القتلى ورؤس الضحايا.

ولقد كان للخداع الذى مارسته الماسونية فى أهدافها المعلنة أثراً كبيراً فى انسياق كثير من العرب البارزين فى تيار الماسونية إما عن جهل أو عن طمع فى مساعدة لتحقيق مأرب، ورغم كل الذى نشر عن تاريخها وأسرارها ودسائسها وأخطارها فقد سمحت بعض الحكومات العربية بتغلغل محافل الماسون فى البلاد العربية[2].

وإذا عدنا مرة أخرى إلى الأهداف الحقيقية للماسونية والتى أعلنها المحفل الماسونى فى بريطانيا يتضح لنا التناقض الكبير بين ما هو معلن وما هو خفى.

1- الإسلام والمؤامرات اليهودية 51 نقلاً عن لحرب ضد ملكوت المسيح 108.

2- الإسلام والمؤامرات اليهودية 56.

وهذه الأهداف هى : -

1- المحافظة على اليهودية

2- محاربة الأديان بصفة عامة .

3- بث روح الإلحاد والإباحية بين الشعوب .

4- تفتيت القوميات وإزالة النظم المحافظة وحل عرى الوطنية والإنتماء .

ومن المحفل الماسونى فى بريطانيا انتشرت الماسونية ، وتأسست المحافل فى معظم بلاد العالم حتى وصل إلى مصر والشرق الأوسط ، وأصبح محفل بريطانيا الأعظم بالنسبة لغالبية محافل العالم كمكة بالنسبة للمسلمين [1] .

وإذا نظرنا فى الآراء والأفكار الماسونية نجد أنها لا تقبل فى صفوفها إلا المسلم أوالمسيحى ولا تقبل الوثنى وذلك لأن هدفها الأول هو تدمير كل مقومات العقيدة لدى حملة المسيحية والإسلام ، كما أنها تهدف إلى فك عرى الترابط بين هؤلاء المتمسكين بدينهم ، وتحل كل روابط الالتزام والولاء لأحكام وشعائر الدين وقيمه ومثله ، وذلك عن طريق إحياء بواعث الإثارة الجنسية والميل بها إلى المستوى الحيوانى الرخيص .

يقول السيد / عبد الله التل : وتنص تعاليم الماسونية السرية على تقديس الجنس والحرية التامة لنشر الإباحية ، من ذلك قولهم « إن أمنيتنا هى تنظيم جماعة من الناس يكونون أحراراً جنسياً ، نريد أن نخلق الناس الذين لا يخجلون من أعضائهم التناسلية ، ولقد نجحوا فى ذلك بالفعل فنشروا فكر العرى فى جميع شواطىء أوروبا وأمريكا وأسسوا نوادى للعراة فى كثير من الدول .

وقد امتدت تلك الفتنة إلى شواطىء العرب وأرض الإسلام ، بل فى أمنع معاقل الإسلام وأعتى حصونه ، حيث تنتشر القرى السياحية بما فيها من إعلان العرى وأندية العراة ودون مبالاة بالعواقب السيئة الوخيمة .

هكذا استطاع اليهود من خلال الماسونية وأهدافها أن يسيطروا على عقول القادة والرؤساء وكثير من أهل الفكر وتحطيم نفوسهم ، وتحويلهم إلى عبيد يؤمنون

1- اليهودية العالمية وخطرها علي الإسلام والمسيحية 1 / 145

بالماسونية وتحت تصرفها فتستخدمهم معاول فى هدم كيان الشعوب والأوطان والحكومات غير اليهودية[1].

وإنا لنعجب مما نراه من غفلة المسلمين رغم وضوح الغرر وصدع النذر وتداعى البلوى وانسياقهم فى طريق الضياع اللامحدود بسرعة مذهلة وإصرار مروع

2 - الروتارى والليونز:

لن نقف طويلاً عند هذه الأندية وأمثالها لسبب بسيط وهو أن كل كلام عن الروتارى والليونز والأندية المنتشرة هنا وهناك من أطراف الأرض بصفة عامة، وفى ربوع الوطن العربي والإسلامى بصفة خاصة، ما هو إلا صورة من صور الماسونية اليهودية فى مقدماتها ونتائجها وأهدافها.

إن الغرض الظاهرى من أندية الروتارى والليونز: هو النظر فى الشئون الاجتماعية والاقتصادية بإلقاء الخطب والمحاضرات، والعمل على التقارب بين أتباع الأديان المختلفة، والبلدان المتعددة، أما الغرض الحقيقى فهو أن يمتزج اليهود بالشعوب الأخرى باسم الإخاء والود، ثم يحاول اليهود عن هذا الطريق أن يصلوا إلى جمع المعلومات التى تساعدهم فى تحقيق أغراضهم الاقتصادية والصناعية والسياسية، كما يقول الدكتور/ أحمد شلبى: إن مراد أندية الروتارى هى تغلغل اليهود فى المجتمعات من خلال هذه التجمعات المنتقاة، واتخاذها مراكز لجمع المعلومات، والاستخبارات المشبوهة، والتى تحقق فى النهاية الخدمة المقصودة لأغراض اليهود ومن أبرزها ولا شك تدمير العقيدة والقيم الخلقية[2].

والدليل على ذلك ما نراه فى أندية الروتارى والليونز والقرى السياحية والنشاطات اللا أخلاقية فى أجهزة الإعلام، ومن أبرزها الصحافة العارية فكراً وحساً وأندية الفيديو وحديثاً القنوات الفضائية وشبكة الإنترنت، فلو فتشت عن خبء هذه الكائنات الغريبة على فكرنا وحضارتنا وقيمنا، لوجدتها ذات نسب أصيل وصلة وثيقة بالماسونية، فمنها تأخذ ولحسابها تعمل، والخاسر الوحيد فى

1- الإسلام والمؤامرات اليهودية 61.
2- اليهودية د/ أحمد شلبى 340.

النهاية نحن المسلمين نخسرعقيدة وقيماً وحضارة وخلقاً وفكراً ومستقبلاً، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

ولقد طالب الأزهر الشريف وغيره من المجمعات الفقهية العالمية المسلمين فى العالم بمقاطعة أندية الروتارى والليونز وغيرها، وذلك لتبعيتها للصهيونية العالمية التى تعمل على هدم الإسلام[1].

ولا توجد هناك أدنى حجة أو مبرر أمام أى مسلم يبيح له الانضمام لمثل هذه الجمعيات ولكن . . هل من مجيب ؟

3- البابية والبهائية

تعتبر البابية والبهائية من أهم الفرق التى نشأت ونمت وترعرعت تحت أجنحة اليهود ورعايتهم بطريق مباشر ، لقد اتفقت آراء هاتان الفرقتان مع آراء الفرق القديمة التى نشأت لتكيد للإسلام والمسلمين كالسبئية والباطنية، والتى كان لليهود دور كبير فى نشأتهم وصياغة أفكارهم، لدرجة قيام اليهود بتأويل نصوص العهد القديم بعد أن حرفوها ليستخرجوا منها ما يفيد التنبؤ بظهور الباب والبهاء لعنهم الله ونحن لا نستغرب هذه المحاولة من اليهود مادامت ستفيد هم فى تحقيق غرضهم وهو إقامة وطن قومى لهم فى فلسطين[2].

ولم يكتف اليهود بما أحدثوه من زلزلة فى الفكر وإيجاد الخلل فى عقائد المسلمين من خلال الغزو الفكرى ، بل عادوا مرة أخرى لاستخدام الوسائل العسكرية ، وذلك بعد أن وجدوا الفرصة مواتية أمامهم ، فالدولة الإسلامية - الامبراطورية العثمانية - التى امتد سلطانها على كل بلاد المسلمين و قد أصبحت ضعيفة ومنهكة بالديون ، والعالم الغربى يتربص بها الدوائر فلماذا لا يستغل اليهود الفرصة للقضاء عليها ؟.

نعم لقد مارس اليهود شتى السبل مع السلطان عبد الحميد خليفة المسلمين ليسمح لهم بإقامة شركة يهودية لاستصلاح الأراضى فى فلسطين فرفض، ورد كل ما عرضوه عليه من مغريات وقال كلمته المشهورة « إن الامبراطورية ليست ملكا لى، فليس فى استطاعتى أن أهب أى أحد جزء فيها ، فليحتفظ اليهود ببلاينهم فى

1- الإسلام والمؤامرات اليهودية104-105

2-الاختراق اليهودى للمجتمعات الإسلامية73-74.

جيوبهم ، فإذا قسمت الامبراطورية يوماً فقد يحصلون على فلسطين بلا مقابل ولكن التقسيم لن يتم إلا على أجسادنا » .

ومنذ ذلك الحين واليهود يعملون على بث الفتنة ونشر الفساد وفتحوا باب الهجوم عن طريق الصحافة والإعلام لتشويه صورة السلطان والدولة إلى أن تم لهم ما أرادوا ، فعزل السلطان وألغيت الخلافة ، وقسمت الامبراطورية الإسلامية ، إلى دويلات صغيرة ضعيفة لاتستطيع أن ترد عن نفسها أى عدوان .

ثم بدأ اليهود العمل الجاد لقيام دولتهم على أرض فلسطين فتحول الغزو الفكرى إلى غزو حربى ، إنهم استخدموا الغزو الفكرى يوم أن كان المسلمون أقوياء أو فيهم بقية من روح الجهاد ، أما وقد نجح اليهود فى غزوهم فكريا وأماتوا في نفوسهم روح الجهاد والاستشهاد ، فلم لا يلجئون إلى الحرب والقتال حتى يقضوا على المسلمين نهائياً ؟[1] .

وقد تمكن اليهود بمساعدة الغرب الحاقد علي الإسلام ، والمتربص بالمسلمين الدوائر ، أن يقتلوا إخواننا وأن يبقروا بطون أخواتنا بعد أن اغتصبوا قطعة غالية من أرض الإسلام أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين فلسطين بلد المسجد الأقصى ، ومسرى النبى محمد ﷺ .

إن قصة اليهود للتخطيط والاستيلاء على المسجد الأقصى قديمة جداً وطويلة أيضاً لا يتسع المجال لسردها هنا ، ولكن نكتفى بذكر بعض الجرائم والمذابح التى ارتكبها اليهود ضد العرب والمسلمين منذ أن سقطت القدس وفلسطين إثر وعد بلفور لهم بقيام دولة لليهود فى فلسطين1917م ، ومنذ ذلك الحين واليهود يقومون بحملات مكثفة من العنف والإرهاب والمجازر ضد أهلها من المسلمين والعرب .

وفيما يلى جانب من المذابح التى قام بهاالجيش الصهيونى فى حق شعب فلسطين منذ عام 1937م وحتى هذه اللحظة الأول من يناير 2005م . نذكرها ونقول فاعتبروا يا أولى الأبصار : -

---

1- الاختراق اليهودى للمجتمعات الإسلامية 9-10 .

« بعض المجازر الإسرائيلية بحق الشعب الفلسطيني »

رقم المجزرة	إسم المجزرة	تاريخ المجزرة	مكان المجزرة	وصف المجزرة
1	حيفا	06/03/1937	سوق حيفا	فى السادس من آذار عام 1938، ألقى إرهابيو عصابتى «الإنسل، وليحى» الإرهابيتين قنبلة على سوق حيفا، مما أدى إلى استشهاد 18 مواطناًعربياً وأصيب 38 آخرون بجراح.
2	القدس	06/12/1937	سوق الخضار بالقدس	فى أواخر كانون الأول عام 1937، ألقى أحد عناصر منظمة «الإنسل» الإرهابية الصهيونية، قنبلة على سوق الخضار المجاور لبوابة نابلس فى مدينة القدس، مما أدى إلى استشهاد عشرات من المواطنين العرب، وإصابة الكثيرين بجراح.
3	حيفا	06/07/1938	سوق حيفا	فى السادس من تموز عام 1938 فجر إرهابيو عصابة « الإنسل » الصهيونية سيارتين ملغومتين فى سوق حيفا مما أدى إلى استشهاد 21 مواطناً عربياً وجرح52 آخرين.
4	حيفا	06/07/1938	مساجد مدينة القدس	ألقى أحد عناصر عصابة «الإنسل» الإرهابية الصهيونية، قنبلة يدوية أمام مساجد مدينة القدس أثناء خروج المصلين فاستشهد جراء ذلك 10 مواطنين وأصيب آخرون بجراح.

رقم المجزرة	إسم المجزرة	تاريخ المجزرة	مكان المجزرة	وصف المجزرة
5	مجزرة القدس	13/07/1938	سوق الخضار فى القدس	استشهد 10من العرب وجرح31 آخرون فى انفجار مروع فى سوق الخضار العربى فى القدس القديمة .
6	القدس	15/07/1938	السوق العربية فى مدينة حيفا	انفجرت سيارة ملغومة ، وضعتها عصابة «الإنسل» الإرهابية الصهيونية في السوق العربية فى مدينة حيفا فاستشهد جراء ذلك 35 مواطناً عربياً وجرح 70 آخرون .
7	حيفا	25/07/1938	أحد أسواق حيفا	ألقى أحد عناصر عصابة «الإنسل» الإرهابية الصهيونية قنبلة يدوية في أحد أسواق حيفا فاستشهد جراء ذلك 47 عربياً .
8	القدس	26/07/1938	سوق القدس العربية	ألقى أحد عناصر عصابة «الإنسل» الإرهابية الصهيونية قنبلة يدوية في أحد أسواق القدس فاستشهد جراء الإنفجار 34 عربياً وجرح 35 آخرون .
9	حيفا	27/03/1939	حيفا	فجرت عصابة «الإنسل» الإرهابية الصهيونية قنبلتين فى مدينة حيفا فاستشهد 39 عربياً وجرح 27 آخرون .
10	بلد الشيخ	12/06/1939	بلد الشيخ- حيفا	تقع قرية بلد الشيخ فى الجنوب الشرقي من مدينة حيفا وفى الثانى عشر من حزيران من عام 1939 هاجمت عصابة «الهاجاناه» الإرهابية الصهيونية بلد الشيخ واختطفت خمسة من سكانها ثم قتلتهم .

رقم المجزرة	إسم المجزرة	تاريخ المجزرة	مكان المجزرة	وصف المجزرة
11	حيفا	19/06/1939	أحد أسواق مدينة حيفا	ألقى اليهود قنبلة يدوية فى أحد أسواق مدينة حيفا فاستشهد 9 أشخاص وجرح 4 آخرون .
12	حيفا	20/06/1947	أحد أسواق حيفا	وضعت عناصر من «الإنسل، وليحى» قنبلة فى صندوق خضار مموه فى سوق حيفا ، وأسفر الانفجار عن استشهاد 78عربياً وجرح 24 آخرون .
13	العباسية	13/12/1947	يافا	قامت عصابة «الأرغون» بشن هجوم على قرية العباسية الواقعة شرق مدينة يافا ، وأطلقت النيران على عدد من السكان . وأسفر الهجوم عن استشهاد 9 عرب وجرح 7 آخرون .
14	الخصاص	18/12/1947	الخصاص قرية من قرى قضاء صفد شمال فلسطين	نفذت قوة «البالماخ» هجوم على قرية الخصاص الواقعة فى الجزء الشمالى من سهل الحولة وقتلت عشرة أشخاص جميعهم من النساء والأطفال .
15	مجزرة باب العامود	29/12/1947	باب العامود أحد أبواب القدس	قتل 14 عربياً وجرح27 الهجوم تم من قبل عصابات «الأرغون» وكانت أداة الهجوم برميل متفجرات، وفى اليوم التالى ومن قبل نفس العصابات وبنفس الطريقة وفى نفس المكان قتل 11عربياً وبريطانيان .

رقم المجزرة	إسم المجزرة	تاريخ المجزرة	مكان المجزرة	وصف المجزرة
16	القدس	30/12/1947	القدس	ألقى أفراد من عصابة «الأرغون» الإرهابية قنبلة من سيارة مسرعة فى القدس وأسفر انفجار القنبلة عن استشهاد11 عربياً .
17	الشيخ بريك	30/12/1947	حيفا	هاجمت قوة من العصابات الصهيونية قرية الشيخ بريك وقتلت 40 شخصا من سكانها .
18	بلد الشيخ	31/12/1947	بلدالشيخ قرية تقع على جبل الكرمل	قامت قوة من «البالماخ» بالهجوم على قرية الشيخ عشية رأس السنة الميلادية ، وبلغ عدد ضحايا هذه المجزرة وفق المصادر الصهيونية 60 شهيداً .
19	مجزرة يافا	04/01/1948	ساحة فى يافا	فى اليوم الرابع من كانون الثانى عام 1948م ألقت عصابة «شتيرن» الإرهابية الصهيونية قنبلة على ساحة مزدحمة بالناس فى مدينة يافا فقتلت 15 شخصاً وأصابت 98 آخرين بجراح .
20	فندق سميراميس	07/01/1948	سميراميس يقع فى حى القطمون فى القدس	نسفت عصابة «الأرغون» الارهابية بالمتفجرات فندق سميراميس الكائن فى حى القطمون فتهدم الفندق على من فيه من النزلاء ، وكلهم عرب واستشهد فى هذه المجزرة 19عربياً وجرح أكثر من 20 آخرين .
21	القدس	08/01/1948	بوابة يافا	ألقى أفراد من عصابة «الأرغون» الإرهابية قنبلة على بوابة يافا فى مدينة القدس مما أدى إلى استشهاد 18 مواطناً عربياً وجرح41 آخرين .

رقم المجزرة	إسم المجزرة	تاريخ المجزرة	مكان المجزرة	وصف المجزرة
22	السرايا العربية	14/01/1948	السرايا العربية	السرايا العربية بناية شامخة تقع فى مقابل ساعة يافا المشهورة، وكانت البناية تضم مقر اللجنة القومية العربية فى يافا ، وقد قامت العصابات الصهيونية بوضع سيارة ملغومة أدى انفجارها إلى استشهاد 70 عربياً إضافة إلى عشرات الجرحى.
23	السرايا القديمة	16/01/1948	يافا	وضع أفراد من عصابة «الأرغون» الإرهابية سيارة مملوءة بالمتفجرات بجانب السرايا القديمة فى مدينة يافا فهدمتها وما جاورها ، فاستشهد نتيجة ذلك 30 عربياً .
24	حيفا	22/01/1948	حيفا	دخل إرهابيون صهاينة كانوا متخفين بلباس الجنود البريطانيين، مخزناً بقرب عمارة المغربى فى شارع صلاح الدين في مدينة حيفا بحجة التفتيش ووضعوا قنبلة موقوته أدى انفجارها إلى تهديم العمارة وما جاورها ، واستشهد نتيجة ذلك 31 من الرجال والنساء والأطفال، وجرح ما يزيد عن 60 آخرين.

رقم المجزرة	إسم المجزرة	تاريخ المجزرة	مكان المجزرة	وصف المجزرة
25	يازور	28/01/1948	يافا	قامت مجموعات من «الهاجاناه» بمهاجمة أهالى قرية يازور الواقعة على بعد 5 كم إلى الجنوب الشرقى من مدينة يافا ، وأسفرت هذه المجزرة عن سقوط 15 شهيداً من سكان القرية ، وقد قتل الصهاينة معظم هؤلاء الشهداء فى الفراش وهم نيام.
26	شارع عباس	10/02/1948	حيفا	دحرج الإرهابيون الصهاينة من حى الهادر المرتفع على شارع عباس العربى فى مدينة حيفا فى أسفل المنحدر، برميلاً مملوءاً بالمتفجرات ، فهدمت بعض البيوت على من فيها ، واستشهد20مواطنا عربياً وجرح حوالى 50 آخرون.
27	طيرة	14/02/1948	طولكرم	أوقفت مجموعة من الإرهابيين الصهاينة عدداً من المواطنين العرب العائدين إلى قرية طيرة فى طولكرم ، وأطلقوا عليهم النار ، فقتلوا منهم سبعة، وأصابوا خمسة بجراح.

رقم المجزرة	إسم المجزرة	تاريخ المجزرة	مكان المجزرة	وصف المجزرة
28	سعسع	20/02/1948	قرية سعسع	هاجمت قوة من من كتيبة «البالماخ» الثالثة التابعة لـ«الهاجاناه» قرية سعسع ودمرت عشرين منزلاً فوق رؤوس أصحابها ، بالرغم من أن أهل القرية قد رفعوا الأعلام البيضاء . وكانت حصيلة هذه المجزرة استشهاد حوالى 60 من أهالى القرية معظمهم من النساء والأطفال .
29	بناية السلام	13/03/1948	القدس	سرقت عصابة «شتيرن» الإرهابية الصهيونية سيارة جيش بريطانية وملأتها بالمتفجرات ثم وضعتها أمام بناية السلام فى مدينة القدس وعند الانفجار استشهد 14 عربياً وجرح 26 آخرون .
30	الحسينية	30/03/1948	قرية الحسينية	هاجمت عصابة «الهاجاناه» الإرهابية الصهوينة قرية الحسينية فهدمت بعض البيوت بالمتفجرات فاستشهد أكثر من 30 من أهلها .
31	الرملة	31/03/1948	سوق مدينة الرملة	خطط لهذه المجزرة ونفذها فى آذار 1948 ، الإهابيون الصهاينة ، فى سوق مدينة الرملة استشهد فيها 25 مواطناً عربياً .

رقم المجزرة	إسم المجزرة	تاريخ المجزرة	مكان المجزرة	وصف المجزرة
32	قطار القاهرة- حيفا	31/03/1948	قطار جنوبى حيفا	لغمت عصابة «شتيرن» الإرهابية الصهيونية قطار القاهرة - حيفا السريع فاستشهد عند الإنفجار 40 شخصاً وجرح 60 آخرون.
33	أبو كبير	31/03/1948	يافا	قامت فرق «الهاجاناه» الإرهابية بهجوم مسلح على حى أبو كبير فى مدينة يافا ودمر القتلة البيوت وقتلوا السكان الهاربين من بيوتهم طلباً للنجاة.
34	دير ياسين	09/04/1948	دير ياسين إحدى القرى غربى القدس	دير ياسين قرية عربية فلسطينية تبعد حوالى 6 كم بالقرب من مدينة القدس، فى صباح يوم الجمعة التاسع من نيسان عام 1948، باغتت مجموعة من عصابتى «الأرغون وشتيرن» الإرهابيتين الصهيونيتين، سكان دير ياسين، وفتكوا بهم دون تمييز بين الأطفال والشيوخ والنساء، ومثلوا بجثث الضحايا وألقوا بها فى بئر القرية، وكان أغلب الضحايا من النساء والأطفال والشيوخ وقد وصل عدد الشهداء من جراء هذه المجزرة 254 شهيداً.

رقم المجزرة	إسم المجزرة	تاريخ المجزرة	مكان المجزرة	وصف المجزرة
35	قالونيا	12/04/1948	القدس	قالونيا قرية عربية فلسطينية ، تبعد عن مدينة القدس بحوالى 7كم . وقد هاجمت قوة «البالماخ» الإرهابية الصهيونية قرية قالونيا فنسفت عدداً من بيوتها ، فاستشهد جراء ذلك ، على الأقل 14 شخصاً من أهلها .
36	مجزرة اللجون	13/04/1948	مدينة جنين	اللجون قرية عربية فلسطينية من قرى قضاء جنين ، وقد هاجمت عصابة «الهاجاناه» الإرهابية الصهيونية قرية اللجون وقتلت 13شخصاً من أهلها .
37	ناصر الدين	14/04/1948	قرية ناصر الدين قضاء طبريا	ناصر الدين قرية عربية فلسطينية تبعد 7كم إلى الجنوب الغربى من طبريا أرسلت عصابتا «الأرغون وشتيرن» قوة يرتدى أفرادهاالألبسة العربية وعندما دخل الصهاينة القرية فتحوا نيران أسلحتهم علي السكان ، فاستشهد جراء ذلك 50 شخصاً علماً بأن عدد سكان القرية آنذاك ؛ كان يبلغ90 شخصاً .
38	طبرية	19/04/1948	طبرية	نسفت العصابات الإرهابية الصهيونية أحد منازل مدينة طبرية فقتلت 14شخصاً من سكانه .

رقم المجزرة	إسم المجزرة	تاريخ المجزرة	مكان المجزرة	وصف المجزرة
39	حيفا	22/04/1948	حيفا	هاجم الغزاة الصهاينة بعد منتصف الليل حديقة حيفا من هدار الكرمل، فاحتلوا البيوت والشوارع والمبانى العامة وقتلوا 50 عربياً وجرحوا 200 آخرين وقد فوجىء بهم العرب فأخرجوا نساءهم وأطفالهم إلى منطقة الميناء لنقلهم إلى مدينة عكا، وفى أثناء هربهم هاجمتهم المواقع الصهيونية الأمامية، حيث استشهد 100 شخص من المدنيين وجرح 200 آخرون.
40	عين الزيتون	4/02/1948	صفد	عين الزيتون قرية عربية فلسطينية في قضاء صفد، وتروى اليهودية نتيبا بن يهود ا فى كتابها خلف التشويهات عن مجزرة عين الزيتون فتقول: فى 3أو 4 أيار1948. أعدم حوالى 70 أسير مقيداً.
41	صفد	13/05/1948	صفد	ذبحت عصابة «الهاجاناه» الإرهابية الصهيونية، حوالى 70 شاباً في مدينة صفد.

رقم المجزرة	إسم المجزرة	تاريخ المجزرة	مكان المجزرة	وصف المجزرة
42	أبو شوشة	14/05/1948	قرية أبو شوشة- الرملة	أبو شوشة قرية عربية فلسطينية تقع على بعد حوالى خمسة أميال للجنوب الشرقى من مدينة الرملة وقد نفذ المجزرة جنود صهاينة من لواء جفعاتى حاصروا القرية من كافة الجهات ، ثم قاموا بإمطار القرية بزخات الرصاص وقذائف المورتر ودخلوا القرية وأطلقوا الرصاص فى جميع الاتجاهات وقد أسفر ذلك عن استشهاد 60 من أهل القرية .
43	مذبحة بيت داراس	21/05/1948	شمال شرق غزة	وصلت قوة صهيونية معززة بالمصفحات إلى قرية بيت داراس وطوقتها لمنع وصول النجدات إليها ، ثم بدأت تقصفها بنيران المدفعية والهاون بغزارة كبيرة ، فشعر أهل القرية بحرج الموقف وقرروا الصمود والدفاع عن منازلهم مهما كلف الأمر ، لذلك فقد طلبوا من النساء والأطفال والشيوخ مغادرة القرية بهدف تخفيف الخسائر بين العزل ، وتحرك هؤلاء عبر الجانب الجنوبى من القرية ، ولم يكونوا على علم بأن القرية مطوقة من مختلف الجهات ، لذلك فما أن بلغوا مشارف القرية الخارجية حتى تصدى لهم الصهيانة بالنيران ، رغم كونهم نساء وأطفالاً وشيوخاً عزل ، وكانت حصيلة المجزرة 260 شهيداً .

رقم المجزرة	إسم المجزرة	تاريخ المجزرة	مكان المجزرة	وصف المجزرة
44	الطنطورة	22/05/1948	قرية الطنطورة	يؤكد الإسرائيلى ثيودور كاتس فى بحث جامعى تقدم به للحصول على لقب الماجستير من جامعة حيفا بأن ما حدث فى الطنطورة كان مذبحة على نطاق جماعى . . ويذكر كاتس أن القرية قد تم احتلالها من قبل الكتيبة 33 من لواء الكسندرونى فى الليلة الواقعة بين 23 و22 آيار1948 . وعندما سقطت القرية فى يد الجيش الإسرائيلى ، انهمك الجنود لمدة ساعات فى مطاردة يدوية فى الشوارع ، وبعد ذلك أخذوا يطلقون النار بصورة مركزة على السكان ، وفى المقبرة التى دفنت فيها جثث الضحايا والذين وصل عددهم 200 أقيمت لاحقاً ساحة لوقوف السيارات كمرفقَ لشاطئ مستعمرة دور على البحر المتوسط جنوب حيفا .
45	الرملة	01/06/1948	الرملة	خير الضباط الصهاينة أهالى مدينة الرملة بين النزوح من المدينة أو السجن الجماعى ، وكان ذلك بمثابة خدعة تمكنوا خلالها من قتل الكثيرين من أهالى المدينة ، وقد ألقى القتلة بجثث الضحايا على الطريق العام «الرملة- اللد »، ولم يبق فى مدينة الرملة بعد هذه المجزرة سوى 25 عائلة .

رقم المجزرة	إسم المجزرة	تاريخ المجزرة	مكان المجزرة	وصف المجزرة
46	جمزوا	09/07/1948	الرملة	تقدمت قوة من لواء «يفتاح» التابع للجيش الإسرائيلى وانقسمت إلى قسمين : أحدهما توجه نحو الجنوب واحتل قرية عناية ثم احتلت قرية جمزو بعد ذلك بقليل وطردوا أهلها ، وكان القتلة يطلقون النار عليهم وهم هاربون فاستشهد منهم أشخاص كثيرون .
47	اللد	11/07/1948	اللد	نفذت كوماندوز بقيادة موشيه ديان المجزرة بعد أن اقتحمت مدينة اللد مساءً تحت وابل من قذائف المدفعية وإطلاق نار غزير على كل شيء يتحرك في شوارع المدينة ، وقد احتمى المواطنون العرب من الهجوم فى مسجد دهمش ، وما أن وصل الإرهابيون الصهاينة إلى المسجد حتى قتلوا 176 مدنياً حاولوا الاحتماء فيه ، وارتفع عدد ضحايا المذبحة الصهيونية إلى 426 شهيداً .
48	الدوايمة	29/10/1948	قضاء الخليل	هاجمت كتيبة من منظمة «ليحى» الإرهابية يقودها موشى ديان القرية ثم بدأت تفتيش المنازل وإطلاق النار على سكانها ، وقد أبيدت عائلات بأكملها فى المجزرة التى أسفرت عن مقتل 200 من الذكور والنساء والأطفال .

رقم المجزرة	إسم المجزرة	تاريخ المجزرة	مكان المجزرة	وصف المجزرة
49	عيلبون	30/10/1948	عيلبون	احتلها الجيش الإسرائيلى، ثم جمع سكانها وقتلوا 14شاباً منهم.
50	الحولة	30/10/1948	قرية الحولة	احتلت فرقة «كرميلى» التابعة لجيش الاحتلال الإسرائيلى القرية وجمعت حوالى 70 مواطناً فلسطينياً من الذين ظلوا فى القرية وأطلقت عليهم النار.
51	مجزرة أبو رزيق	01/11/1948	حيفا	أبو زريق قرية عربية فلسطينية في قضاء حيفا مساحة أراضيها 6493 دونماً، وكان عدد سكانها 550 نسمة، وكانت المجزرة: فى عام 1948م عندما هاجم الغزاة الصهاينة قرية أبو رزيق هرب أهلها إلى سهل مرج ابن عامر وأثناء هروبهم أطلق جنود الاحتلال عليهم فقتلوا العديد منهم وحاول العديد من أهل القرية الاستسلام لكن الصهاينة قتلوهم أيضاً، وبعد ساعات قتل الصهاينة عدداً من سكان القرية الذين حاولوا الاختباء.
52	عرب المواسى	02/11/1948	عيلبون	عرب المواسى هى إحدى القبائل العربية الفلسطينية وكانت منازلهم تنتشر في كل من قضاء عكا وقضاء طبرية وقضاء صفد، وقد ألقت قوات جيش الاحتلال الإسرائيلي القبض على 16شاباً من عرب المواسى بتهمة التعاون مع جيش الإنقاذ ثم أطلقت عليهم النيران.

رقم المجزرة	إسم المجزرة	تاريخ المجزرة	مكان المجزرة	وصف المجزرة
53	مجد الكروم	05/11/1948	عكا	دخلت قوة من جيش الاحتلال الإسرائيلى قرية مجد الكروم بحجة البحث عن أسلحة وجمعت السكان فى إحدى الساحات ثم أعدمت ثمانية منهم.
54	أم الشوف	30/12/1948	حيفا	أجرت وحدة من عصابة «الإنسل» الإرهابية الصهيونية تفتيشاً فى قافلة من اللاجئين فى قرية أم الشوف فوجدت مسدساً وبندقية فأعدم الصهاينة القتلة سبعة شبان اختيروا بشكل عشوائى.
55	الصفصاف	30/12/1948	صفد	الصفصاف قرية عربية فلسطينية تقع فى قضاء صفد وقد دخلت العصابات الصهيونية إلى القرية وأخذت 52 رجلاً من أهلها ثم أطلقوا عليهم النار فاستشهد منهم عشرة ، وقد ناشدتهم النساء الرحمة ، ثم وقعت ثلاثة حوادث اغتصاب ، وقتلوا أربع فتيات أخريات.
56	جيز	31/12/1948	الرملة	دخلت العصابات الصهيونية قرية جيز فى العام 1948 فقتلوا ثلاثة عشرة شخصاً بينهم امرأة وطفلاً رضيعاً من أهل القرية.

رقم المجزرة	إسم المجزرة	تاريخ المجزرة	مكان المجزرة	وصف المجزرة
57	عرب العزازمة	03/09/1950	سيناء	قام جيش الاحتلال الإسرائيلى بطرد 4071 بدوياً من قبيلة العزازمة من منطقة العوجا المجردة من السلاح على الحدود المصرية، وأجبرتهم على اللجوء إلى صحراء سيناء، وقد قتل الصهاينة منهم 13 شخصاً بينهم نساء وأطفال.
58	قرية شرفات	07/02/1951	جنوبى القدس	شرفات قرية عربية فلسطينية فى الجنوب الغربى من مدينة القدس، وقد دخلها الجيش الإسرائيلى ونسفت عدة بيوت على من فيها، وأسفرت هذه المجزرة عن سقوط عشرة شهداء.
59	بيت لحم	06/01/1952	مدينة بيت لحم	المنفذ: الجيش الإسرائيلى السلاح: المتفجرات، النتيجة: استشهاد 6 مواطنين من ضمنهم طفلين وامرأتين.
60	بيت جالا	11/01/1952	بيت جالا	هاجمت قوات الاحتلال الإسرائيلى مدينة بيت جالا فقتلت 7 أشخاص بينهم أربعة أطفال وامرأتين.

رقم المجزرة	إسم المجزرة	تاريخ المجزرة	مكان المجزرة	وصف المجزرة
61	مجزرة «القدس»	22/04/1953	بوابة دمشق فى مدينة القدس	فى 1953/4/22م أطلقت قوات الاحتلال الصهيونى النار على مدنيين عزل فى ساحة مكشوفة أمام بوابة دمشق فى مدينة القدس فاستشهد منهم 10 أشخاص.
62	البريج	28/08/1953	غزة	مخيم البريج أحد مخيمات اللاجئين الفلسطينيين ويقع شرق مدينة غزة وقد هاجمه جيش الاحتلال الإسرائيلى بقيادة أرئيل شارون مطلقاً النار على سكان المخيم مما أدى إلى استشهاد عشرين من سكانه.
63	قبية	14/10/1953	غرب رام الله	«قبية» قرية عربية فلسطينية تقع على مسافة 11 كم إلى الشمال الشرقى من مدينة اللد ، وتحركت قوةمن جيش الاحتلال الإسرائيلى قوامها نحو 600 جندى إسرائيلى وطوقت القرية ، ثم بدأ الهجوم بقصف مدفعى على منازل القرية وأعقب ذلك دخول قوات المشاة وهى تطلق النار فى جميع الجهات وثم نسف بعض المنازل على رؤوس قاطنيها وأسفرت هذه المجزرة عن استشهاد 67 من سكان القرية.

رقم المجزرة	إسم المجزرة	تاريخ المجزرة	مكان المجزرة	وصف المجزرة
64	نحالين	28/03/1954	قرية فى قضاء القدس	«نحالين» قرية عربية فلسطينية فى قضاء القدس وقد دخلتها قوات من جيش الاحتلال الإسرائيلي وأطلقت النار على سكانها مما أدى إلى استشهاد ثمانية من أهل القرية بالإضافة إلى ثلاثة جنود أردنيين.
65	غزة	28/03/1955	غزة	دخلت ثلاث مجموعات من الجيش الإسرائيلى غزة وتوزعت المهام بين نسف محطة المياة ومهاجمة المواقع المصرية وبث الألغام على الطرقات لمنع وصول النجدات ، فذهب ضحية هذه المجزرة 39 شهيداً وكان للجيش المصرى النصيب الأكبر من الشهداء.
66	عرب العزازمة	04/03/1955	بئر السبع	تعرضت قبيلة العزازمة بما فيها النساء والأطفال لمجزرة نفذتها قوات الاحتلال الإسرائيلى ولا يتوفر الكثير من التفاصيل حول هذه المجزرة.
67	غزة	05/04/1956	غزة	قصف الجيش الإسرائيلى مدينة غزة وقرى دير البلح وعبسان وخزاعة مما أسفر عن استشهاد 60 فلسطينياً بينهم 27 امرأة و4 أطفال.

رقم المجزرة	إسم المجزرة	تاريخ المجزرة	مكان المجزرة	وصف المجزرة
68	قلقيلية	10/10/1956	قلقيلية	دخلت قوة من جيش الاحتلال الإسرائيلي تساندها نحو عشر طائرات مقاتلة مدينة قلقيلية من ثلاث اتجاهات، وأطلقت هذه القوات النيران بشكل عشوائي، واستشهد نتيجة هذه المجزرة 70 من سكان المدينة بينهم الكثير من النساء والأطفال والشيوخ.
69	كفر قاسم	29/10/1956	قرية كفر قاسم	فرضت قوات الاحتلال الإسرائيلي نظام حظر التجول على قرية كفر قاسم في ساعات المساء، وعند عودة السكان الذين كانوا متواجدين خارج القرية إليها، أطلقت قوات الاحتلال عليهم النار بدون تميز، وكانت حصيلة هذه المجزرة 49 شهيداً. وجدير بالذكر أن قائد اللواء العسكري الذي أمر بارتكاب المجزرة قد غرم من قبل محكمة عسكرية إسرائيلية قرشاً واحداً لإرتكابه «خطأ فنياً» على حد تعبير المحكمة.
70	مذبحة خان يونس	3/11/1956	خان يونس/ إحدى مدن قطاع غزة	تعرضت مدينة خان يونس لمجزرة بشعة نفذها جيش الاحتلال الإسرائيلي في المنطقة الشرقية خزاعة وعبسان وبني سهيلة وفي المدينة نفسها وقد بلغ عدد الضحايا حوالي 500 شهيد.

رقم المجزرة	إسم المجزرة	تاريخ المجزرة	مكان المجزرة	وصف المجزرة
71	رفح	12/11/1956 •	المدرسة الأميرية فى رفح إحدى مدن قطاع غزة	المنفذ: الجيش الإسرائيلى السلاح: الرشاشات، النتيجة: مقتل المئات دون سبب فقط يخرجون من بيوتهم ويطلق عليهم النار.
72	مخيم خان يونس	12/11/1966	خان يونس	قامت قوة من جيش الاحتلال الإسرائيلى بتنفيذ مجزرة فى مخيم خان يونس ذهب ضحيتها 275 شهيداً من السكان المدنيين.
73	السموع	13/01/1966	الخليل	هاجمت قوة من جيش الاحتلال الإسرائيلى قرية السموع وقرية رافات مستعينة على ذلك بعشرات الدبابات والعربات المصفحة وعدد من الطائرات، وأسفرت هذه المجزرة عن استشهاد 18 مواطناً بينهم ستة جنود من الجيش الأردنى.
74	القدس	05/06/1967	القدس	أمطرت قوات الاحتلال الإسرائيلى مدينة القدس وسكانها بوابل من القصف المتواصل بالقنابل المحرقة، جوا وأرضاً، وبموجات من رصاص الرشاشات ودمرت البيوت على قاطنيها ما أسفر عن استشهاد 300 من المدنيين.

رقم المجزرة	إسم المجزرة	تاريخ المجزرة	مكان المجزرة	وصف المجزرة
75	مخيم رفح	30/06/1967	رفح	إبان عدوان حزيران ، اقتحم جنود جيش الاحتلال الإسرائيلى مخيم رفح للاجئين الفلسطينيين وأطلقوا النار على 23 رجلاً فقتلوهم جميعاً وتركوا جثثهم مطروحة فى الشارع عدة أيام لإرهاب باقى اللاجئين فى المخيم وبعد ذلك تم دفن الجثث فى قبر جماعى .
76	صبرا وشاتيلا	16/09/1982	صبرا وشاتيلا	استمرت هذه المجزرة ثلاثة أيام ورغم أن منفذيها المباشرين كانوا من قوات الكتائب اللبنانية إلا أن مخططيها ومصمميها والمشرفين عليها والمشاركين فى بعض مراحلها كانوا قادة جيش الاحتلال الإسرائيلى آنذاك وعلى رأسهم أرئيل شارون ، وقد قامت قوات من الكتائب باقتحام المخيمين حيث قاموا بذبح عدد كبير من سكانها من نساء وأطفال وشيوخ ، وكان نتيجة هذه المجزرة البشعة استشهاد ما يزيد عن 3500 .
77	عيون قارة	20/05/1199	قرب مستعمرة ريشون لتسيون	قام جندى احتياط إسرائيلى بفتح نيران بندقيته الرشاش على مجموعة من العمال الفلسطينيين قرب مستعمرة ريشون لتسيون ، وذهب ضحية هذه المجزرة سبعة عمال شهداء .

رقم المجزرة	إسم المجزرة	تاريخ المجزرة	مكان المجزرة	وصف المجزرة
78	الأقصى	08/10/1990	داخل أسوار المسجد الأقصى	حاول متطرفون صهاينة وضع حجر الأساس لما يسمى بالهيكل الثالث فى ساحة الحرم فهب أهالى القدس دفاعاً عن المسجد الأقصى المبارك فتدخلت قوات جيش الاحتلال الإسرائيلى بإطلاق الرصاص علي المصلين الهاربين من داخل الحرم ، وأسفرت هذه المجزرة عن استشهاد 21 شخصاً .
79	الحرم الإبراهيمى	25/02/1994	الحرم الإبراهيمى فى الخليل	قام مستوطن يهودى باقتحام الحرم الإبراهيمى الشريف فى مدينة الخليل وأطلق الرصاص والقنابل علي المصلين وقام عدد آخر من جنود الاحتلال الإسرائيلى بإطلاق الرصاص على المصلين الهاربين من داخل الحرم ، وأسفرت هذه المجزرة عن استشهاد 24 فلسطينياً .
80	جباليا	11/03/2002	جباليا- شمال مدينة غزة	اوغلت قوات الاحتلال الإسرائيلي فى مخيم جباليا ودمرت عددا من المنازل وورش خراطة ، وأطلقت النار على سكان المخيم مما أسفر عن استشهاد 17 منهم .

رقم المجزرة	إسم المجزرة	تاريخ المجزرة	مكان المجزرة	وصف المجزرة
81	حى الدرج	22/07/2002	غزة	فى ساعات الليل المتأخرة ، ألقت طائرة حربية إسرائيلية من نوع إف 16قنبلة تزن 1000 رطل على بيت بدعوى تواجد أحد المقاومين الفلسطينيين فيه ، مما أدى إلى تدمير كامل لعشرات البيوت المجاورة وكان نتيجة هذه المجزرة البشعة استشهاد 15فلسطينياً بينهم نساء وأطفال .
82	عائلة الهجين	29/08/2002	غزة	قامت دبابة إسرائيلية بقصف خيمة وسط كرم عنب فى حى الشيخ عجلين بمدينة غزة وكان يتواجد فى الخيمة 12 فرداً من عائلة الهجين ، وأدى ذلك إلى استشهاد أربعة منهم وإصابة الباقين بجراح .
83	طوباس	31/08/2002	طوباس	أطلقت مروحية إسرائيلية صاروخين على سيارة فلسطينية تقل مدنيين ، مما أدى إلى مقتل خمسة فلسطينيين بينهم أربعة أطفال .
84	بين نعيم	01/09/2002	الخليل	اعترض جنود حاجز عسكرى إسرائيلى سيارة كان يستقلها خمسة عمال فلسطينيين ، حيث قامت قوات الاحتلال بعد توقيفهم بفتح النار عليهم بصورة مكثفة مما أسفر عن استشهاد أربعة عمال وإصابة الخامس بجروح خطرة .

رقم المجزرة	إسم المجزرة	تاريخ المجزرة	مكان المجزرة	وصف المجزرة
85	الشجاعية والزيتون	24/09/2002	غزة	اقتحمت قوات الاحتلال الإسرائيلى مدعومة بالدبابات والطائرات حى الشجاعية وحى الزيتون في مدينة غزة بحجة البحث عن فدائيين فلسطينيين وأسلحة ، ونسفت قوات الاحتلال عدة ورش للمعادن بدعوى أنها تستخدم في تصنيع الأسلحة ، وكانت حصيلة هذه المجزرة استشهاد تسعة فلسطينيين .
86	خان يونس	07/10/2002	خان يونس	تحركت فى ذلك اليوم عشرات الدبابات الإسرائيلية من مجمع مستعمرات غوش قطيف باتجاه مدينة خان يونس تساندها طائرات مروحية ، وأطلقت قوات الاحتلال الإسرائيلى نيرانها العشوائية صوب المواطنين ، فأصابت العشرات منهم وبعد انسحاب الدبابات من المدينة تجمع السكان لرؤية الدمار الذى خلفه الصهاينة ، فقامت مروحية إسرائيلية بإطلاق صاروخ إلى تجمع المدنيين مما أدى إلى استشهاد أربعة عشر منهم .

رقم المجزرة	إسم المجزرة	تاريخ المجزرة	مكان المجزرة	وصف المجزرة
87	رفح	17/10/2002	رفح	أطلقت دبابات الاحتلال الإسرائيلي قذائف ونيران أسلحتها الرشاشة باتجاه المنازل والمواطنين في بلوك (و) للاجئين في مدينة رفح، فقتلت ثمانية، بينهم امرأتان مسنتان وطفل.
88	البريج	06/12/2002	البريج	توغلت قوات الاحتلال الإسرائيلي ثاني أيام عيد الفطر المبارك في مخيم البريج شرق مدينة غزة، ودمرت عدداً من المنازل وأطلقت النار على السكان مما أسفر عن استشهاد عشرة فلسطينيين.
89	حجر الديك	13/12/2002	غزة	حجر الديك منطقة تقع جنوب مدينة غزة ولكونها قريبة من خط الهدنة فقد حاول خمسة عمال فلسطينيين من عائلة واحدة دخول إسرائيل من تلك المنطقة فأطلقت عليهم قوات الاحتلال النار بدم بارد مما أدى إلى استشهادهم.
90	الزيتون وعسقولة	26/01/2003	غزة	دفعت قوات الاحتلال الإسرائيلي عشرات المجنزرات إلى حي الزيتون وحي عسقولة في مدينة غزة، وطال تدميرها عدداً من البيوت والورش والدوائر الحكومية وقد أدى هذا العدوان الإسرائيلي إلى استشهاد 12 مواطناً فلسطينياً.

رقم المجزرة	إسم المجزرة	تاريخ المجزرة	مكان المجزرة	وصف المجزرة
91	الشجاعية والتفاح	19/02/2003	غزة	هاجمت 100 دبابة مجنزرة إسرائيلية مدعومة بالطائرات المروحية حى الشجاعية وحى التفاح فى مدينة غزة ، وأطلقت المروحيات والدبابات الصواريخ والقذائف على الأحياء السكنية ، وكانت نتيجة هذه المجزرة سقوط 11 شهيداً فلسطينياً . !
92	بيت حانون	23/02/2003	بيت حانون- شمال مدينةغزة	توغلت قوات الاحتلال الإسرائيلى مدعومة بالدبابات والطائرات المروحية في مدينة بيت حانون شمال مدينة غزة ، وهدمت عدة بيوت وأطلقت النار على المواطنين مما أدى إلى استشهاد ستة منهم .
93	البريج	03/03/2003	البريج	اجتاحت عشرات الآليات العسكرية الإسرائيلية مدعومة بغطاء جوى من المروحيات مخيم البريج شرق مدينة غزة ، وبدأت بإطلاق كثيف لقذائف الدبابات ونيران الأسلحة الرشاشة على سكان المخيم الآمنيين فى بيوتهم مما أدى إلى سقوط ثمانية شهداء من بينهم امرأة حامل فى شهرها التاسع .

رقم المجزرة	إسم المجزرة	تاريخ المجزرة	مكان المجزرة	وصف المجزرة
94	جباليا	06/03/2003	جباليا - شمال مدينة غزة	توغلت قوات الاحتلال الإسرائيلى مدعومة بأكثر من 90 آلية ودبابة عسكرية ، تحت غطاء من الطائرات المروحية فى مخيم جباليا ونسفت عدداً من البيوت وأطلقت قذائف الدبابات ونيران الأسلحة الرشاشة علي المدنيين مما أدى إلى سقوط 13شهيداً .
95	النصيرات	18/03/2003	النصيرات - المنطقة الوسطى لمدينة غزة	توغلت قوات الاحتلال فى مخيم النصيرات ودمرت بيت أحد المواطنين وهو بداخله بدعوى مقاومته للإحتلال وأطلقت النيران على البيوت مما أدى إلى استشهاد ثمانية مواطنين .
96	عسقولة	08/04/2003	غزة	أطلقت طائرة إسرائيلية من طراز إف 16 صاروخاً على سيارة فلسطينية كانت تسير فى حى عسقولة بمدينة غزة ، فقتل ركاب السيارة الإثنان ، وأثناء تجمع الناس حول السيارة ، أطلقت مروحية إسرائيلية صاروخاً ثانياً فقتلت خمسة أشخاص بينهم طفلان فكان نتيجة هذه المجزرة سبعة شهداء .

رقم المجزرة	إسم المجزرة	تاريخ المجزرة	مكان المجزرة	وصف المجزرة
97	الشجاعية	01/05/2003	الشجاعية- غزة	داهمت قوات الاحتلال الإسرائيلى مدعومة بالدبابات والطائرات حى الشجاعية فى مدينة غزة بحجة البحث عن مطلوبين ، وأطلقت النار على المواطنين مما أدى إلى استشهاد ثلاثة عشر فلسطينياً بينهم ثلاثة أخوة وثلاثة أطفال .
98	شارع زمو جباليا	10/06/2003	جباليا - غزة	أطلقت مروحية إسرائيلية عدة صواريخ على سيارة فلسطينية تقل عدداً من المواطنين الفلسطينيين ، فأصاب أحد الصواريخ منزل عائلة فلسطينية مما أدى إلى استشهاد ثلاثة من أفرادها وإصابة خمسة بجراح متفاوتة .
99	الشجاعية	11/06/2003	حى الشجاعية- غزة	أطلقت مروحيات إسرائيلية عدة صواريخ باتجاه سيارة مدنية قرب السوق الشعبية فى حى الشجاعية شرق مدينة غزة؛ مما أسفر عن استشهاد ثمانية مواطنين وإصابة 35 بجراح متفاوتة .
100	الشيخ رضوان	12/06/2003	حى الشيخ رضوان- غزة	أطلقت مروحيات إسرائيلية عدة صواريخ باتجاه سيارة مدنية كانت تسير فى حى الشيخ رضوان المكتظ بالسكان ، مما أسفر عن استشهاد ثمانية فلسطينيين وإصابة 30 بجراح متفاوتة .

رقم المجزرة	إسم المجزرة	تاريخ المجزرة	مكان المجزرة	وصف المجزرة
101	النصيرات	20/10/2003	مخيم النصيرات جنوب مدينة غزة	أطلقت مروحية إسرائيلية صاروخا تجاه سيارة فلسطينية كانت تسير فى مدخل مخيم النصيرات وعند تجمهر المواطنين لمحاولة إسعاف من بداخل السيارة، عادت المروحية لتطلق صاروخاً آخر على الجموع المحتشدة فأردت عشرة شهداء وأصابت العشرات بجروح متفاوتة.
102	رفح	24/12/2003	مخيم بينا فى مدينة رفح	اجتاحت قوات الاحتلال الإسرائيلى مخيم بينا ، بحجة التفتيش عن أسلحة وأنفاق ودمرت عشرات البيوت ، وأطلقت النيران وقذائف الدبابات مما أدى إلى استشهاد 11مواطنا وإصابة العشرات.
103	شارع الصفطاوى	25/12/2003	حى الصفطاوى- جباليا-غزة	أطلقت مروحية إسرائيلية عدة صواريخ على سيارة مدنية فلسطينية تقل عدداً من المواطنين، مما أدى إلى استشهاد خمسة مواطنين.

رقم المجزرة	إسم المجزرة	تاريخ المجزرة	مكان المجزرة	وصف المجزرة
104	الزيتون	28/01/2004	حى الزيتون- غزة	اقتحمت قوات الاحتلال الإسرائيلى مدعومة بعدد من الدبابات حى الزيتون شرق مدينة غزة ، وأطلقت نيران الرشاشات وقذائف الدبابات على المواطنين دون تميز ، مما أدى إلي استشهاد 9 مواطنين، بالإضافة إلى عشرات الجرحى .
105	الشجاعية	11/02/2004	حى الشجاعية - غزة	توغلت عشرات الدبابات في حى الشجاعية شرق مدينة غزة بحجة البحث عن مطلوبين فلسطينيين وأطلقت النار على المواطنين العزل مما أدى إلي استشهاد 13 مواطن وإصابة 54 بجراح متفاوتة.
106	البريج النصيرات	07/03/2004	محافظة الوسطى- مخيمى البريج والنصيرات	اجتاحت قوات الاحتلال الإسرائيلى مدعومة بعدد من الآليات العسكرية والمروحيات مخيمي البريج والنصيرات بحجة البحث عن مقاومين فلسطينيين، وأسفر الاجتياح عن استشهاد 15مواطناً فلسطينياً وإصابة نحو 85 بجروح متفاوتة .

رقم المجزرة	إسم المجزرة	تاريخ المجزرة	مكان المجزرة	وصف المجزرة
107	حى الصبرة	22/03/2004	غزة- حى الصبرة	أطلقت المروحيات الإسرائيلية ثلاث صواريخ على مؤسس حركة حماس الشيخ أحمد ياسين عند خروجه من مسجد المجمع الإسلامى عقب صلاة الفجر ، مما أدى إلى استشهاده ومعه سبعة مواطنين فلسطينيين وإصابة 9 مواطنين ، وفى نفس اليوم قتلت قوات الاحتلال الإسرائيلى ستة مواطنين آخرين وأصابت العشرات بجراح متفاوتة لتصل حصيلة تلك المجزرة إلى استشهاد 14 مواطناً.
108	بيت لاهيا	20/04/2004	بيت لاهيا - شمال غزة	توغلت قوات الاحتلال الإسرائيلى فى مدينة بيت لاهيا وأبراج حى الندى ، ودمرت مبان حكومية واقتلعت أشجار وأطلقت النار على المواطنين على مدى يومين وكان نتيجة هذه المجزرة استشهاد 17 مواطناً بينهم عدد من الأطفال وأصيب نتيجة التوغل الإسرائيلى ما يزيد عن 100مواطن فلسطينى وصفت جراح عدد منهم بالخطيرة.

رقم المجزرة	إسم المجزرة	تاريخ المجزرة	مكان المجزرة	وصف المجزرة
109	الزيتون	11/05/2004	حي الزيتون - مدينة غزة	توغلت قوات الاحتلال الإسرائيلي مدعومة بعشرات الآليات العسكرية في حي الزيتون، وهدمت محال تجارية وورش صناعية، وخلال توغلها فجرت المقاومة الفلسطينية آلية عسكرية إسرائيلية مما أدى إلى مقتل ستة جنود، فاستدعت قوات الاحتلال تعزيزات عسكرية للحي، وعلى مدى ثلاثة أيام هدمت عشرات المنازل، وأطلقت النار على المواطنين في حملة انتقام واسعة النطاق، الأمر الذي أدى إلى استشهاد 18 فلسطينيا وإصابة العشرات بجروح متفاوتة.
110	رفح	13/05/2004	رفح	اقتحمت قوات الاحتلال الإسرائيلي مدعومة بالآليات العسكرية والمروحيات مخيم «أو» الواقع جنوب رفح وهدمت 117 منزلاً فلسطينيا وأطلقت النيران على المواطنين العزل مما أدى إلى استشهاد 14 مواطناً وإصابة العشرات بجروح متفاوتة.

رقم المجزرة	إسم المجزرة	تاريخ المجزرة	مكان المجزرة	وصف المجزرة
111	رفح	18/05/2004	رفح	فى عملية عسكرية واسعة النطاق توغلت قوات الاحتلال الإسرائيلى مصحوبة بغطاء جوى فى الأحياء الجنوبية من مدينة رفح وهدمت مئات المنازل ودمرت البنية التحتية في أحياء تل السلطان والبرازيل والسلام وعلي مدى ثلاثة أيام ارتكبت مجازر بشعة راح ضحيتها 51 فلسطينيا من بينهم 19 طفلاً بالإضافة لإصابة العشرات بجروح متفاوتة.
112	بيت حانون	22/06/2002	مدينة بيت حانون	احتلت القوات الإسرائيلية مدينة بيت حانون لمدة 38 يوماً وفرضت على أهلها حصار شاملاً و بدأت عدوانها حيث جرفت 3000دونماً من الأراضى الزراعية وهدمت 16منزلاً بشكل كلى و120 منزلاً بشكل جزئى، وألحقت بالمدينة خسائر مالية قدرت بعشرات الملايين من الدولارات وكذلك كانت الخسائر البشرية فادحة ، حيث استشهد جراء العدوان الإسرائيلى21مواطناً فلسطينياً (ثمانية منهم فى ليلية واحدة) وأصيب 160مواطناً فلسطينياً بجراح متفاوتة.

رقم المجزرة	إسم المجزرة	تاريخ المجزرة	مكان المجزرة	وصف المجزرة
113	حى الشجاعية	06/092004	حى الشجاعية - غزة	أطلقت مروحيات إسرائيلية خمسة صواريخ على مخيماً صيفياً، كان يقام فى ملعب رياضى، يقع فى حى الشجاعية شرق مدينة غزة ، وكانت نتيجة هذه المجزرة البشعة استشهاد 16 مواطناً وإصابة العشرات بجروح مختلفة .
114	الشمال	28/09/2004	بيت حانون- بيت لاهيا- جباليا	فى عملية عسكرية دموية اجتاحت قوات الاحتلال الإسرائيلى مدن محافظة شمال غزة فى الفترة من 2004/9/29 إلى 2004/10/15 وأطلقت الصواريخ والرصاص الحى علي المواطنين من الجو والبر ، وجرفت مئات الدونمات الزراعية وآبار المياه وقدرت خسائر الإجتياح المادية بما يزيد عن مليار دولار ، أما الخسائر البشرية فكانت 127 شهيدا من مختلف الأعمار وإصابة ما يزيد عن 500 فلسطينى بجروح متفاوتة .

رقم المجزرة	إسم المجزرة	تاريخ المجزرة	مكان المجزرة	وصف المجزرة
115	خان يونس	17/12/2004	الحى النمساوى - خان يونس	اجتاحت قوات الاحتلال الإسرائيلي المخيم الغربى والحى النمساوى غرب مدينة خان يونس، ونفذت هذه القوات المدعومة بعشرات الدبابات والآليات بمساندة الطائرات الحربية عدوان واسع النطاق أسفر هذا الإجتياح عن هدم عشرات المنازل وتخريب البنية التحتية ، واستشهد نتيجة هذه المجزرة 11 مواطناً وأصيب ما يزيد عن 50 آخرين كانت جراح بعضهم خطيرة .
116	* **وإلى مالا نهاية:** لا يمكن لنا أن نتوقف عند عدد محدد ربما تقف عنده المجازر الإسرائيلية فى الأراضى العربية المحتلة مادام هناك احتلال إسرائيلى يصحبه الدعم الدولى والسكوت العربى؛ ففى كل يوم يمر بل فى كل ساعة نسمع عن وقوع ضحايا واعتداءات سافرة على شعب فلسطين وأرضه يقوم به العدو الصهيونى .			

وأخيراً :فهذا قليل من كثير . . لقد أصبحنا نحن العرب والمسلمين كالأيتام على مائدة اللئام، وأصبح الدم الإسلامى هو أرخص الدماء فى العالم يراق بلا حساب ومن أجل أتفه الأمور .

وعلى الرغم من أنه قد تم للدولة اليهودية ما كانت تصبو إليه من إنشاء وطن قومى لهم فى فلسطين وإحلال اليهود القادمين من الخارج محل أهل فلسطين ، واعتراف العالم كله بهذا الكيان المغتصب إلا أن المذابح لا تزال تمارس والبيوت تهدم والناس تشرد ويزداد التهديد اليهودى يوماً بعد يوم منذ فترة الأربعينات في القرن

الماضى وحتى بداية العام الخامس في القرن الحادى والعشرين ولا ندرى متى تتوقف تلك المجازر البشعة . . . ؟

أعتقد أن دماء المسلمين المهدرة لن تحقن ، وكرامتهم الضائعة لن تعود إلا إذا وجد نظام شامل يلم شمل المسلمين ، ويجمع ما تبعثر من قوتهم تحت راية الخلافة الإسلامية من جديد فهل من مجيب؟!

* * المصادر:

1- شبكة المعلومات الدولية «الإنترنت»- موقع شهداء الأقصى وغيره .

2- فلسطين بالخرائط والوثائق - بهاء فاروق 211، وما بعدها .

وفى النهاية يمكن لنا أن نجمل الأساليب التى اتخذها اليهود فى مواجهة الإسلام قديماً وحديثاً فيما يلى :-

1-قيام حملات التبشير الصليبى عن طريق المؤتمرات وإنشاء المدارس والجامعات الأجنبية فى العالم الإسلامى.

2- اتجاه كثير من الغربيين نحو الشرق الإسلامى لدراسة تراثه وقيمه والعمل على الطعن والتشكيك فى حضارة المسلمين وعقيدتهم وقيمهم.

3- إثارة النعرات القومية والعرقية وإثارة الفتن الطائفية فى العالم الإسلامى.

4- القضاء على الخلافة الإسلامية وتقسيم الامبراطورية إلى دويلات صغيرة تقوم على القبلية والعصبية والعنصرية.

5- التدخل فى نظم الحكم فى العالم الإسلامى والسيطرة على القادة والرؤساء حتى يكونوا هم الأداة الهدامة التى تنفذ التعاليم الصهيونية داخل بلادهم.

6- التدخل فى مناهج التعليم فى العالم الإسلامى بمحاولة ابعاد الجانب الدينى والجهادى واللغة العربية والتراث الإسلامى القديم.

7- محاولة إبعاد الإسلام عن مجال الحياة العامة وإحلال القوانين الغربية محل القوانين الإسلامية فتظهر ما يسمى « بالعلمانية» وهونظام يدعو إلى فصل الدين عن الدولة أو ابعاد الدين والغيبيات عن مجال الحياة « اللادينية».

8- القضاء على صورة الأسرة المسلمة ، والنظام الاجتماعى الإسلامى عن طريق الدعوة إلى التحلل من القيم والتقاليد والروابط ، ونشر الإباحية والفساد الأخلاقى .

9- وقف المد البشرى فى العالم الإسلامى عن طريق الدعوة لتحديد النسل .

10- القضاء على الحركات الإسلامية الداعية إلى الجهاد ومحاربة الأعداء والفساد، والتمسك بالقيم والآداب الإسلامية.

11- العمل على تكوين الفرق الهدامة التى تخرج على الدين وتحاول إيجاد دين جديد كالقديانية والبابية والبهائية ، وإنشاء النوادى التى تدعوا إلى الإباحية الجنسية والفساد الأخلاقى.

12- محاولة السيطرة على الدول الإسلامية من خلال السيطرة على أسواق المال واستعمار الدول اقتصادياً عن طريق المنح والقروض الأجنبية للدول الفقيرة ومن ثم السيطرة الاقتصادية عليها.

وبعد: فهذه صورة موجزة عن موقف اليهود من المسلمين فى الماضى والحاضر وربما فى المستقبل أيضاً، لأننا لم نزل تحت سيطرة اليهود يفعلون بنا ما أرادوا والشاهد على ذلك ما يفعله بنا اليهود وأعوانهم وخاصة بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر 2001 م، هذا الحادث الذى كان له أثراً عظيماً فى زيادة العداء للإسلام والمسلمين، فقد ألقى الغرب بالمسئولية علينا وحملونا تبعته بعد حصوله بساعات ونسبوه إلى المسلمين بعامة وإلى الإسلام وتعاليمه ومبادئه على نحو أعم، مع أن الأمر لا دليل عليه والفاعل لادليل عليه فكيف أخُذت الجماعة بفعل الفرد الذى لم يثبت عليه دليل، أليس هذا انتهاك كامل صريح لكل أصول التحضر وقواعد الإنسانية؟.

إنه الحقد الدفين على الإسلام وأهله، وانتهاز الفرص حتى يدان الإسلام وأهله فى جرائم هم منها براء، فيقوم الجميع بالانتقام من الإسلام، هذا ما حدث فبعد الحادى عشر من سبتمبر 2001 تم اجتياح أفغانستان المسلمة بحجة القضاء على الإرهاب ولا تزال القُوى المعتدية على مسرح الأحداث إلى اليوم.

ثم اتجهت القوى العالمية تقودها أمريكا وبريطانيا - وغالبيتهم من اليهود - وتحت ما يسمى بالشرعية الدولية أو الغطاء الدولى باجتياح العراق بنفس الحجة ايضاً ولنفس الأسباب، فهدمت المدن وقتل الآلاف وشرد الملايين وسجن الآلاف كل ذلك بدعوى نشر الديمقراطية وحقوق الإنسان.

هل ما يحدث فى سجن أبو غريب فى العراق من تعذيب واضطهاد وما يحدث فى سجن جوانتانامو الكوبية من تنكيل بالبشر وإهدار لكرامتهم الإنسانية بشتى وسائل التعذيب والإهانة الجسمية والنفسية، فهل يتوافق هذا كله مع الديموقراطية وحقوق الإنسان التى يدعون إليها ويزعمون أنهم يحاربون من أجل نشرها فى كل دول العالم؟؟؟.

لقد ضاعت كرامة المسلم وانتهكت آدميته وحرمته على أيدى اليهود وأعوانهم

فماذا ننتظر بعد هذا التحدى السافر للإسلام عقيدة وشريعة ومنهج حياة هل نرجوا من هؤلاء الخير بعد هذا كله؟ .

كيف وهم أشد الناس لنا عداوة كما قال ربنا جل وعلا : ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة:82] . وصدق الله العظيم فقد اجتمع العالم علينا اليهود والصليبيون الوثنيون وغيرهم، كلهم يريدون البطش بنا والقضاء علينا بلا رحمة أو هوادة هكذا أصبح من الواضح البين تحالفت اليهودية العالمية والصليبية العالمية وغيرها من القوى لهدم الكيان الإسلامى والإتيان على قواعده من الجذور .

ومع ذلك فما زلنا نطمع فى أن يصيبنا الخير على أيدى هؤلاء البغاة العتاة فنمد إليهم أيدينا بعد أن حذرنا الله سبحانه منهم فقال جل وعلا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة57]

لكننا نعيش فى غفلة وتيه ، فصمَّت آذاننا ، وعُمِّيت أبصارنا ، وطمس على قلوبنا بعد أن أعرضنا عن كتاب ربنا ، فزلت أقدامنا وتمكن العدو من رقابنا يفعلون بنا ما يشاؤون وكأننا كالدمى فى أيديهم يحركونها ويوجهونها كيف شاؤا، يلعبون بها ثم يدوسونها بالأقدام فإلى متى الغفلة ياقوم؟؟ .

يا قوم أما آن لنا أن نتقى الله فى أنفسنا وفى أمتنا وأوطاننا . . . ؟! أما آن لنا أن نتكاتف ونتحد لمجابهة ما يحيط بنا من مخاطر وأهوال؟ .

أما آن لنا أن نفيق من غفوتنا وننفض التراب عن أعيننا لنرى ما يحاك بنا مجددا من دسائس ومؤامرات على يد أحفاد ابن سبأ قتلة الأنبياء والمرسلين؟ .

يا قوم كفانا أنانية وفردية ، كفانا غروراً .

إن التاريخ لن يشفع لنا مجرد كوننا أحفاد صانعى أكبر المعجزات فى التاريخ ، ولن يرحمنا لأننا أحفاد أرحم فاتحيه ، فالحذار الحذار قبل أن تسبقنا الأحداث ويبتلعنا اليهود، فهم يقاتلوننا عن عقيدة فاسدة ابتغاء مرضاة الرب كما تزعم كتبهم فمتى نعاملهم بالمثل لأننا أصحاب عقيدة صحيحة وأصحاب حق ، فهؤلاء لا ينفع

معهم سلام ، ولا يرجى منهم أمان ، وعلينا أن نعد العدة فمصيرنا ومصير أجيالنا المقبلة مرتبط بسلوكنا اليوم ، فلنبادر إلى توحيد الصفوف وضم الجموع وتوحيد الهدف ، لنكن اليوم أمة واحدة كما كنا بالأمس ، ولتكن لنا راية مشتركة وعزيمة موحدة لنواجه العالم كتلة متراصة الصفوف ، لنسترجع حقنا المسلوب ونستعيد كرامتنا ومكانتنا على الأرض ، فالوحدة الوحدة قبل فوات الأوان وحلول الندامة حيث لا تنفع . . . اللهم بلغت .

1- الإسلام والآخر د/ محمد عمارة21 .

1- الإسلام والآخر د/ محمد عمارة 86-87 نقلاً عن صورة الإسلام فى التراث الغربى (هوبرت

الموقف المسيحى بعد عهد النبوة

لقد بينا فيما مضى موقف الإسلام من الديانة المسيحية وقلنا بأن الإسلام هو الدين الوحيد بين سائر الأديان الذى يتفرد بالاعتراف بكل الشرائع والملل وجميع النبوات والرسالات وسائر الكتب والصحف والألواح التى مثلت وحى السماء إلى جميع الأنبياء والمرسلين ، وفوق هذا الاعتراف هناك القداسة والتقديس والعصمة والإجلال لكل الرسل وجميع الرسالات .

والإيمان الإسلامى وحده هو الذى لا يكتمل إلا إذا آمن أصحابه بكل النبوات والرسالات وبكتب وشرائع هذه النبوات بل ولا يكتمل هذا الإيمان الإسلامى إلا إذا مكن المسلمون أهل تلك الشرائع والملل من إقامة عقائدهم المخالفة للإسلام بل والتى تنكر و تجحد الإسلام بينما قانون الإيمان لدى كل ملة غير ملة الإسلام نجده لا يكتمل إلا بإنكار كل ديانة غيره فليس فى الديانات السابقة للإسلام من يعترف بالإسلام ديناً وبنبى الإسلام رسولاً وبقرآن الإسلام وحياً إلهياً[1] . وينطبق هذا على الديانة المسيحية التى جعل الإسلام أهلها جزءاً من الأمة والرعية ، فجعلهم بالمصاهرة جزءاً من أسرة المسلم وذلك عندما تصبح الزوجة المسيحية سكناً للزوج المسلم وينشأ أولاده منها وأخوالهم كتابيون فتصبح الصلات بينهم فى مستوى« أولى الأرحام» .

صورة المسلمين فى الثقافة النصرانية واللاهوت النصرانى :-

إن صور المسلم فى الثقافة النصرانية واللاهوتية الغربية طافحة بما يعف القلم عن إعادة كتابته فى الكثير من الأحيان ، وإذا كان لابد من إيراد بعض الأمثلة على هذه الصورة الزائفة والبشعة والشوهاء فلننظر ماذا قال علماؤهم ومفكروهم عن الإسلام .

لقد كتب أحد المفكرين الألمان والمعاصرين يقول : « لقد اعتبر المسيحيون الأوروبيون محمد ﷺ رجلاً عاش حياة داعرة وتجاوز خبثه كل حدود الدناءة والانحطاط ، ولم يتورع خيالهم عن الادعاء بأن رسول الإسلام كان فى الأصل كاردينالاً كاثوليكياً تجاهلته الكنيسة فى انتخابات البابا ، فقام بتأسيس طائفة ملحدة

هيركومر) ترجمة ثابت عيد 23-24 .

فى الشرق انتقاماً من الكنيسة واعتبرت أوروبا المسيحية محمداً المرتد الأكبر عن المسيحية الذى يحمل وزر انقسام نصف البشرية عن الديانة المسيحية [1].

- أما مارتن لوثر .1483-1546 رأس البروتستانتية فهو القائل عن القرآن الكريم : أى كتاب بغيض وفظيع وملعون هذا القرآن الملئ بالأكاذيب والخرافات والفظائع ، وهو الذى يصف الرسول ﷺ بأنه خادم العاهرات وصائد المومسات. كل ذلك ليجيش القساوسة والدهماء فى الحرب ضد الأتراك العثمانيين فيقول «على القساوسة أن يخطبوا أمام الشعب عن فظائع محمد ﷺ حتى يزداد المسيحيون عداوة له ، وأيضاً ليقوى إيمانهم بالمسيحية ولتتضاعف جسارتهم وبسالتهم فى الحرب ضد الأتراك ويضحوا بأموالهم وأنفسهم».

لقد حولت الحضارة الغربية الديانة النصرانية عن طبيعتها الصوفية وأخرجتها عن رسالتها التى وقفت عند حد « خلاص الروح ومملكة السماء » وطوعتها إلى النزعة - الصراعية الدنيوية - التى سادت نظريات وممارسات تلك الحضارة المادية فى اضطهاد الآخرين.

وكان الضيق بالآخر - كل مخالف لهم - والإنكار له والسعى فى اضطهاده واستئصاله موقفاً عاماً ومؤسسياً ينظر له القديسون ويجعلونه من مقتضيات قانون الإيمان ، ثم تنهض البابوية والكنائس بإجبار الدول والأباطرة والملوك والأمراء فضلاً عن الدهماء على شن حملات الاضطهاد والحروب والإبادة للمخالفين [2].

ولقد وضع القديس- أو غسطين - وهو أشهر آباء الكنيسة الغربية للكنيسة دستوراضطهاد المخالفين بعقوبات النفى والجلد والغرامات والإعدام ذبحاً وحرقا ، ولقد صاغ هذا المبدأ وأقامه على أساس من الكتاب المقدس مستنداً إلى كلمات قالها المسيح عليه السلام فى مثل من أمثاله التى كان يسوقها إلى حواريه إذ قال لهم ما معناه: «واجبروهم على اعتناق دينكم» فمضت الكنيسة مجاهدة لتطبيق هذا الدستور [3].

2- السابق87-88.

3- الإسلام والآخر د/ محمد عمارة 89.

1-قصة الإضطهاد الدينى د/ توفيق الطويل75 .

1- قصة الإضطهاد الدينى 80-81 .

عقيدة الخلاص والاضطهاد:-

كان الاضطهاد من أروع النتائج التى نتجت عن عقيدة الخلاص ، لأن الإيمان متى اشتد ارتفع فوق كل احتمال للجدل ، واعتقد أهله أن كل من يخالفهم فى الرأى مصيره جحيم يصلى فيه شقاءً أبدياً فالإيمان متى كان متزمتاً متعسفاً أغرى أصحابه باضطهاد كل من لا يدين بدينهم وسائر نزعاتهم [1].

وانطلاقاً من عقيدة خلاص المخالفين بتخليصهم من الحياة وتعريضهم لمختلف صنوف العذاب مهد البابا - إندست الثالث -فى سنة **1208**م لنظام محاكم التفتيش.

وفى سنة **1209**م أصدر مجلس أڤينون قراراً دعا فيه القساوسة إلى مطالبة السلطة المدنية الملوك والأمراء باستئصال المخالفين.

وفى سنة **1215**م قرر مجمع لا تران أن يُقْسم كل حاكم يطمع فى أن يكون فى عداد المؤمنين بأن يجاهد ما وسعه الجهاد ليستأصل من إقليمه من تعدهم الكنيسة مهرطقين . وصار من المبادىء العامة للكنيسة الكاثولوكية هذا المبدأ الذى يشجع على الاضطهاد «يحتفظ الحاكم بعرشه متى قام بواجبه فى استئصال الإلحاد» فإن تردد فى الاستجابة لأمر البابا باضطهاد المخالفين أكره على الطاعة وصودرت أملاكه وبيعت لأعوان الكنيسة وعرض نفسه للاعتقال والإذلال .

وأنشأ البابا جريجورى التاسع فى عهد القديس لويس التاسع ملك فرنسا محكمة التفتيش أو ديوان التحقيق سنة **1123**م، ثم جاء البابا إنوسنت الرابع سنة**1252**م ليجعل من اضهاد محاكم التفتيش هذه جزءً أصيلاً وقانونياً فى النظام الرئيسى للكيان الاجتماعى بكل دولة وإمارة ومدينة .

- وفى القرن الثالث عشر شرع الملك فريدريك الثانى قوانين للاضطهاد تقضى بإهدار دم الملحدين ومصادرة أملاكهم وإحراق كل المرتدين عن الدين المسيحى ، وحتى سجن من تاب وعاد إلى اعتناق دينه وإعدام من عاد فارتد ملحداً، ولقد توطد وشاع نظام محاكم التفتيش حتى غطى كل أنحاء العالم المسيحى بشبكة لا سبيل إلى اتقائها ، تعاون فيها وعليها الباباوات والقساوسة والرهبان والملوك والأمراء والعامة

2- الإسلام والآخر د/ محمد عمارة100 .

والدهماء ، وشهدت انجلترا فى عهد الملك هنرى الرابع وهنرى الخامس موجة من الإعدامات للمخالفين بواسطة الإجلاس على الخازوق .

وفى أسبانيا غرقت البلاد فى حمام من الدم الذى سفكته محاكم التفتيش [1] . ولقد كانت ضحايا هذه المحاكم فى أسبانيا وحدها 31,000 أحرقوا بالنار و290.000 عذبوا بعقوبات لم تبلغ حد الإعدام ، هذا إضافة إلى ملايين الرجال والنساء والأطفال الذين لقوا حتفهم عن طريق محاكم التفتيش حتى القرن السابع عشر للميلاد .

ولا يحسبن أحد أن هذه المجازر الدينية وصنوف العذاب التى مورست بإسم الخلاص الدينى كانت وقفاً على الكاثوليك وبابواتهم وكنائسهم وملوكهم وأمرائهم ، فضحايا الكاثولكية - البروتستانت -قد ما رسوا ذات الاضطهاد والاستئصال ضد الآخرين والمخالفين وضد الكاثوليك بنوع خاص .

ولقد أمرت المجتمعات البروتستانتية فى سويسرا واسكتلندا وبلجيكا وسكسونيا « إن العدالة تقضى باضطهاد وإعدام المخالفين ، وأن من تهاون من الحكام فى هذا الأمرعرض نفسه لغضب الله وسموا ذلك - قوانين الإيمان- » .

ولقد كان للنصرانية الأرثوذكسية نصيباً كبيراً من اضطهاد نصرانية الكاثوليك حدث هذا فى أثناء الحملات الصليبية الكاثوليكية لاحتلال الشرق الإسلامى ونهب ثرواته ، وإحتكار ما تدر ممالكه وأوطانه من لبن وعسل تحت شعارات الصليب وتخليص قبر المسيح ، ففى طريق هذه الحملات الزاحفة من وسط أوروبا وغربها إلى الشرق الإسلامى اجتاحت القسطنطينية وكنائسها وكاتدرائيتها فصنعت بها أسوأ مما صنعه التتار الوثنيون بعاصمة بغداد . [2] .

هكذا كان الاضطهاد للآخر فى النصرانية لم تخل منه طائفة من الطوائف المسيحية فنالت كل طائفة من مخالفيها حتى ولو كانوا نصارى ، فوجود الآخر فى نظرهم منكر وغريب سواء كان هذا الآخر مذهباً فى إطار النصرانية أم ديناً آخر مثل الإسلام .

موقف النصرانية من الإسلام

لقد كان للآخر المسلم وجوداً فى الامبراطورية البيزنطية فنال هو الآخر نصيبه من القتل والدمار ، يقول« وول ديورانت » صاحب قصة الحضارة : فلقد حدث فى هذه الأثناء رأى بعض الجنود اللاتينيين جماعة من المسلمين يصلون فى مسجد مقام فى مدينة مسيحية فثارت ثائرتهم وأشعلوا النار إلى مسافة ثلاثة أميال ، وأحالت جزءاً كبيراً من القسطنطينية إلى رماد وأنقاض [1] .

إن ما صنعته النصرانية الصليبية مع الإسلام عبر قرنين من الحملات الصليبية على قلب العالم الإسلامى 489هـ -690 هـ/ 1096-1291م .قد جاء صفحة سوداء فى هذا السجل البائس الذى جسده موقف هذه النصرانية الغربية إزاء الآخرين [2] .

فقد خرجت أوروبا عن بكرة أبيها فى تعبئة لم تشهد القرون الأولى كثافتها وولى الصليبيون الزاحفون وجوههم نحو الشرق الأوسط يحدوهم الحقد الدفين وتسيطر عليهم فكرة هى أن يستأصلوا الإسلام استئصالاً ويمحو نفوذه محواً تاماً ، فكان الصليبيون كالجزار الذى لا يعرف إلا الذبح ، أو المخمور الذى لا يحسن إلا الهزر والفوضى فكان الناس يفرون مذعورين من طريقهم كما يفر طلاب الحياة من الوباء العاصف [3] .

وليس هنا مجال لسرد تاريخ الحملات الصليبية ونتائجها ، بل نذكر بعض الحقائق والمشاهد التى تبين لنا الموقف الصليبى نحو الإسلام والمسلمين مع أننا لسنا نثير أحقاداً وإنما نذكر قومنا بما فعله بنا الصليبيون .

لقد بدأت محاولات الغزو الصليبى الحديث فى الحقيقة منذ بدايات القرن العاشر الهجرى - السادس عشر الميلادى - بعد طرد الإسلام من الأندلس ، فحين سقطت آخر دويلة إسلامية فى الأندلس وهى دويلة غرناطة 1492م . بعد معارك وحشية طويلة بارك البابا الانتصار الصليبى وشجع الصليبيين على متابعة المسلمين لطردهم من بقية بلاد الإسلام .

1- قصة الحضارة وول ديورانت 53/4 .
2- الإسلام والآخر 106 .
3-التعصب والتسامح / محمد الغزالى 190-291 بتصرف .

فقد استخدم الصليبيون كل الوسائل التى تحقق لهم أهدافهم من غزو عسكرى صريح كما حدث فى مصر والشمال الإفريقى ، والحملات التبشيرية التى مهدت لهم الطريق كما حدث وسط أفريقيا وغربها ، والتسلل التجارى الذى انقلب إلى استعمار كامل كما حدث فى الهند وأندونيسيا [1].

ويوم أن دخلوا بيت المقدس واغتصبوا القدس تلك المدينة التى جعلها المسلمون حرماً مقدساً - كمكة المكرمة - لا يجوز فيها القتال ولا سفك الدماء حفاظاً على القداسة والمقدسات فماذا فعل بها الصليبيون.

لقد خطب البابا- أوربان الثانى - مشعل الحروب الصليبية فى فرسان الإقطاع الأوروبيون ، الذين كانوا لصوصاً متوحشين وقتلة دمويين يغير بعضهم على بعض فدعاهم البابا إلى توجيه عنفهم الدموى إلى المسلمين - غير المؤمنين - وطلب منهم غسل أيديهم من الدماء الأوروبية ليس بالماء . وإنما بدماء المسلمين ، وذلك لوراثة أقاليم آسيا وخزائنها التى لا تحصى ووراثة الأرض التى تدر لبناً وعسلاً [2].

فكيف غسل هؤلاء الفرسان - اللصوص الذين حشدت البابوية أوروبا من ورائهم - أيديهم الملطخة بدماء بعضهم البعض كيف غسلوها بدماء المسلمين يصف ذلك صاحب كتاب - تاريخ الحروب المقدسة فى المشرق- مكسيموس مونروند وهو رجل دين نصرانى يقول :

«لقد كان المسلمون فى أورشليم فى اليوم الذى دخل فيه الصليبيون القدس يجدون يبحثون على مهرب يحمون به حياتهم ولأن هذه المدينة خلت من ملجأ لهم فعمدوا إلى الهروب إلى جامع عمرو - مسجد قبة الصخرة - ظانيين أنهم يحمون ذواتهم من الموت، لكن خاب ظنهم إذ أن الصليبيين خيالة ومشاة مختلطين قد دخلوا الجامع المذكور وأبادوا بحد السيف كل الموجودين هناك . حتى احتقن الدم وعلا عند بابه إلى حد الركب بل إلى حد لجم الخيل».

وقال روباروتس الراهب : إن جامع عمرو قد استوعب من الدم المحتقن فيه

1- واقعنا المعاصر / محمد قطب189 .
2- الإسلام والآخر 107 .

كفى بحر متموج وذلك مما فتكت به سيوف الجيوش الصليبية من رقاب المسلمين [1].

هذا ما حكاه شهود العيان عن تعامل النصرانية الغربية مع الآخر المسلم ، ولم يكتف الصليبيون بذلك الذى صنعوه ، وإنما اجتمع ديوان مشورتهم وقرر إبادة جميع من بقى من المسلمين وأيضاً من اليهود أى إبادة جميع المخالفين فى المدينة المقدسة فأعملوا القتل والحرق والذبح فى السكان العُزَّل أسبوعاً كاملاً حتى شمل القتل من حصل على الأمان من بعض الأمراء الصليبيين ، فتم احتكار القدس للصليبيين اللاتينيين الكاثوليك ، ونهبت كل كنوزها بما فى ذلك كنوز المساجد ، وكما يقول مؤلف كتاب (تاريخ حرب الصليب) ومنظر أورشليم استحال بغتة إلى مشهد جديد لأنها فى أيام قليلة انقلبت من ديانة إلى أخرى ومن شرائع إلى غيرها ، ومن مراسيم وعوايد إلى أخرى ومن سكان إلى غيرهم ، فالغالبون أصبحوا أغنياء بالغنائم التى امتلكوها بين أيديهم ، أما الجنود والقادة الصليبيون فقد كلت أيديهم من سفك الدماء [2].

ولقد وصفت دائرة المعارف البريطانية القدس وهى تتحدث عن دخول القائد الصليبى «جودفرى » إليها فتقول : كانت المذابح رهيبة فجرت دماء المغلوبين فى شوارع المدينة حتى ارتفع مستوى الدم ووصل إلى ركب من سار فيها ولما حل المساء اندفع الصليبيون يبكون من فرط الضحك بعد أن أتوا على نبيذ المعاصر إلى كنيسة القيامة ووضعوا أكفهم الغارقة فى الدماء على جدرانها ورددوا الصلوات .

ولم يكتف الغرب النصرانى ومن بعده من الغرب العلمانى بما أجرم فى حق الآخر . ولم يكتف كذلك بذبحه وإحراقه للآخر الإسلامى عندما غزت جحافله الصليبية قلب العالم العربى ، لم يكتف الغرب بذلك وإنما اهتبل جميع الفرص وسعى بكل السبل كى يفسد على الشرق الإسلامى حياته .

فبعد دمار بغداد656 هـ 1258م . احتل التتر تحت القيادة النصرانية دمشق والشام فقتلوا وخربوا ، وفى الجزائر قتلوا مليون شهيد .

1- الإسلام والآخر 109 .

2- الإسلام والآخر111 نقلاً عن تاريخ حرب الصليب174/1 .

لقد امتد الحقد الصليبى حتى اشتمل المسلمين فى كل مكان فقد كانوا يحفظون جنودهم « أنا ذاهب إلى طرابلس فرحاً مسروراً لأبذل دمى لسحق الأمة الملعونة لأحارب الدولة الإسلامية ، سأقاتل بكل قوتى لأمحو القرآن» .

لقد كانوا يخططون لمحو مكة والقرآن يقول أحد قادة فكرهم « إن جزيرة العرب التى هى مهد الإسلام لم تزل نذير خطر للمسيحية» .

ويقول آخر « متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربى يتدرج فى سبيل الحضارة التى لم يبعده عنها إلا محمد ﷺ وكتابه» .

ويضع لهم أحد الفلاسفة - الفيلسوف الفرنسى كيمون -الحل النهائى فيقترح أن يباد ثلثا المسلمين وينفى الثلث الثالث ، وتهدم الكعبة ، وينقل قبر الرسول ﷺ إلى متحف اللوفر .

ولنذكر بعضاً مما يتعرض له المسلمون فى سائر البلدان :

* **فى الفلبين** : يتعرض المسلمون لحرب إبادة لم يشهد لها التاريخ الحديث مثلاً ، فقد أجلاهم الصليبيون عن أراضيهم التى خصها الله بالخصب والنماء ومن يرفض يتعرض للإبادة من قبل الجيش الفلبينى الذى لم يكتفى بمجرد الحرب الشريفة بل استعمل كل وسائل الإبادة الممنوعة مثل« الغازات السامة والنابالم » ثم بعد ذلك يمثل بالجثث وينتقم من الجرحى والأطفال والنساء [1] . ولا يزال اضطهاد المسلمين فى الفلبين ثائراً لم يهدأ حتى يومنا هذا .

* فى أثيوبيا : كان أسد الحبشة يضطهد المسلمين اضطهاداً شديداً مع أنهم كانوا يمثلون أغلبية السكان حتى صارت سجون أثيوبيا مقابر للمسلمين الذين يجأرون مما هم فيه .

* **وفى أرتيريا** : تعرض الثوار المسلمون إلى مجازر بشعة قضت على الكثير منهم

* **وفى تايلاند** : أزيلت الآثار الإسلامية وهدمت المساجد ومنع المسلمون من

1- أساليب الغزو الفكرى د/ محمد على جريشة 93 .

إقامة شعائرهم الدينية وذبح الكثير من المسلمين بأيدى البوذيين . كما قامت إحدى العصابات التايلاندية فى الفترة الأخيرة بحرق إحدى قرى المسلمين كاملة [1] .

* **وفى الاتحاد السوفيتى** : نكلت الماركسية فى روسيا بالمسلمين ففى عام 1918م . أصدر« لينين » أمراً بالزحف على البلاد الإسلامية وسارت الجيوش الروسية بالدبابات والطائرات والمدافع تدمر وتحصد ما فى طريقها ، حتى تم الاستيلاء على كثير من الجمهوريات الإسلامية ولم يستطع المسلمون الوقوف فى وجه هذا الزحف الأحمر الثقيل الذى عمل على إبادة جميع من يقابله من المسلمين ، فكانت مأساة مروعة قتل فيها مئات الآلاف ونفى أكثر من ثلاثمائة ألف مسلم ومات الملايين جوعاً نتيجة استيلاء الروس على محاصيلهم وإعطائها للصليبيين ليحلوا محلهم [2] ولم تتوقف الحرب فى روسيا على الإسلام والمسلمين فإلى اليوم تشن الهجمات على الشيشان وغيرها من الجمهوريات التى انفصلت عن روسيا .

* **وفى الصين** : كان العداء واضحاً ضد المسلمين فلم يسمحوا لهم بأن يتكلموا اللغة العربية ولا أن يمارسوا الشعائر أو يقرؤا القرآن وكان الرئيس الصينى -ماو- مصدر التهديد الدائم للمسلمين فكان يقول لهم « إذا لم تندمجوا معنا سنطردكم وندمركم ، يجب أن نسحق جحور الجرذان الدنيئة وندمركم معها » [3] .

* **وفى يوغوسلافيا** : قتل الشيوعيون **24,000** مسلم بعد الحرب العالمية مباشرة ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل تزايد الهجوم على المسلمين هناك واستمر إلى أن كانت محنة البوسنة والهرسك من أبشع ما مر بالمسلمين فى التاريخ لما حدث فيها من فظائع ارتكبها وحوش الصليبية الصهيونية من قتل للآلاف وجرح عشرات الألوف وإغتصاب النساء وبقر بطون الحوامل ويكفى هنا أن أذكر مشهداً واحداً على لسان - شفارتز-عضو الحزب الديموقراطى المسيحى الحاكم فى ألمانيا وهو يروى بعض فظائع الصرب فى البوسنة التى رآها بعينه يقول :

1- السابق95 .
2- أساليب الغزو الفكرى129 .
3- الإسلام فى وجه الزحف الأحمر محمد الغزالى 60 .

- رأيت طفلاً عمره ثلاثة أشهر مجدوع الأنف مقطوع الأذن .
- رأيت صور الحبالى وقد بقرت بطونهن ومُثِّل بأجنتهن .
- رأيت صور الشيوخ والرجال قد ذبحوا من الوريد للوريد .

وهناك حادثة أبشع نشرتها الصحف كلها فى حينها : طفل رضيع أمسك به وحوش الصرب فوضعوه على النار ليشوى أمام عينى والده ثم أجبروا أباه تحت تهديد الرصاص على أن يأكل لحم طفله « فلذة كبده» ثم أطلقوا عليه الرصاص فقتلوه [1] .

* **وفى الأندلس** : تعرض المسلمون فى الأندلس لحملة تطهير واسعة فقد أصدر فرديناند وإيزابيلا أمراً ملكياً خلاصته « إنه لما كان الله قد اختارهما لتطهير مملكة غرناطة من الكفرة فإنه يحظر وجود المسلمين فيها ، فإذا كان بعضهم بها فإنه يحظر عليهم أن يتصلوا بغيرهم ، خوفاً من أن يتأخر تنصيرهم ، أو بأولئك الذين نصروا لئلا يفسدوا إيمانهم، ويعاقب المخالفون بالموت وبمصادرة الأموال» .

وفى سنة**1525**م . طلب البابا أن يسلم المسلمون كل أسلحتهم ولا يحرزوا منها شيئاً ، ومن أحرز السلاح عوقب بالجلد وأن يسجدوا فى الشوارع إذا رأوا كبير الأحبار ، وألا يقيموا شعائرهم ، وأن يغلقوا مساجدهم ، وبلغ الأمر بالملوك أن محوا بالقوة القاهرة كل آثار الإسلام وما يتصل بمظاهره فى تلك البلاد وكانت فكرة استئصال المسلمين تسيطر على عقول الأسبان فضيقوا السبل على المسلمين وأنشأوا لهم محاكم للتنكيل بهم فى غرناطة ، وقد كانت أساليب المحكمة قاسية ومزعجة حتى لقد ابتدع الإعدام للمخالف فى المحارق التى كانت تقام فى ساحات المدينة وتلقى فيها الأجسام البشرية أكداساً فى حفلات خاصة يشهدها جموع الشعب ورجال الحكم والدين، وكانت عصابات النصرانية المتحمسة تمعن التقتيل والنهب والتعذيب والتشريد للمسلمين : يقول «يوسف كوندى» أحد مؤرخى الفرنجة : «فغدوا إزاء الإرهاب الذى يخضعهم لصولة مطاريدهم ، وما منهم إلا مسكين منكود ، وكانت مناظر المحارق فى غرناطة وقرطبة وأشبيلية ، وأنين النفوس التى تلتهمها النيران تباعاً ، ومناظر المطاردة والنفى والتعذيب المستمر ، تملأ نفوسهم رعباً

1- دروس مستفادة من محنة البوسنة والهرسك 10-11 .

2- العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين د/ بدران أبو العينين 330 وما بعدها

وتحول دون إبدائهم التذمر بالقول أو بالإشارة . [2].

بهذه الوسائل القاسية لم يبق فى الأندلس مسلم ، أو من يستطيع الجهر بأنه مسلم وتنصر العرب الباقون هناك جميعاً ، وقاموا بالطقوس والأوضاع التى فرضتها النصرانية فى الكنائس والمعابد.

* وفى بلغاريا : كانت الحكومة البلغارية مصممة ومستمرة فى تنفيذ مخطط التنصير الماركسى ضد المسلمين فقاموا بإجبار المعلمين على تغيير أسمائهم الإسلامية لو أرادوا العمل، وفى كثير من مناطق المسلمين حطموا المساجد ومنعوا الشباب والشيوخ من دخولها وحوصرت بعض القرى بالدبابات والعربات المصفحة ونقل بعض أهلها إلى السجون فمنهم من قتل ومنهم من أعدم .

ولم تقف الأعمال الإجرامية ضد الإسلام والمسلمين فى الغرب عند هذا الحد بل اتسع نطاقها ليشمل المساجد ، ولأن المساجد هى العلامة الظاهرة للوجود الإسلامى فى أى مكان فقد نا لها الكثير من الاعتداءات وبخاصة فى البلاد الغربية حيث تنتشر الكراهية ضد الإسلام [1]. وتضاعفت تلك الاعتداءات على المساجد بعد حادث الحادى عشر من سبتمبر الشهير11/ 9 / 2001 انتقاماً من المسلمين الذين أدانوا ذلك الحادث الإرهابى .

والحقيقة أن الاعتداء على المساجد قديم جداً ففى أسبانيا حولوا المساجد إلى كنائس، وكذلك فى الجزائر حولها الفرنسيون إلى كنائس أثناء الغزو الفرنسى لها .

* وفى مصر : دنست أقدام الفرنسيين المساجد حتى الجامع الأزهر جعلوه اصطبلاً للخيول بعد أن عاثوا فيه فساداً.

وعلى الرغم من صدور القوانيين التى تحمى المساجد وتجريم الاعتداء عليها فى البلدان الغربية ، إلا أن الاعتداءات لم تنقطع منذ دخول الإسلام تلك البلاد وإلى عصرنا الحاضر .

1- يراجع فى ذلك كتاب مرض كراهية الإسلام - إسلاموفوبيا - الصادر ضمن سلسلة كتاب الجمهورية بمصر فى أغسطس2003 للدكتور أحمد عبد الرحمن ففيه وصف كافى لما يتعرض له الإسلام ومدى ما يحمله غير المسلمين للمسلمين من كراهية .

وفيما يلى جملة من تلك الاعتداءات التى وقعت على المقدسات الإسلامية قبل وبعد الحادى عشر من سبتمبر2001م:

* ففى فرنسا فى1997/3/17م انفجرت قنبلة فى ساعة مبكرة فى مسجد الدعوة بشمال شرق العاصمة الفرنسية باريس: فأحدثت به أضراراً كبيرة، كما تعرض أيضاً مسجد فى بوردى بارك جنوب البلاد إلى حريق هائل حيث أشعل العنصريون النار فيه ليلاً بعد ثلاثة أشهر من افتتاحه وذلك قبل حادث 11 / 9 / 2001 بشهرين [1].

* وفى بلجراد: تعرض المسجد الكبير فيها للاعتداء أكثر من مرة خلال شهر واحد ففى 1996/3/30م. قام شاب صربى باقتحام المسجد وهدد المسلمين بمسدسه ثم ألقى قنبلة يدوية أصابت أحد المصلين، ثم تعرض نفس المسجد لانفجار هائل كاد أن يدمره فى 15 / 4 / 1996م.

* وفى بريطانيا: تعرض المركز الثقافى الإسلامى والمسجد التابع له للاعتداء فى2000/5/4م. وبعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر2001م. هاجمته العنصرية الكامنة لدى البريطانيين حتى دعا بعضهم صراحة إلى قتل المسلمين وحرق مساجدهم.

* وفى أمريكا: طالب كاتب عنصرى متعصب يدعى «ريتش لورى» فى مجلة «ناشيونال ريفيو» بضرب مكة المكرمة والمسجد الحرام بقنبلة نووية، وفى 2002/3/25م. اقتحم سائق عنصرى مسجداً فى فلوريدا بشاحنته وفيها أيضاً أعد طبيب ترسانة ضخمة من المتفجرات والأسلحة لنسف خمسين مسجداً، وكان يقول لا بد من الاستعداد لتصفية المسلمين جسدياً.

* وفى استراليا: وبعد عشرة أيام من حادث الحادى عشر من سبتمبر فى 2001/9/22 دمر حريقاً هائلاً متعمداً مسجداً فى بريسبن شمال شرق البلاد وفى أكتوبر2002م وقع أكثر من أربعين اعتداء على المسلمين.

* وفى الأرجنتين: وقع هجوم بالقنابل على أحد المساجد فى حى فلوريستا فى 200/1/20م.

1- مرض كراهية الإسلام د/ أحمد عبد الرحمن 55/1 وما بعدها بتصرف.

* وفي مصر :حاولت إحدى القنوات الفضائية الغربية تشوية صورة المساجد بها والاستهزاء بقداستها لدى المسلمين، فعمدت إلى عرض شريط مسجل لمسجد أحمد بن طولون بالقاهرة ودمجت معه مغنية ترقص شبيه عارية وكأنها ترقص داخل المسجد .

وتعد هذه الاعتداءات التى وقعت على مدار السنين قبل وبعد الحادى عشر من سبتمبر أعظم دليل على انتشار مرض كراهية الإسلام أو-الإسلاموفوبيا - فى معظم البلدان الغربية وغيرها .

وإضافة إلى هذه الجرائم ضد مقدسات المسلمين نجد جرائم أخرى نسميها بـ - جرائم الكراهية الفردية- قام بها أفراد غربيون ضد المسلمين فى أمريكا وأوروبا نذكر منها أيضاً الآتى :-

* فى الصومال :ما اقترفه الجنود الإيطاليون ضمن قوات حفظ السلام فى الصومال من أعمال القتل والتعذيب التى راح ضحيتها بعض الصوماليين الأبرياء الضعفاء والعزل من كل سلاح ، فقد نشرت جريدة الأهرام فى **1997/6/30**م . صورة لجنديين إيطاليين يشويان طفلاً صومالياً على ألسنة النار المشتعلة وذكرت الجريدة أن الجنود كانوا يجبرون الناس على شرب الماء المالح وأكل القىء الذى يسببه شرب الماء المالح وأكل الديدان أيضا وقتل الكثير منهم .

* وفى البوسنة : قام الجنود الكنديون من قوات حفظ السلام بالاعتداء على المرضى والممرضات كما تآمرت الفرقة الفرنسية العاملة هناك ضمن قوات حفظ السلام مع المجرمين الصرب لاغتيال أحد كبار المسئولين المسلمين الذين كانوا فى حمايتها . [1] .

ومن الجرائم التى ترتكبها السلطات الفرنسية ضد المغاربة المهاجرين إليها وذلك عن طريق تشغيل **30,000** ألفاً منهم فى المفاعلات النووية التى تولد الكهرباء وهى تعلم أنهم يتعرضون لجرعات عالية من الإشعاع الذى سيقضى إلى إصابتهم بأمراض مهلكة ثم إلى الموت .

1- مرض كراهية الإسلام د/ أحمد عبد الرحمن 66/1.

* وفى بروكسل : قتل بلجيكى عنصرى متطرف رجلاً مغربياً وزوجته فى 2002/5/6م وجرح اثنين من أولادهم بإطلاق النار عليهم فى شقتهم ثم أشعل النار فى الشقة وبررت الشرطة هذا الفعل بأن هذا الرجل مسلح مرتزق ينتمى إلى اليمين المتطرف الذى يكره الأجانب والعرب والمسلمين بنوع خاص .

* وفى ألمانيا فى إبريل 1977م . أضرمت النيران عمداً فى بيوت الأتراك المهاجرين الذين اكتسبوا الجنسية الألمانية وكان الجناة من العنصريين الألمان [1] .

هذا قليل من كثير مما يرتكبه الغرب المتحضر - أفراد العالم الأول - الذين يريدون من العالم كله أن يلقدهم وأن يتبعهم ، فهل يقبل أهل الحضارة والمدنية والتقدم - كما يدعون - هل يقبل من دعاة الحرية الشخصية والدينية ومن المدافعين عن حقوق الإنسان أن يقوموا بمثل هذه الأعمال الهجمية والموغلة فى الوحشية ضد الآخر وبخاصة الآخر المسلم . . . ؟؟

وفى النهاية أقول ...

لابد من إيجاد حل فورى لإنهاء الصراع السائد والاضطهاد الدائم للمسلمين وكفى ما تعرض له المسلمون على مر العصور ، فالمأساة التى تعرض لها المسلمون على أيدى الصليبيين وغيرهم أجل من أن تكتب فى صفحات كما قلنا من قبل لكننا اكتفينا بالإشارة ونطلب من القارىء الغيور على دينه بل نلح عليه أن يقرأ المزيد والمزيد ليعلم عدوه يأخذ حذره .

وأن يضع نصب عينيه قول الله سبحانه : ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ صدق الله العظيم

[التوبة: 8]

2-مرض كراهية الإسلام د/ أحمد عبد الرحمن 67/1.

الفصل الرابع

التسامح الإسلامى والحوار بين الأديان

★ الإسلام دين التسامح والحوار.

★ ضرورة الحوار الدينى.

★ المنهج العلمى للحوار فى الإسلام.

★ الأساس النظرى للحوار مع الآخر فى الإسلام.

★ الحوار بين الأديان فى نظر الإسلام.

★ الحوار مع المؤسسات الدينية العالمية.

★ الحوار الإسلامى المسيحى.

★ الحوار الإسلامى اليهودى.

الإسلام دين التسامح والحوار

هناك من يزعم بأن الإسلام ضد الحوار ولا يدعو إليه ، وهذه دعاوى باطلة وظالمة ، لأن الإسلام هو دين التسامح ، وهو دين يدين التعصب والتطرف ويدعو بالمقابل إلى الحوار والجدال المتسامح الذى يقبل الرأى الآخر ويناقشه بالتى هى أحسن ، فاحترام الرأى الآخر يعتبر من الدعائم القوية لتقريب الشقة بين المتحاورين وتقليل حدة الخلاف بينهما ، فالموقف المتسامح ينتج عنه دوماً حوار هادىء وفعال .

وإذا كان التسامح مع غير المسلم من مرتكزات الإسلام الحضارية ، الدالة على النظرة الانفتاحية التى تجسدها الديانة الإسلامية ، فإن فتح أبواب الحوار معه ، وتأسيس سبل التفاهم والتعايش ، يعتبر من الضرورات الأساسية التى تتطلبها المتغيرات الحديثة ، ويبقى هذا النوع من الحوار بين الإسلام وغيره من الديانات السموية مفتوحًا وشاملاً ، لا يستبعد منه إلا الشرك الذى ليس موضوع نقاش أو جدال كما قال الحق سبحانه : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران : 64]

وإذا كان الاختلاف بين الناس ضرورة من ضرورات الحياة ، فإن من حق كل منهم على الآخر أن يحاوره وأن يستمع إليه ، لأن الحوار فى معناه الصحيح لا يقوم ولا يؤدى إلى الهدف المنشود إلا إذا كان هناك احترام متبادل بين أطراف الحوار ، واحترام كل جانب لوجهة نظر الجانب الآخر ، وبهذا المعنى فإن الحوار يعنى التسامح واحترام حرية الآخرين (التسامح الفكرى) ، واحترام الرأى الآخر لا يعنى بالضرورة القبول به ، وليس الهدف من الحوار مجرد فك الاشتباك بين الآراء المختلفة ، أو تحييد كل طرف إزاء الطرف الآخر ، وإنما هدفه الأكبر هو إثراء الفكر ، وترسيخ قيمة التسامح بين الناس وتمهيد الطريق للتعاون المثمر فيما يعود على جميع الأطراف بالخير ، وذلك بالبحث عن القواسم المشتركة التى تشكل الأساس المتين للتعاون والبناء بين الأمم والشعوب والحوار بهذا المعنى يعد قيمة حضارية ينبغى الحرص عليها والتمسك بها وإشاعتها على جميع المستويات .

ولا جدال فى أن الحوار قد أصبح فى عصرنا الحاضر أكثر إلحاحًا من أى وقت مضى، بل أصبح ضرورة من ضرورات العصر ليس فقط على مستوى الأفراد والجماعات، وإنما على مستوى العلاقات بين الأمم والشعوب المختلفة، إذ ليس هناك من سبيل إلى حل المشكلات وتجنب النزاعات إلا من خلال الحوار. ومن منطلق الأهمية البالغة للتعارف والتقارب بين الأمم والشعوب والحضارات والأديان، على الرغم من الاختلاف فيما بينها كانت دعوة الإسلام إلى الحوار بين الأديان وذلك لما للأديان من تأثير عميق فى النفوس، ويعد الإسلام أول دين يوجه هذه الدعوة واضحة صريحة قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 64]

هذا ولم يكتف القرآن بمجرد الدعوة للحوار بين الأديان، بل رسم المنهج الذى ينبغى اتباعه فى مثل هذا الحوار يقول تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ.....﴾ [العنكبوت: 46]، وقوله سبحانه: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾ [النحل: 125]

ولقد كان النبى ﷺ ألين الناس وألطفهم فى مخاطبة خصومه ملتزمًا بالهدى الربانى فى اتخاذ أحسن الأساليب فى الحوار، والإقناع بالحجة والبرهان.

وأحب أن أقول: أن علاقات التحاور والتفاهم بين الإسلام وغيره من الأديان لا يمكن أن تتم بوضوح، مادامت هناك اتهامات موجهة بالدعوة إلى استخدام العنف ضد الإسلام والمسلمين من سائر الأديان عن طريق الحملات العسكرية، أو عن طريق الحملات الاستشراقية، والغزو الفكرى، والإعلامى، الذى يعمل جاهدًا على تشويه الصورة المثلى للإسلام فى مختلف وسائل الإعلام الغربية.

لذا فإن الدعوة إلى حوار فعّال وبنّاء بين المسلمين وغير المسلمين لا يمكن أن يستقيم دون سابق وعىٍ من غير المسلمين بطبيعة الدين الإسلامى وسلامة توجهه من كل عدوانية أو عنف أو إرهاب، أو غير ذلك من الإسقاطات التى طالما عانى منها الجسم الإسلامى فى السنوات الأخيرة، فالإسلام دين التفاهم والتعايش، وروحه

السمحة والمرنة تنسجم أتم الانسجام مع مبدأ الحوار ومجادلة الآخر وفق شروط معينة وضوابط مقررة لا تسمح بالتنازل عن أدنى مبدأ من مبادىء ديننا الحنيف.

فإذا أردنا نحن المسلمين أن نصل إلى إقناع الطرف الآخر بديننا وقضايانا فعلينا أولاً أن نحاور أنفسنا، وأن نتعرف على ضعفنا وعجزنا، ومشكلاتنا ونعمل على علاجها وإلا استخف بنا الطرف الآخر فى الحوار وتعامل معنا من برج عاجى إنه ينبغى أن نكشف عن عيوبنا بصراحة، وأن نواجه أنفسنا أولاً بالحقائق وأن نكتشف ذاتنا حتى قبل أن نحاول اكتشاف خصمنا، فبضاعتنا الفكرية للأسف لا تزال إلى حد كبير غير ملائمة للذوق الغربى، كما أن عدد القادرين من بيننا على إجراء الحوار بتقنياته ومهاراته المعقدة قليل جداً...

فلنعد للأمر عدته ولنبنى أنفسنا من الداخل كى نصلح ما فسد ونستطيع السير فى طريق الحوار المثمر مع الآخر.

ضرورة الحوار الدينى

إن النظر فى واقع النظام العالمى القائم وأصوله ورءوس مستقبله يوصل إلى الشك فى قدرته على أن يثمر تعاونًا دوليًا لحل مشكلات عالمنا، ويوضح أن هناك مسببات توتر توجد فى ظل هذا النظام، هى الاستعمار، والاستعلاء العنصرى والاستغلال الطبقى، والتعصب الدينى، والصراع العقيدى، والإرهاب الرسمى، وغير الرسمى وأن وراء هذه المسببات أزمة قيم تفعل فعلها فى هذا النظام يجرى فيها إنكار الغير، وعدم التسليم باختلافه، والكيل بكيلين، وتسلط فكرة القوة الغاشمة، والمصلحة المتأثرة، بدلاً من الحق والعدل، وتحكم فكرة الصراع بدلاً من التعارف والتعاون، واعتبار الطبيعة عدوًا للإنسان يصارعه ويقهره، وينتهى هذا النظر فى واقع النظام العالمى إلى ملاحظة أن الاحساس بالأخطار الناجمة عن أزمة القيم هذه أصبح قويًا فى عالمنا بعدأن هددت الجميع وأنذرت بفتنة لا تصيبن الذين ظلموا خاصة.

كما أن النجاح فى معالجة هذه القضايا يقتضى العمل لإقامة نظام عالمى يعتمد على القيم العلا، والمبادىء الأخلاقية فبهما يتحقق السلام ويسود النظام.

وبذلك يتبين لنا أهمية كل من العقيدة، والانتماء القومى والحضارى فى التعامل مع قضايا العصر، كما تبين أن هناك دورًا ينتظر الحضارة الإسلامية كى تقوم بالإسهام فى صنع الاستجابة الصحيحة لتحديات العصر ومعالجة مشكلات عالمنا لأن عدم التصدى لمعالجة تلك القضايا، واستمرار النظام العالمى الحالى سيعنى سيادة علاقات التبعية، مما يؤدى إلى أن يشهد عالمنا تفاعلات ضمن نظام التوتر والردع، تتحول إلى تفاعلات ضمن نظام العنف والحرب.

إذًا فلا بديل أمام أمتنا والأمم الأخرى التى تعانى من سوء النظام العالمى الحالى من أن تحشد كل طاقاتها لإقامة نظام عالمى جديد يعتمد القيم العلا والمبادىء الأخلاقية مع المصلحة، ويحقق تواؤم الإنسان مع نفسه ومجتمعه وبيئته.

من هنا أصبحت قضية الحوار فى عالم اليوم من القضايا الملحة على جميع المستويات، فمن خلال عملية الحوار نستطيع أن نجد الحلول المناسبة لكل هذه المشكلات التى تحيط بعالمنا المعاصر.

فالحوار أصبح ضرورة من ضرورات العصر للتغلب على المشكلات الواقعية فى عالمنا، والقضايا الدينية تعد جزءًا لا يتجزأ من تلك المشكلات، بل تعد القضايا الدينية فى كثير من الأحوال بمثابة الخلفية لبقية المشكلات، لما للدين من تأثير عميق فى نفوس الناس[1].

وهكذا كان الحال فى السابق ولايزال رغم ما نراه فى كل مكان من مظاهر علمانية فى الشرق والغرب، أو تصريحات سياسية تنكر هذه الحقيقة.

كما أن الحوار الدينى يعد أيضًا جزءًا لا يتجزأ من الحوار بين الحضارات، إذ أن الحضارات فى كل مكان تقوم أساسًا على قاعدة من الدين، ويعد الدين حتى اليوم فى نظر كتاب معاصرين فى الغرب أحد المكونات الرئيسية لأى حضارة بالإضافة إلى اللغة والتاريخ.

ومن هنا فلا يمكن عزل الحوار الدينى عن ألوان الحوارات الأخرى، لأنه يتشابك معها بطريقة أو بأخرى تشابكًا ظاهرًا أو خفيًا أردنا أم لم نرد.

وقد أكد هذه الحقيقة أحد علماء الأديان المعاصرين المستنيرين فى ألمانيا وهو الأستاذ ـ هانزكونج ـ بقوله: «لن يكون هناك سلام فى العالم بدون أن يكون هناك سلام بين الأديان، ولن يكون هناك سلام بين الأديان بدون أن يكون هناك حوار بين الأديان».

وإذا كان عالمنا اليوم يتجه إلى الحوار على المستويات الأخرى ـ سياسية ـ حضارية ـ اقتصادية ـ اجتماعية ـ وغيرها فمن باب أولى ينبغى أن يكون هناك حوار على المستوى الدينى بهدف القضاء على الكثير من مظاهر الصراعات التى تلعب فيها العقيدة الدينية دورًا خطيرًا.

فقد كانت الحروب الصليبية التى شهدناها فى الماضى ترفع شعار الدين، واليوم نشهد حروبًا مظهرها عرقى، أو اقتصادى، أو غير ذلك من مسميات ولكن خلفيتها دينية بالدرجة الأولى وإن أنكر البعض ذلك[2].

1- الإسلام والغرب، د/ محمود زقزوق 91. ط المجلس الأعلي للشئون الإسلامية 1424 هـ عدد101

2- الإسلام والغرب 92.

إن الحوار بين الإسلام وغيره من الأديان يمكن فى حالة نجاحه أن يخلق جو من الثقة يخلخل التمسك الجامد بالأحكام المسبقة، والمواقف المنحازة والضارة، وبذلك ينفتح الباب أمام النظر إلى الحقائق بتجرد ودون عوائق.

والإسلام حين يدعوا إلى الحوار، فإنه يدعوا فى الوقت نفسه إلى التضامن العالمى بين كل الشعوب، حتى تستطيع أن تتحمل معًا المسئولية عن هذا العالم[1].

فبالحوار تستطيع الشعوب أن يتعرف كل منها على الآخر، وأن يثرى بعضها بعضًا عن طريق التبادل الحضارى، والثقافى، فلا يستطيع الفكر التقليدى المتحجر ولا الفكر العصرى الداعى إلى التخلص تمامًا من كل الموروثات الدينية والثقافية أن يقدم شيئًا يفيد فى الخروج من المأزق الراهن.

ومن هنا يظل الحوار العاقل هو الطريق الأمثل من أجل التوصل إلى حل للمشكلات الراهنة، وفى الوقت نفسه من أجل تمهيد السبيل أمام النظرة المستقبلية المتفائلة، وإزالة كل العقبات التى تعترض هذا السبيل.

1- الإسلام وقضايا الحوار د/ محمود زقزوق 45.

المنهج العلمي للحوار في الإسلام، شروط الحوار

إذا كان الحوار هو وسيلة التعارف الذى أمر الله به الشعوب والقبائل، وبالتعبير الحديث أمر الله به الدول والممالك فى شتى بقاع العالم، فلابد وأن يكون لهذا الحوار منهجًا علميًا يقوم عليه حتى لا تسوده الهمجية فيفسد ولا يؤتى ثمرته المرجوة.

من هنا حدد القرآن الكريم أسلوب الحوار ومنهجه فى نقاط واضحة حاسمة لا تقبل التأويل يقول تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ...﴾ [النحل: 125]. وفيما يلى البيان: -

- فأول ما يجب الاتصاف به فى الحوار الدينى هو الحكمة، والحكمة تشتمل على معانى عدة منها الرشاد، والعدل، والتفقه فى الدين، والالتزام بالموضوعية، وقبول الحق، والتسليم به، وغير ذلك.. وكلها أمور لابد لمن يتصدى للحوار أن يلتزم بها، فلابد للمحاور أن يكتمل له الرشد - وهو العقل - إذ لا يجوز أن يتصدى للحوار إنسان غير راشد لا يدرك طبيعة الموضوع الذى يتحاور فيه، وأن يكون عادلاً فلا تأخذه شهوة التغلب والسيطرة، والتعصب للرأى أو الفكر، أو التقليد الأعمى، أو الانقياد إلى الهوى والرغبة فى تحقيق منافع شخصية، أو الطموح إلى الشهرة.. إلى غير ذلك من الأسباب التى تجعله يخالف الحق الصريح الذى يلوح له ويظهر أمامه، وتجعل الحوار لا فائدة منه بل على العكس تكون النتيجة أن يزداد الخلاف وتتسع الفجوة بين المتحاورين وتتباعد المسافات وتنشأ الصراعات وتحدث الصدامات، ولكن لو تجرد أطراف الحوار من التعصب للرأى، واحترام كل طرف رأى الطرف الآخر وتم إفساح المجال أمام كل طرف كى يعبر عن وجهة نظره دون مصادرة لقوله، أو توجيه إساءة له مع الرغبة الأكيدة الصادقة لكل طرف فى الوصول إلى الحقيقة والتزم الجميع بالحكمة التى تقول: «رأيى صواب يحتمل الخطأ، ورأى غيرى خطأ يحتمل الصواب، ونتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه» لنجح الحوار وتحققت غايته.

- ومما يلزم المتحاور، التفقه والعلم بأمور الدين، وبموضوع الحوار، لأن الحماسة وحدها لا تكفى لتحقيق حوار عادل، يعتمد على الأدلة القوية والبراهين

الناصعة والمعلومات الوافية عن الموضوع، والإلمام الكامل بها، وأن يقدم كل طرف الدليل الذى يؤيد رأيه[1] مع الالتزام بموضوع الحوار، وعدم الخروج عنه عند المناقشة وتبادل الآراء فيه بين المتحاورين حتى لا تضيع الحقيقة، ويتشتت الفكر وتتشعب المسائل، فالحوار يقتضى أن تكون هناك قضية يتحاور الجانبان بشأنها ولابد فى هذه الحالة أن تحدد بدقة عناصر القضية حتى لا يكون الحوار دائراً فى حلقة مفرغة مثل حوار «الطرشان» كل يتحدث بلغة مختلفة، وبمفاهيم مختلفة لا تربط بينهما أرضية مشتركة، ويتطلب الأمر أيضًا تحديداً واضحًا لأهداف الحوار حتى تكون الأهداف دليل المتحاورين ولا يحيد عنها طرف من الأطراف، ولا يجوز التقليل من أهمية هذا التحديد الواضح للأهداف، إذ بدونه سنجد كل طرف يغنى على ليلاه، الأمر الذى يبعد المتحاورين عن إمكان الوصول إلى شىء مفيد[2].

- ومن الأمور اللازمة للمتحاورين أن يكون الجدال بالتى هى أحسن وذلك امتثالاً لأمر الله جل وعلا فى قوله: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ...﴾ [العنكبوت:46]، ونلاحظ أن القرآن لم يطلب الحسن فى الحوار أو الجدال، وإنما طلب الأحسن أى أرقى وأفضل طريقة فى الجدال وذلك لما يحويه الجدل من شدة فى الخصومة ومن تعنت وتعصب، ولأن النفس البشرية لها كبرياءها وعنادها، فهى لاتبعد عن الرأى الذى تدافع عنه إلا بالرفق، حتى لا تشعر بالهزيمة[3].

من هنا كان الجدال بالحسنى هو الذى يطمئن النفس من هذه الكبرياء والحساسية، ويشعر المحاور أن ذاته مصونة وقيمته كريمة، وأن الداعى لا يقصد إلا كشف الحقيقة فى ذاتها والإهتداء إليها فى سبيل الله لا فى سبيل ذاته ونصرة رأيه وهزيمة الرأى الآخر[4].

- ويتعين أن يكون لدى أطراف الحوار النية الخالصة، والرغبة الأكيدة فى الوصول إلى الحقيقة ومعرفة الصواب فى الموضوع محل الحوار، وفى قبول الحق والتسليم به متى ثبت بالدليل الواضح، والبرهان الساطع والحجة القوية السليمة،

1- المنهج العلمي للحوار في الإسلام، فوزي الزفزاف، مجلة الأزهر عدد ذو الحجة 1414 هـ صـ 1936.
2- الإسلام والغرب د/ محمود زقزوق 93.
3- مناهج البحث العلمي وأدب الحوار والمناظرة د/ فرج الله عبد الباري 133 بتصرف.
4- في ظلال القرآن 2202/4.

حتى ولو كان إظهار الحق على يد الطرف الآخر، وإلا كانت المحاورة عبثًا لا يليق بالعقلاء أن يمارسوه.

- ويجب أن ينأى الحوار بين الأديان عن استهداف التوحيد العقائدى، وهذا يعنى ألا ينشغل الحوار بمبدأ الاختلاف، ومبدأ حرية الاختيار ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: 6]، أما أمر المحاسبة على الاعتقاد والأعمال على السواء فليس مسئولية المتحاورين، وإنما مرجعه إلى الله تعالى.

- لابد وأن يكون كلام المحاور خاليًا وبعيدًا عن التعارض والتناقض، فالكلام إذا ناقض بعضه بعضًا أو عارض بعضه بعضًا، كان ساقطًا لا تقوم به حجة [1].

- جعل الأصول والأركان المتفق عليها بين الأديان، كعبادة الله وحده، وتقديم فروض الطاعة، وتقدير الأنبياء وعدم الحط من شأنهم والاعتراف بالصحيح المثبت من شرائعهم، مع إعطائهم المرتبة الأولى التى يرتكز عليها الحوار من خلال أفعالهم وأقوالهم، والبعد عن تأويل أقوالهم بما لا يخدم لغة الحوار السليمة المتطلعة إلى خدمة الإنسانية للتعايش بمحبة وسلام، وهذا يعنى اعترافًا متبادلاً بين الأديان برسلها وكتبها المقدسة، وأن يحافظ على مشاعر وأحاسيس وكرامة من يحاوره فلا يوبخ بالكلام المباشر، وإنما يكون الكلام بطريقة التلميح والتعريض، وأن يقتدى بالنبى ﷺ فى قوله: **«نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم وأن نكلم الناس على قدر عقولهم»** [2].

- ويضاف إلى ذلك ضرورة أن يكون هناك مناخ مناسب للحوار، ينأى عن الأحكام المسبقة، والمفاهيم المغلوطة، ويتحرر من العقد النفسية، سواء كان ذلك يتمثل فى عقدة التفوق فى جانب، أومركب النقص فى جانب آخر، فالنظرات الاستعلائية خطرها لا يقل فى أى حوار عن خطر الشعور بالدونية، فأى حوار يراد له النجاح لا يجوز أن تكون غايته العمل على إلغاء الآخر، أو استبعاده أو التقليل منه، أو الادعاء باحتكار الحق دون الآخر [3].

1- مناهج البحث العلمي وآداب الحوار والمناظرة د/ فرج الله عبد الباري 137.

2- رواه ابن حبان عن أبي هريرة.

3- الإسلام والغرب د/ محمود زقزوق 94.

ويمكن القول بأن الحوار الدينى بالمعنى الحقيقى لهذا المفهوم لابد أن ينطلق بالإضافة إلى ما تقدم من الاحترام المتبادل، والمساواة التامة بين الطرفين ومن نظرة إنسانية شاملة تقوم على احترام الكرامة الإنسانية، ووحدة الجنس البشرى، وانتفاء الأنانية، والفهم المتبادل، بمعنى التسليم بحق كل طرف فى أن يكون مفهومًا من الطرف الآخر دون أى لون من ألوان التشويه والتزييف[1].

وبعد هذه المسلمات ينبغى أن تقوم بالحوار تلك القيادات التى تقود قطاعات الدولة والمجتمع على اختلاف أهدافها ومستوياتها كالقيادات الدينية، والأمنية والسياسية والاجتماعية، والاقتصادية وغيرها...

1- الحوار بين الأديان د/ وليم سليمان 36.

الأساس النظرى للحوار مع الآخر فى الإسلام

توفر العقيدة الإسلامية أساسًا قويًا للحوار مع الأديان بعامة، وبين بنى الإنسان فى مختلف الموضوعات، يكون الانطلاق منه إلى مباشرة الحوار، فالإسلام يعتبر أن مبدأ الاختلاف بين الناس هو أحد سنن الله فى الكون، وهو واقع بمشيئته تعالى ويرتبط هذا المبدأ بمبدأ الحق فى الاختيار فلا إكراه فى الدين، والإسلام يقرر أن الله خلق الناس من ذكر وأنثى وجعلهم شعوبًا وقبائل، وأمرهم بالتعارف، ودعاهم إلى التعاون على البر والتقوى، وقد باشر النبى ﷺ الحوار بهذا الأساس مع اليهود والنصارى فكانت صحيفته التى عقدها مع اليهود فى المدينة، تتضمن أساس التعايش والتعاون ومشجعه على استمرار الحوار، ومنذ ذلك الحين والحوار متصل بين أتباع الديانات فى دائرة الحضارة العربية الإسلامية ينشط أحيانًا ويفتر أحيانًا وهذا الأساس العقيدى للحوار هو خير موجه للتفكير فيما ينبغى أن يكون عليه هذا الحوار فى بُعده الفكرى الذى يحدده العقل الإنسانى على هدى من الوحى.

أهداف الحوار مع الآخر من منظور إسلامى:

إن الأهداف العامة للحوار مع الآخر هى الوصول إلى كلمة سواء فى مواجهة الطغيان وعمل الصالحات ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ....﴾ [آل عمران: 64]. ويعتبر هدف ـ التعارف ـ من الأهداف التى لها أولوية فى الحوار فمن خلاله يتحقق معرفة الآخر على حقيقته، وتصحح الصورة الذهنية الحافلة بركام من الأحكام المسبوقة وسوء الفهم.

ومن أهداف الحوار التعاون على البر والتقوى من خلال النظر فى الأمور الحيوية التى تعود بالخير على طرفى الحوار ومن يمثلونهم وما يلزمها من الجهر بالحق فى المسائل والأمور التى تهم الناس.

الحوار بين الأديان في نظر الإسلام

بيّن لنا القرآن الكريم أن الأديان المختلفة كل منها يسلك سبيلاً مختلفًا عن الآخر، ولكنها تسعى جميعًا إلى هدف واحد ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ...﴾ [المائدة: 48]، ولقد جعل الناس من اختلاف الأديان، والثقافات، والأعراق منطلقًا للنزاعات والصراعات من أجل السلطة والاستعلاء والسيطرة بالقوة.

أما الإسلام فقد دعا - بالرغم من الاختلاف بين الناس - إلى التعارف والتآخي والتآلف يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا...﴾ [الحجرات: 13]. وذلك لأن التعرف على الآخر مع اختلاف أشكالهم ومشاربهم واتجاهاتهم توسع أفقنا، وتتيح لنا فهمًا أفضل لإنسانيتنا، وتؤهلنا هذه المعرفة للتعاون الخلاق مع الآخرين وتدفع إلى التسامح التام، والاستعداد للتفهم أي أن المعرفة تؤهل للحوار.

ولقد علم الإسلام الفرد والجماعة الانفتاح على الدنيا، وجعل الحوار هو الوسيلة التي تساعد الإنسان على النهوض بمسؤلياته.

وبما أن الإسلام قد اعترف بكل الأديان السماوية السابقة له وجعل ذلك من عناصر الإيمان لدى كل مسلم يقول تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ [البقرة: 285] بهذا الاعتراف كان الإسلام سباقًا إلى الدعوة إلى الحوار والتفاهم مع الآخر بقوله سبحانه: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: 64] وحدد كذلك المنهج الذي ينبغي أن يسير عليه الحوار مع الآخر حتى تتصل حلقاته بما قبله من أديان فقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 46].

ولقد أمر الإسلام أهله بالتعايش السلمي الإيجابي مع غيرهم من الشعوب والأمم وذلك بالإحسان إليها في المعاملة، والتعاون معها على البر والتقوى، هذا إذا لم يكن هناك عدوان يقول تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: 8]. أما إن كان هناك عدوان فقد شرع لأهله رد العدوان والدفاع عن النفس يقول

تعالى: ﴿ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: 194].

ولقد جعل القرآن الكريم معيار التفاضل بين الناس أمام الله تعالى ـ أيًا كانت انتماءاتهم الدينية والعرقية ـ درجة التقوى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: 13]. والتقوى هذه هى التى تجعل الإنسان قادرًا على الدخول فى حوار مع الآخر، وهى التى تتيح له أن يكون إنسانًا منفتحًا على الآخر ساعيًا إلى تحقيق الخير وإقامة العدل والسلام بين الناس[1].

والسلام والأمان هدفان يسعى الإسلام إلى تحقيقهما إضافة إلى العدل، حتى جعل الإسلام لتلك القضايا المهمة فى حياة الناس الأولوية المطلقة منذ القدم وحتى اليوم، بعدما أصبح العالم كله كالقرية الصغيرة المتشابكة الأطراف وسادت النزاعات والصراعات وطغيان الأقوى.

ولكى تتحقق أهداف الإسلام فى نشر العدل وإشاعة الأمان والسلام أوجب الإسلام الحوار ودعا إليه الآخرين حتى يعود الهدوء ويسود التفاهم وينعم الناس بالأمن والأمان.

مما سبق يتضح لنا الموقف الأساسى للإسلام من قضية الحوار وهو موقف داعم للسلام، مؤيد لحق الإنسان فى الحرية والكرامة والعدل ولكى تكتمل الحلقات فلابد أن تقوم الأديان الأخرى بالاستجابة لدعوة الإسلام هذه حتى تستطيع القيام بدور فى النهوض بالحياة والتعاون لإيجاد حل للكثير من المشكلات القائمة فى شتى بقاع الأرض فمن خلال التفاهم والتعاون بين الأديان نستطيع أن نمنع الحروب العبثية التى لا طائل من ورائها إلا الدمار والخراب وزرع الحقد والكراهية بين الأمم ونستطيع أيضًا حماية الأسرة ونظامها فهى التى تمثل الخلية الأصلية لكل حضارة إنسانية.

وهكذا فإن الحوار المبنى على التسامح والمفعم بالتفاهم بين كل الأديان يمكن أن نصل من خلاله إلى تعاون بناء يمكننا من مكافحة العديد من الظواهر السلبية لعالمنا، والإسهام فى إيجاد الحلول لمشكلات التطور الاجتماعى والسياسى للدول النامية، وكل ذلك يسهم إسهامًا فعالاً فى الوقاية من النزعات المحتملة كما يمهد الطريق لحل كل النزاعات القائمة ونشر السلام والأمان والعدل بين سائر البشر.

1- الإسلام وقضايا الحوار د/ محمود زقزوق 93 وما بعدها بتصرف.

الحوار مع المؤسسات الدينية العالمية

لاشك أن المؤسسات الدينية العالمية فى الغرب وهى مؤسسات مسيحية تتمثل فى الفاتيكان، أو فى مجلس الكنائس، أو فى غير ذلك من مؤسسات دينية محلية فى أوروبا وأمريكا لها نشاطات تتعدى حدود بلادها وتصل إلى مناطق العالم الأخرى.

كل هذه المؤسسات تعمل بجد ونشاط دائب لا يكلّ فى توسيع دائرة عملها فى كل مكان فى العالم، ومن هنا تنطلق الدعوة إلى الحوار فى عصرنا الحاضر بين هذه المؤسسات، وتلك حقيقة واقعة يؤكدها الدكتور وليم سليمان بقوله: «إن مبادرات الحوار بين الأديان حتى الآن تنطلق دائمًا من الغرب، وتعقد تحت إشراف منظماته المسيحية، ويكون أغلبية المسيحيين الحاضرين من الغرب»[1].

وتقوم هذه المؤسسات منفردة أو مجتمعة بإجراء حوارات فى اتجاهات عديدة فهناك حوارات مسيحية مسيحية، أو مسيحية يهودية، وهناك حوارات مسيحية إسلامية، وهناك حوارات تشمل الأديان السماوية الثلاثة بالإضافة إلى البوذية، والهندوسية، وغيرها من ديانات فى الشرق الأقصى.

وإذا كانت هذه المؤسسات الدينية العالمية تتمثل أساسًا فى العالم الغربى فإنه يقابلها على الجانب الإسلامى الأزهر الشريف بما له من رصيد تاريخى ومكانة فى شعوب العالم الإسلامى قاطبة، وأيضًا يقابلها كثير من المجامع العلمية والمؤسسات الإسلامية، والمنظمات الدينية فى سائر الدول الإسلامية، ولقد كان الأزهر ولايزال هو المؤسسة الإسلامية العالمية المؤهلة لإجراء أى حوار مع المؤسسات الدينية العالمية، ولقد قام الأزهر بالفعل بإجراء حوارات متعددة مع مختلف المؤسسات الدينية العالمية، وذلك لأن رسالة الأزهر هى رسالة الإسلام، ولقد اتبع الأزهر الشريف المنهج الإسلامى فى الدعوة إلى الحوار الدينى كما جاء فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

والأزهر كمؤسسة دينية إسلامية عالمية كان يرحب بأى دعوة توجه إليه للمشاركة فى حوار الأديان أو لقاء الحضارات، ويتميز الأزهر بأنه تتوفر لدى من

1- الحوار بين الأديان د/ وليم سليمان 13, 60.

يمثلونه ميزة لا تتوفر لدى غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى، وهى الإيمان بكل الديانات السماوية السابقة، وهذه الميزة تجعله متحرراً من العقد والحساسيات والنفور الذى قد يشعر به الآخرون فى مثل هذه الأحوال[1].

وفى كل هذه اللقاءات كانت المناقشات تدور حول العقائد والقيم الإنسانية فى الأديان، وربما تتشعب إلى كل القضايا التى تدور فى الساحة الإسلامية مثل قضايا الأصولية، والعلمانية، والجهاد، والردة، ومكانة المرأة، وتعدد الزوجات، وموقف الإسلام من قضايا حقوق الإنسان، وحرية الرأى، وصلة الإسلام بالأديان الأخرى، وبالعلم، وصلته بالحضارة، والدولة والسياسة، والاقتصاد ووضع الأقليات غير الإسلامية فى المجتمع الإسلامى، وغير ذلك من قضايا تهم الغرب فى الوقت الراهن[2].

وبالإضافة إلى هذه اللقاءات تتوالى زيارة الوفود الممثلة للمؤسسات الدينية الغربية على الأزهر وتجرى الحوارات غير الرسمية فى كل لقاء من هذه اللقاءات.

كما تقوم المؤسسات والهيئات الدينية فى كل من السعودية وقطر والأردن وغيرها من البلاد بعقد المؤتمرات الحوارية ودعوة العلماء المعنيين بدراسة الأديان والحضارات من مختلف الدول الأوروبية وأمريكا والدول الإسلامية لمناقشة القضايا التى تظهر على الساحة العالمية والعمل على إيجاد حلول لها، وكان أبرز هذه الحوارات الحوار الإسلامى المسيحى، الحوار الإسلامى اليهودى، الحوار بين الأديان من أجل التقارب بين الأديان.

الحوار الإسلامى المسيحى:

برزت فكرة الحوار الإسلامى المسيحى فى عالمنا المعاصر مع بداية «عصرنا» إثر إنتهاء الحرب العالمية الثانية، وقد تفاعلت فى هذا العصر ثورة التقنية على صعيد العلم وثورة التحرير على صعيد السياسة، وما أسرع ما نشبت فى دائرة الحضارة الغربية حرب باردة بين دول غربية تدين بالرأسمالية والليبرالية، ودول أوروبية شرقية تدين بالماركسية، اصطلح على تسميتها الغرب والشرق، فكان أن اتجه

1- الإسلام والغرب د/ محمود زقزوق 97.
2- السابق 105 بتصرف.

الفكر السياسى فى الغرب الرأسمالى تقوده الولايات المتحدة الأمريكية إلى طرح فكرة مباشرة حول حوار إسلامى مسيحى يبحث فى مشكلات عالمية تواجه المسيحيين والمسلمين معًا، ودول الغرب، ودول العالم الإسلامى التى استقلت، وللوقوف فى وجه انتشار المد الماركسى الشيوعى الذى تحاول ماديته هدم الاعتقاد فى القيم الروحية.

موضوعات الحوار الإسلامى المسيحى:

هناك موضوعات كثيرة ذات اهتمام مشترك بين طرفى الحوار الإسلامى والمسيحى يمكن أن تكون مجالاً للحوار نذكر منها: -

- ما يتعلق بالموقف العقيدى المبدئى من قضايا بعينها وفى مقدمتها قضية مقاومة العنصرية، والتعصب العنصرى، وقضية العدل الاجتماعى، وقضية الحرية والمسئولية، وقضية السلام القائم على العدل.

- ومنها ما يتعلق بالإنسان وأمه الأرض ومحيطنا الحيوى وبيئته.

- ومنها ما يتعلق بالإنسان فى مجتمعه، وقضية الأسرة والزواج والعفة وموقع المرأة فى الأسرة والمجتمع، والتكامل بينها وبين الرجل على أساس المساواة الكاملة فى إنسانيتها، وقضية التكافل الاجتماعى بمختلف صوره وقضية التعددية فى المجتمع.

- ومنها ما يتعلق بالإنسان والسلطان والشورى والديموقراطية والمشاركة السياسية

- ومنها ما يتعلق بأخلاق العمل، وبخاصة فى المجالات الجديدة التى فتحتها ثورة التقنية الحديثة.

- ومنها ما يتعلق بقراءة التاريخ المشترك بنظرة التاريخ الحافز وليس بنظرة التاريخ العبء، وإبراز الصور الإيجابية للتعايش والتعاون وكل ما يتعلق بتشوف المستقبل المشترك[1].

1- بحث/ أحمد صدقي الدجاني الحوار مع الآخر في الإسلام - الحوار وآدابه - ورقة مقدمة في مؤتمر الإسلام وقضايا العصر - عمان 2002/12/17 م.

ضرورة الحوار الإسلامي المسيحي

بما أن كلاً من النصرانية والإسلام ديانة سماوية، فيجب أن تكون الصراحة المتبادلة هي السمة الطبيعية للحوار الصريح الذي لا ينبغي أن يتعارض مع الرغبة في الإنصات المتصف بالاحترام وحب الاندماج مع الغير، ويجب أن تتأكد لدى كلا الطرفين الرغبة في أن يتقبل الطرف الآخر فهمه للوحي المنزل من عند الله فإن ذلك أدعى إلى زيادة الثقة.

يقول الأنبا يوحنا في حديثه عن الحوار الإسلامي المسيحي:[1]

إننا مسيحيون ومسلمون أمام عالم يضج بالانقلاب الأخلاقي، وصراع الغرائز، وتضييع قيمة الإنسان وقيمة الحياة، وبرغم ذلك كله، وبرغم ضباب فكري يلف عقل العالم وغزوه ماديًا، فإن بحث الإنسان عن الله يشتد والجوع إلى القيم الروحية يصرخ في أعماق البشر، وكل الطاقات المادية المكتشفة، والتي نحن في سبيل اكتشافها لن تستطيع أن تحل محل الأديان، ولا توازي كلها لحظة صلاة عميقة خالصة لله، ولا تساوي كلها قيمة روح إنسان واحد.

فالأديان تعطي الجواب عن كل سؤال يعجز العلم عنه.. ما هو الإنسان؟ ما هو معنى وغاية حياتنا؟ ما هو الخير وما هو الإثم؟ ما السبيل إلى الحياة الحقيقية؟ ما هو الموت وما هي الحياة بعد الموت؟ وأخيراً ما هو السر السحيق، سر مجيئنا إلى الحياة ورحيلنا عنها؟

ألا تستحق كل هذه القضايا أن يلتقي المسلمون والمسيحيون لتدارك أمر البشرية اللاهثة وراء زيف المادة، وبريق اللذة وتوهج الغريزة؟.

إن الحوار بين المسيحيين والمسلمين ليس بالأمر الجديد، وليس بدعة وإنما هو تيار روحي وعقلي موجود منذ فجر الإسلام، فقد استيقظ المسيحيون على صوت دعوة جديدة تدعوهم إلى كلمة سواء، فكان الحوار بالتي هي أحسن تارة، وكان في مناخ من الخوف والقلق تارة أخرى.

إن الحاجة داعية إلى أن يلتقي المؤمنون بالله، وبالمصير الأبدي، وبقيم الروح

1- مجلة منبر الإسلام عدد شعبان 1419 هـ، ديسمبر 1998م ص 74.

للبحث عن بناء حضارة إنسانية لها جذورها الروحية، للدفاع عن حقوق الإنسان وعن العدالة والحرية، وعن كرامة الفرد وقدسية الأسرة؟ وبرغم اعتراض البعض على هذا الحوار بدعوى أنه من نوافل الأمور وأن الحوار لن يغير شيئًا فالإسلام هو الإسلام والمسيحية هى المسيحية.

أقول نعم: سيبقى الإسلام هو الإسلام بعقيدته وثوابته وقيمه، وستبقى أيضًا المسيحية بعقيدتها وثوابتها ولا يستطيع أحد أن يقول غير ذلك.

فالهدف من الحوار لا يمس الدين والإيمان، إنما يمس الإنسان المؤمن، كما أن الحوار لا يغير من أمور الدين، وإنما يغير فكرة الإنسان عن أخيه الإنسان، فيزرع الحب بدل الكراهية، والتفاهم بدل الخصام، والحوار يقيم جسوراً من الود والاحترام لكل ما يؤمن به الإنسان، فهو دخول إلى أعماق الإنسان الآخر ليرى صدق إيمانه ورجائه فى الله.

إن هناك حقائق بديهية ينبغى أن تدفع الحوار وتقويه، منها أن الكرة الأرضية لم يسيطر عليها دين واحد فى أية مرحلة من مراحل تطورها وتاريخها، فكل دين له مذاهبه وفرقه ونحله، ومن ثم كانت التعددية سمة الإنسانية، وأن الاختلاف بين الأديان سر إلهى ومن الحقائق الثابتة التى لا يستطيع إنسان أن ينكرها.

ولا ينكر عاقل أن الحوار هو السبيل إلى المستقبل، ينبغى أن يعبر فوق تاريخ حافل بالعداء والبغضاء والحروب، وفوق حاضر يمزقه عدم الثقة، فالعالم فى أشد الحاجة إلى حوار بين المسلمين والمسيحيين من أجل حضارة قادمة يجب أن تبنى على أسس روحية.

إن الحوار الإسلامى المسيحى لم ينقطع بين المسلمين وبين المسيحيين منذ بدء إنتشار الإسلام، وامتدإلى عصر الأمويين والعباسيين، وقامت الحضارة الإسلامية شامخة لها سماتها الإسلامية، ولها شموليتها العربية ولها نفوذها الإنسانى، ولم يتخلف المسيحيون عن إخوتهم المسلمين فى تشييد صرح هذه الحضارة، ومنذ بداية القرن العشرين المتحضر، والعلاقات بين المسيحيين والمسلمين تنمو وتقوى باطراد.

إننا نمضى نحوعيش مشترك يكون أساسه الاحترام والمعرفة فلم تعد هناك بلدان إسلامية لا يحيا فيها مسيحيون، ولم تعد هناك بلدان مسيحية لا يحيا فيها

مسلمون، إن الله رحمن رحيم غفور، يريد أن يغفر كل مناآثام الماضى، وأن ينسى مخلفات عصور الحروب الدينية والمجابهات الجاهلية.

ولقد تواصلت الجهود الرائعة من علماء المسلمين والمسيحيين فى مجال الحوار والدعوة إلى التواصل والتآلف والتعاون فى مجال البر والخير، ففى عام 1964م صدر نداء مسيحى صرح به المجمع الفاتيكانى الثانى وقال:

ولئن كان وقع فى غضون الزمان كثير من المنازعات والعداوات بين المسيحيين والمسلمين، فإن المجمع يحضهم جميعًا على نسيان الماضى والعمل باجتهاد صادق فى سبيل التفاهم فيما بينهم، وأن يحملوا ويعززوا كلهم معًا العدالة الاجتماعية والقيم الروحية والسلام والحرية من أجل جميع الناس.

وفى المقابل، فى أغسطس 1975م صدر نداء من مؤتمر العالم الإسلامى يقول:

إن علاقات من المشاركة بين المسيحية والإسلام، هذين الدينين العالميين الكبريين هى أمر طبيعى قد شاءه الله، ولذلك فإن التعاون الوثيق بين المسيحيين والمسلمين هو مفروض بجدة لصالح السلام العالمى وضمان مستقبل البشرية[1].

وحرصًا على استمرار التعاون الإسلامى المسيحى فى مجال الحوار وغيره فقد أنشأ الفاتيكان مجلس الحوار بين الأديان، وقام المجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى مصر بعقد مؤتمر سنوى يدعى إليه مفكرون مسيحيون من الغرب والشرق تحت ما يسمى بلجنة الحوار العربى الإسلامى المسيحى.

- وأنشأت الهيئة القبطية الإنجيلية مركز حوار الحضارات الذى يعقد ندوتين كل عام

- ولقد أرسى الشيخ أحمد حسن الباقورى والدكتور/ عبده سلام، والأب قنواتى رحمهم الله قواعد لجماعة الإخاء بين المسلمين والمسيحيين، ولقد كان لهذه الحركة البناءة دور رائع فى مجال الحوار الإسلامى المسيحى.

وعن طريق هذه المؤسسات وغيرها فى الشرق والغرب تم مناقشة كثير من الموضوعات والقضايا المتعلقة بإصلاح الحياة الإسلامية والمسيحية على السواء[2].

1- السابق ص 76.

2- الإسلام والغرب د/ محمود زقزوق 99.

ومن هنا ننادى القائمين على الحوار الإسلامى المسيحى بالسعى إلى التواصل الدائم والعمل بإيجابية واحترام متبادل ، والتنفيذ الفورى والتطبيق العملى لكل ما يثمر عنه الحوار من نتائج حتى ينتفع بها الناس ولا تظل حبيسة الأدراج حتى الموت أو الضياع .

الحوار الإسلامى اليهودى

لقد اعترف الإسلام بالديانة اليهودية فى صورتها الأصلية، يهودية موسى عليه السلام منذ بزوغ فجره، وأقام معها الحوار من أول يوم كما قال القرآن الكريم ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ﴾ [آل عمران 64] ثم عقد معهم النبى محمد ﷺ وثيقة عند دخوله المدينة تضمن مالهم من حقوق وتبين ما عليهم من واجبات، وساوت بينهم وبين المسلمين، ورفع الإسلام شعار الاعتراف المتبادل والتعامل بالحسنى.

والدين الإسلامى هو الدين الوحيد الذى أعلن اعترافا صريحاً بالأديان السماوية ومن بينها اليهودية فأعطى أنبياءها - عليهم السلام- وكتبها المقدسة المنزلة الرفيعة بل إنه دافع عن تلك الأديان، ودحض الافتراءات الكاذبة التى أراد بها المغرضون تشويه صورة الأنبياء السابقين.

وبالرغم مما فى التوراة من اختلاف فى أصول العقائد الإسلامية، إلاأننا ننسب تلك الاختلافات إلى أيدى التحريف البشرى، وهو أمر قد ذكره الأنبياء المصطفون خلال مسيرتهم الإيمانية للدعوة إلى الخالق الواحد الأحد ويحكى القرآن ذلك فيقول جل وعلا: ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ﴾ [النساء: 46] ويقول سبحانه: ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾ [المائدة: 41].

وقد دعا القرآن الكريم اليهود إلى دراسة ومراجعة أصول كتبهم، وأسفارهم التى وضحت منهجهم الدينى والأخلاقى، والتى تدعوا جميعها إلى عبادة الله عز وجل، وتنزيه كل الأنبياء من كل الافتراءات والدسائس التى حيكت حولهم.

كما أن اليهودية الصحيحة التى جاء بها موسى عليه السلام كلها تنطوى على روح الرفق والتسامح، ولم يصح أبداً ما يقال من أن اليهودية الأولى قد أباحت البدء بالاعتداء على الطوائف الأخرى سواء أكان ذلك لمقاصد دينية، أو لأغراض سياسية، بل الواقع على العكس لقد احتملت الاضطهاد والأذى أمداً طويلاً.

ويكفى فى شأن اليهودية أنها رفعت قيمة الحياة الإنسانية إلى درجة لم تصل إليها أشد النظريات العصرية تحمساً فى الدفاع عن حق الفرد، فينقل لنا القرآن

الكريم عن التوراة : أن قتل النفس بغير حق لا يقاس فى نظرها بقتل أمة ، بل لقتل الإنسانية جميعاً وحياته بحياتها . قال تعالى ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: 32]

لقد سعى الإسلام إلى تحقيق الوحدة بين المسلمين واليهود عن طريقين:-

أولاً: عن طريق توحيد الغاية وذلك بدعوة الناس جميعاً إلى عبادة إله واحد.

ثانياً: عن طريق التوفيق بين وسائل هذه الغاية ، وذلك ببيان أن الشرائع السماوية ترجع كلها إلى أصل واحد ، ودعوة معاصريه من الأديان السابقة إلى تكوين أسرة روحية واحدةتؤمن بجميع الكتب وجميع الأنبياء بدون تفريق بين واحد منهم ، قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 109]

هذا هو موقف الإسلام من اليهودية الموسوية ، أما يهودية التلمود فقد وقفت من الإسلام موقفاً مضاداً كما بينا فيما مضى[1] ، ومع استمرار الصراع والتصادم بينهم كان لا بد من إيجاد حل لإنهاء هذا الصراع ومحاولة التوفيق بين الأديان - اليهودية والإسلام - على أساس دينى صحيح يكون مرجعه العقيدة والأخلاق والقيم.

1- بينا هذا الموقف فى الفصل الثالث أثناء حديثنا عن موقف اليهودمن المسلمين وما فعله بهم اليهود من مكائد وجرائم امتدت إلي عصرنا هذا.

ضرورة الحوار الإسلامى اليهودى

كما قلنا لقد أصبحت الحاجة ملحة إلى ضرورة إنشاء حوار بين المسلمين واليهود يرتكز على الأصول الدينية والأخلاقية الصحيحة التى جاء بها موسى عليه السلام ومحمد ﷺ .

وعن الحاجة إلى الحوار بين المسلمين واليهود يقول الحاخام - جارى م بريتون جرانا تور : «لقد سمحت الطائفة اليهودية لنفسها أن تعيش زمناً طويلاً جداً فى ظل مفاهيم خاطئة ، ومعلومات غير صحيحة عن طائفة المسلمين بالإضافة إلى أن عناوين الصحافة وأساليب السياسة المعاصرة قد ألقت ظلالاً من التعتيم على العلاقات الإيجابية بين اليهود والمسلمين ، فقد كان للإسلام أثر هائل على شعبنا وماضيه ، وكذلك الديانة اليهودية كان لها أثر قوى على المسلمين وثقافتهم» [1] .

لقد شكل الافتقار إلى المعرفة علاقتنا بالمسلمين خلال العقد الماضى إلى حد بعيد ، فنحن نسمع كلمات وعبارات إسلامية ولكن لا نعرف معناها الحقيقى فتتولد لدينا المفاهيم الخاطئة عن الإسلام والمسلمين ، وينبغى علينا إذا أردنا الحوار مع المسلمين ، أن نبدأ أولاً فى تبديد هذه المفاهيم الخاطئة ، وأن نستكمل هذا النقص فى المعرفة من خلال التربية والحوار .

واليوم يجب إزالة القضايا السياسية التى تقف عقبة فى طريق علاقات جديدة مع إخواننا المسلمين والمسلمات ، إنه يجب أن نلزم أنفسنا بالمضى معا فى هذا الطريق ، ألسنا كلنا ذرية لأب واحد وإلهنا واحد؟ إن ماضينا ملئ بنقاط الالتقاء والتنافر ، والتبادلات الإيجابية والتفاعلات السلبية .

فلابد من فتح الطريق أمام الحوار والتعامل المتقابل مع المسلمين المبنى على الحق والعدل لتضيق الهوة التى حدثت بين الشعبين .

إن خطوتنا الأولى من أبسط ما يكون ، وهى أن نفتح أبوابنا ونمد أيدينا وأن نستقبل أخوتنا المسلمين والمسلمات بالترحاب ، وعلينا أن نتعلم ما يتعلق بالعالم الإسلامى ، والعقيدة الإسلامية ، والقيم ، والمبادىء الدينية والأخلاقية ، وأن

1- الإسلام والآخر (حوار - تفاهم - تبادل حضارى) 91 ومابعدها

نتفحص أوجه التشابه حتى ندرك أوجة الخلاف ، ونقدرها ونعمل على إحياء المتشابه وإبعاد مايؤذى بعضنا البعض ، وإذا توصلنا إلى ذلك نكون قد وضعنا أنفسنا معاً على طريق واحد، وعند ئذ يمكننا أن ندخل المسائل السياسية فى الحوار .

وبدون هذا الشرط الأساسى، ألا وهو الفهم المتبادل لتراث كل منا ، فإن المناقشات السياسية قد تنتهى إلى كلام منمق وغوغائية[1] لا فائدة من ورائها .

وتعقيباً على كلام الحاخام اليهودى الذى يعترف بتقصير اليهودية فى الفهم الصحيح للإسلام والتعامل معه أقول :-

إنه ليسعدنا نحن المسلمين أن يعود اليهود إلى توراة موسى عليه السلام فيتمسكوا بها ويحيوا ما فيها من تعاليم ، لأنهم لو فعلوا ذلك بإخلاص وصدق لآمنوا بما جاء فيها من البشارة بعيسى عليه السلام وبنبوءة محمد ﷺ .

وها نحن المسلمين قد أظهرنا لهم النية الصادقة والرغبة الجادة من أجل التعايش السلمى ، والتعاون على البر والتقوى ، والسلام العادل لصالح الإنسانية كلها فكانت دعوة الإسلام لهم للجلوس على مائدة الحوار فهل استجاب لنا اليهود؟ وهل غيروا نظرتهم للإسلام ؟ وهل صححوا الفهم الخاطىء المترسب لديهم عن المسلمين؟ .

وعلى اليهود أن يعلموا أن الإسلام هو دين التسامح والألفة والسلام ، فيعودوا إلى التعاون البناء مع أهله، وأذكر اليهود بقول الحاخام- أندرياوس- عن ضرورة تدعيم الحوار وبواعثه بين المسلمين واليهود يقول: لقد طال الانتظار على اليهود والمسلمين ، وقد أن الآوان لكى نعود معاً إلى البيت ،وأن ننطلق لإصلاح حوائطه من العداوة إلى الصداقة ، ومن الغربة إلى الجوار ، ومن الصمت إلى التحالف، ومن المرض والكراهية والبغضاء إلى الحوار والحب والتفاهم ، أليس هذا التحول فى متناول أيدينا فى حقيقة الأمر . . . ؟ .

نعم إن الأمر فى متناول أيدينا ، لكن الحرب التى نعيشها بأحداثها العسكرية وأحداثها السياسية ، ومايقترن بها من استهدف قوى الهيمنة الأمريكية والصهيونية

1-السابق92 .

العنصرية للإسلام ديناً وحضارة وللمسلمين عامة ، بحملة شعواء عنوانها الإرهاب الإسلامى ، يمثل تحدياً كبيراً ويوجد مناخاً ثقيلاً يحاصر الحوار ، ويسبب ردود أفعال حادة تنادى بالصراع والقطيعة ، ولكن جوهر الإسلام ديناً وطبيعة وحضارة تحث على استجابة صحيحة لهذا التحدى بالتمسك بالحوار والدعوة إلى سبيل الله إعلاء كلمة الحق بالحكمة والموعظة الحسنة ، ومواجهة عدوان المعتدين بالمقاومة وواضح أن هذه المقاومة للعدوان وللعولمة المتوحشة فى دائرتنا الحضارية وفى جبهة فلسطين خاصة وسائر بلاد المسلمين عامة ، جعلت الكثيرين فى عالمنا مهيئين للتعارف والتفاهم ومن ثم على البر والتقوى .

إن الإسهام فى صنع هذه الاستجابة الصحيحة مسئولية فردية وجماعية لكل أبناء حضارتنا وعليهم النهوض بها فى مختلف دوائر انتمائهم تعزيزاً للوحدة الوطنية فى الدائرة القطرية الوطنية ، وتحقيقاً للتعاون فى الدائرة الحضارية ونهوضاً بالحوار مع الدوائر الحضارية الأخرى على أساس التفاعل الإيجابى مما يوصلنا إلى إقامة نظام عالمى جديد واستتباب سلام حقيقى قائم على العدل والأمن فى شتى بقاع الأرض .

والله من وراء القصد . . .

الخاتمة

أخيراً ظن أننى قد أتيت على المقصود من الموضوع ، وقد بذلت فيه غاية الجهد وأرجوأن أكون قد ساهمت مساهمة متواضعة فى بيان سماحة الشريعة الإسلامية ، ولاأدعى لعملى هذا الكمال بل هو عمل بشرى سمته النقصان ، ومعرض للخطأ والزلل ، ومن خلال عملى فى هذا الكتاب توصلت إلى مجموعة من الحقائق والنتائج كان لابد من الإشارة إليها مجتمعة أهمها ما يلى :-

1- إن سماحة الإسلام من أعظم أوصاف الشريعة الإسلامية وإن التيسير فى أحكامها وتصرفاتها أمر مقطوع به وإن كل ما يؤدى إلى إلغاء ذلك الوصف أو إقصائه عن بعض أجزاء الشريعة دون سبب شرعى معقول فهو ملغى لا اعتبار له .

2- أن الشريعة الإسلامية قد عملت على المحافظة على اتصاف أحكامها بالسماحة وعلى استمرار هذا الوصف وديمومته . وإن وقع من العوارض الزمانية والمكانية والآلية ما يعرضه للانخرام ، انفتح له باب الرخصة فى الأحكام حفاظاً على ذلك الوصف .

3- أن الأحكام المقررة فى الشريعة قد بنيت على التيسير ورفع الحرج وذلك نظراً إلى غالب الأحوال التى يمر بها المكلفون ، ولهذا نجدها تعمد إلى تغيير الحكم من الصعوبة إلى السهولة فى الأحوال العارضة للأمة أو الأفراد وبناء على هذا كانت تلك القاعدة الجليلة التى قررها الفقهاء « المشقة تجلب التيسير» كما أن الشريعة لم تترك للمخاطبين بها عذراً يدفعهم للتقصير فى العمل بها ، لأنها بنيت على أصول من الحكمة والتعليل والضبط والتحديد قال تعالى : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: 52].

4 - تعتبر الحرية حقاً معنوياً ضرورياً لكل شخص التمتع به لأنه بفقده يصير معدوم الإرادة ، مسلوب الشخصية ، ومن ثم حرص الإسلام على توفيرها لكل فرد من أفراد المجتمع حتى جعل للكافر حرية الاعتقاد لقوله سبحانه : ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ.....﴾ [البقرة: 256]، وقوله ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: 6] .

5- إن الإسلام وهو يقرر شرعية المعاهدات والمواثيق فى تعامله مع غير المسلم إنما يريد سلمًا وسلامًا وأمانًا ليس للمسلم فحسب بل لكل أجناس البشر على الأرض .

6-اتفق الفقهاء على جواز التعامل مع غير المسلم ومشاركته فى الفرح أو العزاء مادام غير المسلم لا يحارب الإسلام وأهله.

7- أن الإسلام ينفى منذ اللحظة الأولى كل نعرة جنسية أو عنصرية، فيرد البشرية كلها إلى أصل واحد ويقرر أن لا فضل لجنس فيها على جنس، وأن اختلاف الألوان واللغات لا يدل على ميزة ولا أفضلية، فلا وجود لفكرة التمييز العنصرى فى المجتمع الإسلامى فهو يفتح أبوابه للبشر عامة على قدم المساواة الكاملة، وعلى أساس من العدل والتسامح، والأخوة والاحترام.

8- أن الإسلام دين لا يعرف التعصب على الإطلاق، وبالتالى فإنه لا يدعو أصحابه إلى التعصب، كما أن مصادر الإسلام من القرآن والسنة لا تشتمل على أى شىء من هذا القبيل فدعوته تقوم على أساس من الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالحسنى، وإذا كان الإسلام يرفض التعصب ويدعو إلى التسامح، فإنه بالتالى يرفض الإرهاب وترويع الآمنين وقتل الأبرياء، بل يعتبر الإسلام الاعتداء على فرد واحد كأنه اعتداء على البشرية كلها قال تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ..﴾ [المائدة:32] كما أنه يدعو المسلمين فى صراحة ووضوح إلى التعايش السلمى مع غير المسلمين قال تعالى: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة:8] وهذا خير دليل على سماحة هذا الدين كما شهد بذلك أعداء الإسلام المنصفين.

ومن ذلك كله يتضح أن إلصاق تهم ـ التعصب والعنصرية ـ بالإسلام لا تقوم على أساس صحيح، وليس لها أى سند بين تعاليم الإسلام، وإذا كان هناك بين المسلمين بعض المتعصبين أو المتطرفين أو من يطلق عليهم إرهابيين فإن ذلك لا يرجع بأى حال من الأحوال إلى تعاليم الإسلام، وإنما يرجع إلى فهم خاطىء أو تأويل فاسد لبعض تعاليم الإسلام، والإسلام لا يتحمل وزر ذلك وهو منه براء، كما أنه ينبغى التفريق بين تعاليم الإسلام السمحة وبين السلوكيات الخاطئة لدى بعض أتباع الإسلام والتى نشأت نتيجة لجهلهم بحقيقة دينهم، أو نتيجة تعصب أعمى ليس له فى الإسلام أساس.

ومن ناحية أخرى نجد أن التعصب موجود لدى بعض الجماعات فى كل الأديان بل إن الإرهاب قد أصبح ظاهرة عالمية لا يختص بها أتباع دين معين دون بقية الأديان، وهذه حقيقة ماثلة أمام أعين المجتمع فى عالمنا حتى فى أكثر الدول تقدمًا وأكثرها دعوة للحرية والديموقراطية وحقوق الإنسان فهل الإسلام هو الذى أفرز هذه الظاهرة العالمية بين أتباع جميع الأديان. . . ؟

9- لابد من الوحدة والتكاتف بين جميع المسلمين وتحت راية الخلافة من جديد حتى نستطيع مواجهة كل التكتلات العالمية من صهيونية وصليبية وغيرها.

10- ضرورة العودة إلى الحوار بين سائر الأديان من أجل إقامة العدل ونشر السلام والأمن والتعاون على البر والتقوى، وإلا كانت الحياة مثل الغابة يأكل فيها القوى الضعيف وتنتشر الفوضى والهمجية فى العالم كله.

وبعد. . . فهذا العمل هو جهد المقل ويشهد الله أنى قد بذلت فيه جهدى إسهامًا منى فى خدمة الدعوة التى أحمل مسئولية العمل من أجلها، فإن كان من توفيق فهو من الله جل وعلا فله الحمد والشكر، وإن كان فيه نقص فمنى ومن الشيطان، وحسبى أنى قد اجتهدت، والله أسأل أن يتقبل صالح العمل، وأن يعفو عما فيه من خطأ أوزلل، وأن ينفعنى به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أبو بلال

عماد الدين زيدان بدوى صقر

صفط تراب - المحلة الكبرى - مصر

فى 22 ذى القعدة 1425هـ

3 يناير 2005 م

فهرس المراجع

- القرآن الكريم

1- احذروا الأساليب الحديثة فى مواجهة الإسلام، د/ سعد الدين صالح مكتبة الشارقة، الإمارات السابعة 1420 - هـ 2000م.

2- أساليب الغزو الفكرى للعالم الإسلامى، د/ محمد على جريشة، دار الإعتصام، مصر.

3- إسرائيل والتلمود، إبراهيم خليل أحمد، دار المنار، القاهرة 1410-هـ 1990م

4- أصول النظام الاجتماعى، الشيخ ابن عاشور.

5- أصول النظام الجنائى فى الإسلام، د/ محمد سليم العوا، دار المعارف، مصر.

6- الإسلام وأهل الذمة، د/ على حسن الخربوطلى، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1969م.

7- الإسلام والمؤامرات اليهودية، محمد زكى الدين قاسم، مكتبة المنار الكويت 1410هـ - 1990م.

8- الإسلام وقضايا الحوار، د/ محمود زقزوق، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية 1423هـ 2002م.

9- الإسلام والغرب، د/ محمود زقزوق سلسلة قضايا إسلامية، العدد101.

10- الاختراق اليهودى للمجتمعات الإسلامية، د/ فرج الله عبد البارى 1412هـ - 1991م.

11- التوراة والقرآن مقارنة نصية، عادل المعلم، دار الشروق 1420هـ، 1999م.

12- الجامع لأحكام القرآن الإمام القرطبى، دار الحديث 2002م مصر.

13- الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى، آدم ميتز، ترجمة عبد الهادى أبو ريدة.

14- الحوار بين الأديان، د/ وليم سليمان، القاهرة 1976.

15- الرحيق المختوم، صفى الرحمن المباركفورى، دار الحديث القاهرة، 1423هـ.

16- السلام العالمى والإسلام سيد قطب، دار الشروق، القاهرة.

17- السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة، محمد فريد وجدى، مكتبة الأسرة 1999م.

18- السيرة النبوية دراسة تحليلية، د. محمد عبد القادر أبو فارس، دار الفرقان، الأردن 1418هـ - 1997م.

19- الصديق أول الخلفاء، عبد الرحمن الشرقاوى، مكتبة غريب، القاهرة 1987م.

20- الصحاح، للجوهرى.

21- العدل والتسامح فى ضوء الإسلام، السيد المخزنجى، سلسلة دراسات إسلامية، العدد 86.

22- العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين، د/ بدران أبو العينين، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 1984م.

23- الفاروق عمر بن الخطاب، عبد الرحمن الشرقاوى، مكتبة غريب، القاهرة1987م.

24- المعجم الوجيز معجم اللغة العربية، 1994م.

25- المفسدون فى الأرض، س. ناجى، العربى للإعلان والنشر، دمشق1973م.

26- المقاصد الحسنة فى بيان الأحاديث المشتهرة، الإمام السخاوى، بيروت، 1405هـ - 1985.

27- المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، ابن زغيبة عز الدين، دار الصفوة، القاهرة 1417هـ - 1996م.

28- المجتمع الإنسانى فى ظل الإسلام، محمد أبو زهرة، دار الإخلاص للطباعة.

29- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، أ. ى ونسنك، مكتبة بريل ليدن 1936م

30 - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، محمد فؤاد عبد الباقى، دار الريان، 1987م.

31- اليهودية، د. أحمد شلبى، القاهرة.

32- تاريخ الأمم والملوك، للإمام الطبرى، دار المعارف، مصر.

33- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، دار الحديث، 2002م.

34- تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، الإمام السيوطى، دار الكتب العلمية، 1997م.

35- حجة الله البالغة، ولى الله الدهلوى، الهند.

36- حقوق الإنسان بين الشريعة والقانون، د/ منير البياتى، كتاب الأمة عدد 88.

37- حوار لا مواجهة، د/ أحمد كمال أبو المجد، مكتبة الأسرة، 2002م.

38- خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، عبد الله التل.

39- دروس مستفادة من محنة البوسنة والهرسك، محمد قطب، دار الشروق 1414هـ.

40- روح الإسلام، محمد عطية الإبراشى، مكتبة الأسرة، 2002م.

41- زاد المعاد فى هدى خير العباد، ابن القيم، مؤسسة الرسالة، 1992م.

42- سماحة الإسلام، د/ أحمد الحوفى، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1999م.

43 - سنن أبى داود السجستانى، دار ابن حزم، بيروت، 1998م.

44- سنن الدارقطنى، عبد الله هاشم يمانى، المدينة المنورة، 1966م.

45- سيرة ابن هشام، دار التراث، القاهرة.

46- صحيح الإمام البخارى، دار ابن حزم بيروت، 2003م.

47- صحيح الإمام مسلم، دار ابن حزم بيروت، 2002م.

48- صحيح الجامع الصغير الألبانى، المكتب الإسلامى، بيروت، 1988م.

49- صور حضارية من عطاء الإسلام، سلسلة قضايا إسلامية، العدد 98.

50- عظمة الإسلام محمد عطية الإبراشى، مكتبة الأسرة، 2002م.

51- عظمة الرسول، محمد عطية الإبراشى، مكتبة الأسرة 2002م.

52- على إمام المتقين، عبد الرحمن الشرقاوى، مكتبة غريب، 1987م.

53- عمر بن الخطاب البطل والمثل والرجل، د/ نظمى لوقا، مكتبة غريب، مصر، 1987م.

54- غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى، د/ يوسف القرضاوى، مكتبة وهبه، 1977م.

55- فتح البارى شرح صحيح البخارى، لابن حجر، دار الحديث، 1419هـ.

56- فقه السيرة، محمد الغزالى، دار الدعوة، القاهرة، 1417هـ.

57- فلسطين بالخرائط والوثائق، بهاء فاروق، مكتبة الأسرة، 2002م.

58- فى ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، 1417هـ.

59- فى المسألة القبطية، حقائق وأوهام، د/ محمد عمارة، مكتبة الشروق، 1421هـ.

60- قصة الحضارة، وول ديورانت، مكتبة الأسرة 2002م.

61- قصة الاضطهاد الدينى فى المسيحية والإسلام، د/ توفيق الطويل، الزهراء للإعلام العربى، القاهرة 1412هـ - 1991م.

62- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟، أبو الحسن الندوى، مكتبة الإيمان بالمنصورة، مصر.

63 - محمد ﷺ وبنو إسرائيل، د/ مصطفى كمال، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1390هـ.

64- مختار الصحاح أبو بكر الرازى، مصر1962م.

65 - مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، دار الشروق، مصر.

66- مرض كراهية الإسلام، إسلاموفوبيا، د/ أحمد عبد الرحمن، كتاب الجمهورية، أغسطس2003م.

67- مسند أحمد بن حنبل، دار الحديث، مصر1995م.

68- مصنف عبد الرزاق الصنعانى، المكتب الإسلامى، بيروت 1983م.

69- معاملة غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى، د/ إدوارد غالى الذهبى، مكتبة غريب 1993م.

70- مناهج البحث العلمى وآداب الحوار والمناظرة، د/ فرج الله عبد البارى 1423هـ.

71- موسوعة التاريخ الإسلامى، د/ أحمد شلبى، مكتبة النهضة، مصر 1988م.

72- نحو اقتصاد إسلامى، د/ محمد شوقى الفنجرى، مكتبة عكاظ 1981م.

73- نظام الإسلام، د/ وهة الزحيلى، جامعة بنغازى، ليبيا 1974م.

- مجلة منبر الإسلام.

- مجلة الأزهر.

- شبكة المعلومات الدولية الإنترنت.

الفهرس

فهرس الموضوعات

الموضـــــوع	الصفحة
مـقـدمـة	5
• **الفصل الأول: سماحة الإسلام**	9
مفـهـوم السـمـاحـة فى الإسـلام	11
تعـريف السـمـاحـة لغـة واصطلاحًـا	11
مـفـهـوم التـسـامح فى الإسـلام	13
من مـعـانى التـسـامح فى الإسـلام	14
مـعنى اليـسـر	15
اتصاف الشريعة الإسلامية بالسماحة واليسر	16
تحقيق السماحة واليسر فى تصرفات المكلفين	21
وجوه السماحة واليسر فى الشريعة الإسلامية	24
درجـات التـسـامح وحظ المسلمين منهـا	30
الأسـاس الفكرى لتـسـامح المسلمـين	33
• **الفصل الثانى: علاقة المسلم بغير المسلم فى ظلال التسامح الإسلامى**	35
من هم غـير المسلمين ودستور التعـامل معـهم؟	37
مـوقف الإسـلام من الديانات السـابقـة	39
مقارنة بين سماحة الإسلام وغيره من الأديان	41
حـقوق غـير المسلمين فى المجتـمع الإسـلامى	44
أولاً: حق الحـمـايـة	45
ثانيًـا: حـرية التـدين والاعـتـقـاد	48
ثالثًـا: الحق فى العـمل والتـجـارة	51
رابعًـا: حق الضـمـان الاجـتـمـاعى	52
خـامـسًـا: حق تولى الوظائف العـامـة بالدولة	54

الموضـــــوع	الصفحة
الحقوق التى فرضها الإسلام على غير المسلمين	56
تحقيق العدالة الإسلامية	57
نماذج من عدالة الحكام والقضاة مع غيرهم	61
احترام العهود والمواثيق	64
صور من التسامح الفعلى عبر العصور	69
شهادة الغرب بالعدل والتسامح الإسلامى	75
فتاوى علماء المسلمين فيما يخص التعامل مع غير المسلمين	79
• الفصل الثالث: موقف غير المسلمين من المسلمين على مر العصور	85
موقف غير المسلمين من المسلمين فى العهد النبوى	87
الموقف اليهودى بعد عهد النبوة	100
المجازر الإسرائيلية بحق الشعب الفلسطينى	117
الموقف المسيحى بعد عهد النبوة	157
• الفصل الرابع: التسامح الإسلامى والحوار بين الأديان	171
الإسلام دين التسامح والحوار	173
ضرورة الحوار الدينى	176
المنهج العلمى للحوار فى الإسلام	179
الأساس النظرى للحوار مع الآخر فى الإسلام	183
الحوار بين الأديان فى نظر الإسلام	184
الحوار مع المؤسسات الدينية العالمية	186
الحوار الإسلامى المسيحى	189
الحوار الإسلامى اليهودى	193
الخاتمة	198
فهرس المراجع	201
فهرس الموضوعات	207